روايات عبير الجديدة

ليني كولنس

معاناة

www.elromancia.com
مرمورية

عدد ممتاز

معاناة

لليني كولنس

كيف تستطيع باتي باركن اقناع نفسها ان الفشل في علاقة حب واحدة، لا يعني فشل الحياة كلها.

هربها والعمل في مستشفى خاص بعيد جداً عن موطنها الأصلي لم يساعدها بتاتاً.

لأن الحب امامنا كل يوم وكل دقيقة وكل ثانية فقط عندما نكون بحاجة له نجده. فكيف هو بالنسبة لباتي التي كانت بأمس الحاجة له... بعد صدمتها العنيفة تلك.

كان آيفور مينارد الشهير بساحق قلوب العذارى مـ ما بها. لكن كيف تستطيع باتي ان تثق به وتطمئن له وهي التي عانت ما عانت سابقاً.

هل كان جاداً وهو صاحب السمعة السيئة؟.

www.elromancia.com

www.elromancia.com

-١-

كيف تستطيع باتي باركن اقناع نفسها ان الفشل في علاقة حب واحدة، لا يعني فشل الحياة كلها.

هربها والعمل في مستشفى خاص بعيد جداً عن موطنها الأصلي لم يساعدها بتاتاً.

لأن الحب امامنا كل يوم وكل دقيقة وكل ثانية فقط عندما نكون بحاجة له نجده. فكيف هو بالنسبة لباتي التي كانت بأمس الحاجة له... بعد صدمتها العنيفة تلك.

كان آيفور مينارد الشهير بساحق قلوب العذارى متيماً بها. لكن كيف تستطيع باتي ان تثق به وتطمئن له وهي التي عانت ما عانت سابقاً. هل كان جاداً وهو صاحب السمعة السيئة؟.

نظرت باتي الى البروفسور الجالس خلف مكتبه في المستشفى الشهير هارتليك، وهي تنتظر ان يسمح لها بالجلوس.

«آنسة باتي» نظر اليها من اسفل نظاراته السميكة وهو يتأملها جيداً.

«تفضلي بالجلوس ارجوك». ثم اشار لها كي تجلس على الكرسي المجاور لمكتبه.

«يبدو ان ملفك حافل بالأعمال الجيدة يا آنسة..».

«شكراً لك...».

«ولكن هناك اشياء كثيرة لا تعلمين عنها في هذا المستشفى.. وأولها انه مستشفى كبير جداً ومشهور وهو بحاجة ماسة الى الخبرة الكبيرة والعمل المتواصل الشاق».

«اعلم هذا سيدي البروفسور».

«ان تعلمي هذا يختلف عن ان تعملي به... انت كنت تعملين في مستشفى صغير جداً لا يصل بحجم اربعة طوابق من هذه المستشفى».

«اعلم يا سيدي البروفسور بماذا تنصحني».

احست ان هذا البروفسور المشهور يحاول ان يستفزها ويحاول ان يكتشف الى اي مدى هي قادرة على العمل هنا».

«نحن بحاجة لعدد كبير من الممرضات وكل ممرضة عليها ان تعمل بأربعة ايدي وستة عيون وأربعة ارجل، هل هذا كثير عليك».

«لا بالطبع فأنا متعودة على العمل الطويل».

«حسناً اذا تفضلي».

وما هي الا ايام معدودة حتى كانت باتي تتابع تخصصها في مستشفى هارتليك الكبير....

في الممر المنير الطويل كان همها ان تدفع بعربة الضمادات عبر احد الأجنحة، ولكن تلك العربة لم تساعدها للمسير بسهولة ففكرت انه عليها الاستعانة باحدى الزميلات.

«لا بأس باتي يجب ان تنتبهي في المرة القادمة ان هذه العربة غير صالحة للاستعمال... من اين اتيت بها؟».

سألتها احدى الزميلات.

«كان علي ان ادرك هذا منذ ان اخرجتها من المخزن».

«هيا سأساعدك كي نرجعها الى مكانها ونستبدلها بواحدة اخرى جيدة».

ساعدتها الزميلة بعملها وعندما انتهت عادت الى الجناح المخصص لها وهي مرهقة تعبة....

«اوه انه حقاً مستشفى كبير اني اتساءل عن عدد الموظفين فيه... يبدو ان الجميع يعاني مما اعاني منه انا الآن... وما المهم طالما ان العمل هو عمل» كانت تحدث نفسها وهي تجلس على مقعد مريح.

عند الساعة الرابعة تلقت باتي دعوة من احدى الصديقات لحفلة صاخبة تقيمها في منزلها واصرت على حضورها تلك الحفلة.

لقد زعم العديد من الممرضات الاقل رتبة بأنهن كن راغبات في مهنة التمريض منذ طفولتهن. اما باتي فلم تكن تفكر بالتمريض ابداً. فقد كانت آمالها كلها معلقة بالزواج والاسرة والاطفال منذ ان التقت بستيف. وجميع صديقاتها كن قد وضعن المهنة نصب اعينهن. كما كن

www.elromancia.com

يستهزئن بآرائها. باعتبارها آراء عتيقة وبالية. غير انها كانت واثقة من انها ستكون سعيدة كزوجة وسعيدة كأم طيبة. غير ان ستيف تزوج امرأة اخرى فخابت آمالها مما جعلها تكيف نفسها للحالة الجديدة على الرغم من كل شيء... فلم تجد افضل من مهنة التمريض لكي تنسى فشلها في الحب.

اضافة الى ذلك ظنت باتي ان التدريب في المستشفى تعليمي في لندن سيضع مسافة شاسعة بينها وبين لقاء محتمل مع ستيف وزوجته الجميلة.

كانت هارتليك حسن الانتقاء لموظفيه وذلك بسبب تقاليده العريقة ومقاييسه الرفيعة. فقد كان يختار الاكثر جدارة بصورة عامة. لذلك كانت باتي مسرورة بنوع خاص لقبولها في مدرسة التدريب في المستشفى الذي اشتهر بممرضاته اللاتي عرفن بكفاءتهن العالية في جميع ارجاء المعمورة. وكانت باتي تطمح ان تصبح يوماً ما ممرضة مسؤولة عن ادارة جناح. وكانت عاقدة العزم على ان تكون غير مكروهة وغير مخيفة.

كانت الممرضة باركن اكبر قليلاً من زميلاتها في مرحلة السنة الاولى من التدريب والدراسة. وكان تبدو حصيفة وذات عقل متزن. فكانت جميع تقاريرها توضح بأنها ستصبح ممرضة ممتازة. وكان لها اصدقاء كثيرون ولكن حتى هذه اللحظة لم يظهر في حياتها رجل ذو اهمية خاصة. ولعلها ستبرهن على انها واحدة من تلك الفتيات اللاتي يقضين حياتهن من اجل الطب ويعتبرنه هدفاً افضل من الزواج.

لم يستطع احد العثور على الصور الشعاعية المفقودة الا ان احد المصورين اصر على انها قد ارسلت الى كيوري في هذا الصباح. وقد ظهر عليه الاستياء من عدم الكفاءة في التنظيم. وهدأت باتي من روعه وانفعاله وانصرفت تشق طريقها عائدة الى الجناح الجراحي. وما ان وصلت القسم حتى حيتها احدى صديقاتها.

«هلو باتي». فأجابتها عفوياً.

«هلو جواني».

كانت جواني لايدلو ذات مرة طالبة تدرس التمريض ولكنها عجزت عن التغلب على الغثيان الذي كان يصيبها بمجرد رؤية الدم. وعندما خاب طموحها تحولت الى دراسة علم بنية الجسم في الانسان. وقد كانت صديقة لديزي. تقاسمها شقتها في السكن. وكانت هي القلب النابض في حفلة الليلة السابقة. فلاحظت باتي انها لم تكن حتى مثقلة الجفون في هذا الصباح فقالت.

«لا اظن انك ذقت طعم النوم ومع ذلك تبدين وكأنك قد نمت ساعات طويلة... كيف تفسرين ذلك؟». ضحكت جواني وقالت.

«كانت حفلة رائعة. اليس كذلك؟ ولكني سأفقد ديزي بألم لقد قضينا معاً اوقات جميلة... اسمعي يا باتي كنت افكر مع نفسي... ما رأيك بمقاسمة الشقة معي بعد ان تنتقل ديزي الى بيتها الجديد؟ فأنا لا استطيع تحمل الايجار وحدي... وليس هناك افضل منك ليشاطرني السكن.

كانت باتي تتوقع مثل هذا الاقتراح من صديقتها. وفي

www.elromancia.com

الحقيقة كانت تتوقعه منذ ان سمعت بمشروع زواج ديزي. غير ان الرئيسة كانت تفضل سكن ممرضات السنة الدراسية الاولى داخل المستشفى الا اذا كانت لهن بيوت عائلية على مقربة من المستشفى. وكانت باتي تسكن مع ثلاث بنات في دار الممرضات في شقة مريحة وملائمة ورخيصة وهي منسجمة مع زميلتيها. اما السكن مع جواني فله فوائد اخرى. لان الاخت فرتون مشرفة الدار ترعى الجميع كأم حنون وتراقب شؤون الدار بعناية. ولكن باتي شعرت بأنها قد تخطت تلك المرحلة وكبرت الى حد الاستغناء عن الرعاية الخاصة. وانها ليست تلك التلميذة المشاكسة على الرغم من كل شيء سليم.

لم يكن لباتي كثير من الصفات المشتركة مع زميلاتها الشابات فكان من الطبيعي ان تنجذب الى تكوين صداقة مع ديزي وجواني اللتين كانتا في سن مقاربة لسنها. فسيكون سكنها مع جواني شيئاً لطيفاً، وخصوصاً ان الثانية لها حشد من الصديقات اللاتي يحببن الحفلات. كما سيكون من المبهج لها ان تستضيف صديقاتها تحت سقف مستقل بعيد عن انظمة المستشفى الصارمة. وبعد كل هذه الافكار التي مرت بذهن باتي بسرعة البرق قالت «ساحتاج الى موافقة الرئيسة... ولكني لا افهم لماذا قد ترفض... فانا الآن قد بلغت من العمر ما يغنيني عن رعاية الآخرين... شكراً يا جواني... لقد راقت لي الفكرة كثيراً» ثم انصرفت باتي الى داخل الجناح.

وبعد بحث متسم بالانفعال الشديد تم العثور على الصور الشعاعية. لقد كانت قد حشرت بشكل غير متعمد في ملف مريض آخر. وهذا الخطأ ارتكبته جنيفر نيل التي شعرت بشيء من الارتباك دون ان تعترف بخطئها. وحملت باتي الملف بأمر من جنيفر نيل الى الممرضة المسؤولة.

كان السيد مانتك وطلابه مجتمعين حول سرير احد المرضى. وكانت الممرضة المسؤولة معهم. فمن واجبها ان ترافق الخبراء المستشارين عند زياراتهم. وكانت ممرضة اخرى مسؤولة عن عربة الملفات المرصوفة باناقة وذوق سليم. فحاولت باتي ان تخفي نفسها عن الانظار الشعاعية بيد المسؤولة وانصرفت. وهنا جذب انتباهها مريض يرقد في السرير المجاور للسرير الذي يلتف حوله المستشار وطلابه. وكان هذا المريض قد بدا كئيباً بشكل واضح فاتجهت باتي اليه.

«ما جرى يا سيد ولس؟ الست مرتاحاً؟».

تعلق بذراعها بتهور بينما انسابت الدموع من عينيه وقال «انه يقول ان ساقي يجب ان تبتر».

قال هذا واومأ برأسه ناحية المستشار ذي القامة الطويلة وتابع قوله «انا لا استطيع ان اتحمل ذلك. فانا جبان... انا دائماً جبان».

فاجابته برقة متناهية «انا واثقة ان هذا غير صحيح».

وتذكرت كيف كان قد تمل بشجاعة آلام الغرغرينة في اصبع قدمه ثم تابعت تقول «اعني انه كان ينبهني الى ذلك».

«ولا انا عندما دخلت المستشفى والا كنت قد هيأت

نفسي . . . ولكن ليس لبتر ساقي ان ذلك شيء مفزع».

اجابته ببؤس «طبعاً ان تلك لصدمة لك . . . وان السيد مانتك قلق جداً. ولكن ان كانت المسألة هي مسألة حياة او موت فليس لديك خيار آخر . . . اليس كذلك؟» وابتسمت له بحنان وتعاطف كبيرين وقالت «ساكون دائماً قربك لاساعدك يا سيد ولس . . . ولكن بشرط ان لا تطارد الممرضات بساقك الصناعية بعد اجراء العملية . . . عدني بذلك . . . وصدقني ساكون قربك».

ابتسم بشحوب من ظرافتها وتفاؤلها. فهو في السبعين من عمره وقد تجاوز مرحلة مطاردة الفتيات ولكنها امرأة لطيفة تتحدث مع المرضى بحنان. وربتت على يده بمشاعر ودية وبطريقة ملؤها التفاؤل . . . لقد كانت صدمة حقاً ولكن الاطباء يعرفون ما يفعلون. وقد عادت اليه الثقة بمستشفى هارتليك. اذ ان هذا المستشفى قد مرت به حالات مرضية صعبة فلم يخيب آمال احد من اصحاب تلك الحالات . . . وكانت باتي مهتمة بهذا الرجل حقاً . . . فقد ادركت انه قليل التشكي عكس كثير من المرضى الذين ارعبتهم صراحة المستشار وتصرفاته بحيث يرفض مناقشة ما كان يقوله للمريض ان اخفق الاخير في الاستجابة. لأن هذا المستشار بالذات يفترض ان المريض قد هيء نفسياً لتقبل الخبر من قبل الممرضة المشرفة او الموظف الصحي. وفي الحقيقة في هذه الحالة كانت الصدمة والفزع هما اللذان ابقيا المريض صامتاً ومذهولاً. فهرولت باتي الى جنيفر نيل مضطربة وقالت لها «ان السيد ولس

قلق جداً. لقد تناهت الى سمعه اخبار سيئة عن ساقه. فهو مضطرب جداً بسبب ذلك. كانت صدمة عميقة بالنسبة له. هل تعتقدين ان السيد لويس سيصف له مهدئاً».

اجابتها بانفعال «انتن ممرضات السنة الاولى يصيبكن الغرور كل يوم» كانت جنيفر نيل سريعة الغضب ومشغولة واحياناً متشاغلة فلا تدري ماذا تقول. ومع ذلك تابعت «انا واثقة من ان الاخت المسؤولة تعرف حالته النفسية جيداً وانها ستتحدث مع الموظف الصحي ان اعتقدت ان ذلك ضروري . . . يبدو انك تظنين نفسك هبة من الله في دنيا التمريض. فليكن معلوماً عندك اننا كنا نتدبر امور هذا الجناح بكل نجاح وعلى ما يرام قبل مجيئك».

«نعم . . . نعم . . . هذا واضح . . . اني آسفة».

وبخيبة أمل استدارت باتي الى الوراء وانصرفت الى عملها متسائلة عن سبب هذا الموقف الغريب من جانب الممرضة المشرفة. فلعل ما يقال عنها كان صحيحاً. فكل الشائعات تقول انها نبذت من قبل رجل كان يحبها، وتحول عنها الى امرأة ذات بشرة مشابهة لبشرتها هي. فذلك قد يفسر سبب هذه الكراهية وهذا العداء اللذين تكنهما لها.

كانت باتي مسرورة لأنها لم تمتعض من كل امرأة ذات شعر اشقر التقت بها لمجرد ان ستيف كان قد وقع بتهور في حب ابنة عمها الشقراء وتزوجها. ان كثيراً من صديقاتها في مستشفى هارتليك شقراوات . . . فيا للسخرية. صحيح ان الحب جلاب المتاعب، اكثر من كونه مصدراً للسعادة

www.elromancia.com

لذا لم يكن غريباً ان تتجنبه في المستقبل. فهي اكبر سناً من معظم البنات اللاتي جئن للتمريض. فكانت تقول بمناسبات عدة ان السنوات الخمس بين الثامنة عشر والثالثة والعشرين هي عمر من التجارب التي كان بعضها مفيداً جداً.. ومن دون ريب لم تكن باتي فتاة ساذجة كبعض بنات مجموعتها اللواتي كن يتأثرن بسهولة وبشكل غير ملائم، بكلمات الاطراء والغزل من جانب الطلبة والموظفين الصحيين. فهي لم تستجب للغزل ولم تشجع المعجبين. حتى لم تدع لهم مجالاً لكي يتوقعوا منها علاقة ودية... لقد جاءت الى هارتليك لتقوم بالتمريض لا لتكون متعة الاطباء. هذا ما كانت تؤكده باستمرار وعلى شفتيها ابتسامة تنتزع اللسعة من الكلمات. ولم تضف الى هذا القول ما كان يمكن ان تقوله من ان قلبها لا يتسع لرجل آخر غير ستيف. وعلى الرغم من ان ستيف هو الآن متزوج الا ان خمس سنوات من الحب لا يمكن ان تزول من ذاكرتها... من المحتمل ان تكون احلامها الفتية قد تلاشت ولكنها لا تستطيع ان تنسى ستيف الذي احبته من كل قلبها... وانها لا تستطيع ان تحب اكثر من رجل واحد... وبعد كل هذا ابدا لها ان مستقبلها يكمن في التمريض. وبصفتها باتي فقد صممت على ان تكون ممرضة جيدة. فهي عازمة على ان لا تتزوج ابداً وبرغم كل شيء... ومثلما كان الحب يوماً هدفها الوحيد اصبح التمريض الآن هدفها الاوحد الذي يستقطب كل قواها والذي من اجله تكرس حياتها.

وبينما كانت سائرة على طول الممر متجهة الى غرفة الممرضات لاستراحة قصيرة رأت رجلاً طويل القامة وجذاباً جداً يخرج من احد الردهات الجانبية. فهو آيفور مينارد المعروف بساحق القلوب في مستشفى هارتليك، ولم يكن لباتي اي وقت للتفكير بامثاله. فقد كانت سمعته سيئة. فهو طائش في علاقاته الغرامية التي دائماً تكون قصيرة الامد. وخصوصاً مع الممرضات المتدربات والساذجات اضافة الى كونه وسيماً وجذاباً وشديد الثقة بنفسه. وقد طفت على منزلته الرفيعة صفته كجراح بارع وحريص على انجاح العمليات الجراحية التي يقوم بها. لقد كان ذا درجة ادنى من الدكتور اوليفر ماننك المستشار الذي كان قد تزوج حديثاً من احدى الممرضات، مثيراً بذلك اوهاماً وتخيلات رومنسية بين ممرضات هارتليك.

لقد احتل العزاب الوسيمون والمرغوب فيهم من امثال آيفور مينارد المقام الاول في اهتمام الممرضات، ولكن باتي لم يخفق قلبها يوماً له او لغيره. ولم تتسارع نبضاتها لتدفعها لالقاء نظرة على عينيه السوداوين المائلتين للزرقة او متطلعة لواحدة من ابتساماته الأسرة والفاتنة. انها تعترف بانه جذاب بشعره المتموج والاجعد. وابتسامته الرائعة وعينيه العميقتين ونظراته الساحرة. وفتنة قامته الرشيقة التي لا يمكن نكرانها من قبل اية ممرضة سريعة التعاطف. ولكنها كانت في الوقت نفسه تحتقر استغلاله لبراءة بعض الممرضات وقلة تجاربهن... لقد سحق كثيراً من القلوب منذ ان جاء الى هارتليك.

قد تكون الشائعات مصدراً غير موثوق للمعلومات ولعل حالات استغلاله للممرضات قد بولغ فيها كثيراً ولكن لا دخان بدون نار كما يقول المثل. . . ففي الواقع لم يساور باتي اي شك في انه كان رجلاً شهوانياً وفاسقاً يمسك فريسته من دون اي اكتراث بالعواقب. وكان هذا واضحاً عليه من رأسه حتى اخمص قدميه. وقد شعرت باصرار انّه ليس من النوع الذي يمكن احتسابه من اصدقائها.

قال «انا بحاجة الى مساعدتك ايتها الممرضة».

وبطريقة خالية من الكياسة مسك بذراعها ودفعها الى غرفة صغيرة. . . وكان بامكانها ان تغتاظ من تصرفه وعجرفته من تلك الطريقة السمجة التي مسك بها ذراعها فسببت لها بعض الألم. ولكنها ادركت الحاجة الملحة اليها من صوته الخفيض الذي شرح لها حالة المريض.

كان المريض هو السيد فيلدنك وهو رجل ضخم عمل سنين طويلة على ارصفة الموانىء. وقد خضع لعملية جراحية خطيرة في معدته في اليوم السابق. وقد اربكته الادوية المسكنة، فحاول مغادرة السرير ساحباً انبوب التصريف، مزيحاً بذلك محقنة الوريد. فاحتاج آيفور الى مساعدة ولم يكن هناك وقت للانتظار حتى تظهر في الممر ممرضة متمرسة. لقد كان الدكتور بحاجة الى زوج الايدي، وفي الواقع لم يكن من الضرر ان كانت هذه الايدي لممرضة في السنة الاولى او كانت ممرضة مسؤولة عن جناح. ان نظرة واحدة اخبرته ان باتي كانت ممرضة في السنة الدراسية الاولى، ولكن هذا غير مهم. فان كل ما

عليها هو ان تنفذ اوامره وتعاليمه ليس اكثر.

استطاعت باتي القيام بالمهمة بنجاح تام وشعرت بانها ابلت بلاء حسناً. . . ولم يقل لها آيفور مينارد شيئاً اكثر من انه كان بحاجة الى مساعدتها. وكان تصرفه موضوعياً تماماً ومركزاً على ما كان يؤديه من واجب ازاء المريض. وفي تلك اللحظة وصلت جنيفر نيل.

بعد تبديل المحقنة من قبل ممرضة في السنة الثالثة كانت هناك بالصدفة اعادت ربط المحقنة وعاد الانبوب الى مكانه كما كان في حالته الاولى. وكان المريض قد هدأ بعد ان اطلق سيلاً من الشتائم احمر لها خدا باتي خجلاً.

فقالت جنيفر نيل بحدة وبلهجة تخلو من الود «حسناً ايتها الممرضة. ساتولى الامر بنفسي».

الا ان عينيها كانتا تتقدان غضباً وخصوصاً عندما استقرتا على آيفور مينارد الذي لم يرفع بصره عندما خطت باتي الى الوراء لتفسح المجال لجنيفر نيل حتى تأخذ مكانها. غير ان الاخيرة قالت لباتي «غير صدريتك هذه قبل ان تقومي باي عمل آخر.

اجابتها «سمعاً وطاعة. . . وشكراً».

كانت الاستجابة تلقائية، هكذا يجب ان تطيع، لأن تنفيذ اوامر المسؤولين امر ينبغي ان تتعلمه الممرضة قبل كل شيء. واسرعت باتي الى خارج الغرفة ومضت لارتداء صدرية نظيفة. وتبع آيفور بنظراته ذلك القوام الممشوق والفتاة بثوبها الازرق ذي الاكمام المنفتحة والياقة الصغيرة والحزام المناسب لممرضات السنة الاولى.

www.elromancia.com

لم يتبن مستشفى هارتليك الزي القومي لممرضاته فكان الزي المميز لهن جزءاً من تقاليده العريقة. وتساءل آيفور مع نفسه، كيف استطاعت الاحتفاظ بتلك القبعة الصغيرة والمضحكة في مكانها، وهو امر بدا له غاية في الصعوبة. ولكنه اقنع نفسه بانه يستطيع ان يميز تلك الخصلات النحاسية اللامعة في المرة القادمة سواء كانت ترتدي صاحبتها قبعة ام لا.

كانت فتاة فاتنة جداً وقد لاحظها في الجناح الجراحي ولكن ليس هناك ما يدل على انها وقفت في طريقه عن عمد. ان الممرضات الصغيرات السن كن دوماً ينصرفن عن اعمالهن لجلب انتباهه وكان يسره ان يرضيهن بقليل من التملق والاطراء والغزل والكلام الحلو. واحياناً كان يتمادى اكثر فيغامر غير مهتم باستياء الرئيسة او تأنيب السلطات الاعلى في المستشفى، وكقاعدة كانت الممرضة الضحية هي التي تمثل امام الرئيسة لتتلقى انذاراً او عقاباً. وان كانت حمقاء بما فيه الكفاية تتلقى الانذار فخورة بصداقتها مع احد اعضاء الهيئة الطبية. وقالت له جنيفر نيل بامتعاظ وهي تدس المقص في يده.

«الممرضة باتي باركن حديثة العهد جداً بالمتريض... واخشى ان لا تكون ذات فائدة كبيرة لك. فلم بالله عليك لم ترسلها في طلبي او طلب احدى الممرضات المتمرسات.

اجابها آيفور مادحاً «لقد احسنت صنعاً انها ذكية واتوقع لها مستقبلاً في التمريض انها ستكون ممرضة صالة

عمليات ممتازة يوما ما».

فقالت بلهجة لاذعة «اذا استطاعت اكمال فترة التدريب،، غير ان هذا النوع من الفتيات يأتين للحصول على زوج فحسب... وهذا ما اخشاه».

فابتسم آيفور قائلاً «انها محبوبة. اليس كذلك؟».

ارتسمت الغيرة على وجهها بوضوح، فهي لم تكن قد خرجت معه غير مرتين او ثلاث ولكنها كالعديد من الاخريات كانت قد بدأت تشعر ان لها الاسبقية بالاستئثار باهتمامه وانتباهه بها. فقالت.

«يكون هذا النوع من الممرضات اكثر مما ينبغي مصدراً للازعاج في الجناح الجراحي ا لذي تستمر فيه الحركة. فان الطلبة يجدون له دوماً حججاً تافهة للتردد الى هذا الجناح فيضيعون وقتهم ووقتها سدى. كما انها تثرثر ما المرضى وتستغرق وقتاً طويلاً جداً في تنفيذ الاعمال. ان المسؤولة بيرسيفال متساهلة معها اكثر من باقي الممرضات المستجدات».

انحى آيفور رأسه بشرود وراح ينظر بامعان الى الانسياب المستمر للحقنة واتجه نحو الباب قائلاً «انه على ما يرام الآن ولكني اريد ان يراقب بعناية عن كثب لمنعه من مغادرة السرير ثانية. اهتمي بالامر... هل سمعت؟» لقد تعمد ان يكون رسمياً باصدار امره.

فاجابته «نعم... بالطبع يا سيد مينارد».

كانت نيل رشيقة وذات كفاءة عالية ومدربة تدريباً جيداً. وقد تذكر آيفور الحماسة التي ابدتها في تشبثها به خلال

www.elromancia.com

لقائهما الاخير. ودهشته من الجبل الثلجي للجناح... وكيف يمكن ان يكون قادراً على اظهار كل تلك العواطف وكل ذلك الهيام. لقد كان حذراً بشكل غريزي من التوتر الانفعالي الذي بدأ يلمسه. لذي لم يكن في عجلة من امره لاعادة التجربة.

وغادر الغرفة متجهاً الى اقرب هاتف وكان يتحدث عندما خرجت ذات الشعر الاحمر الجميلة من الغرفة التي كانت الممرضات الادنى رتبة يحفظن فيها صداريهن وقبعاتهن، والقت اليه نظرة عرضية فغمز لها. فاسرعت باتجاه الابواب الدوارة للجناح الرئيسي. لم تبد اي قدر من الاهتمام حتى بنظراته المعجبة. فتخيل انه سيقيس ذلك الخصر النحيف بيديه يوماً. لقد رأى ان عينيها خضراوان وغير عاديتين ومدهشتان واخاذتان ومهدبتان برموش سوداء كثيفة.

«ساكون هناك حالاً».

كانت هذه آخر جملة قالها في الهاتف ثم وضع السماعة حين وصلت باتي قربه فابتسم لها واصطف الى جانبها وقال «الممرضة باركن؟ اليس كذلك؟».

ونظر اليها دون ان تثنيه آداب السلوك التي تقضي بان لا ينشغل الاطباء الاخصائيون باحاديث خاصة مع ممرضات الجناح. ونظرت اليه باتي باحتراس وهي في ريب من ذلك الوهج الصادر من عينيه السوداوين... ولم يسرها اهتمامه بها فهي تفضل تجرد الاطباء والممرضات من العلاقات الخاصة وتحبذ موضوعيتهم في العلاقات المهنية لذلك

قالت بنبرة غير مشجعة.

«نعم».

اجابها «انت حديثة العهد في الجناح الجراحي... اليس كذلك؟... وكذلك بالنسبة للتمريض. واخشى ان اكون قد القيت بك في اللجة العميقة ولكن ينبغي ان تتعودي على ذلك. فاما ان تسبحي واما ان تغرقي... ولكنك احسنت صنعاً».

«لم يكن ذلك معقولاً جداً» قالت ذلك بنوع من الفظاظة متجاهلة قواعد السلوك التي تقضي بعدم انتقاد الممرضات المستجدات الاطباء الاخصائيين وتابعت «كان من الممكن ان ارتكب اسوأ الاخطاء».

ازدادت ابتسامته عمقاً وقال «لكنك لم تفعلي ذلك. لقد كنت بالمستوى المطلوب. نحن بحاجة الى المزيد من امثالك بين الممرضات».

وتغضنت عيناه في الزاويتين بنفس الطريقة التي كانتا قد اوقعتا بفتنتهما وتأثيرهما عدداً كبيراً من النساء وتابع يقول «ليتك كنت تبهجين نهاراً طيباً بوجهك الجميل».

نفذ صبرها ولاح القلق في عينيها وقالت بهدوء «ما جئت الى هارتليك لابهج النهار لك او لاي طبيب آخر. انا مهتمة بالمرضى وانعاشهم قبل اي شيء آخر. فلا تضيع وقتك ولا وقتي في التملق والمجاملة».

كان كلامها اذلالاً له ينبغي الا يتركه في شك من انها غير مهتمة به. واندفعت من خلال الابواب الدوارة الى داخل الجناح الجراحي. فشعر آيفور بانه منبوذ وكانت

www.elromancia.com

تجربة جديدة له. فقبل باتي كانت النساء تستجبن له تماما عند اول ابتسامة او كلمة. ولكن يبدو انه لم يكن اي وميض من الاهتمام في عينيها الفاتنتين نحوه. فشعر انهما قد نفذتا الى اعماقه واحتقرتا ما وجدتاه في تلك الاعماق فازداد اهتمامه هو بها. فلم تكن امرأة جميلة فحسب وانما كانت ناضجة ايضاً وواثقة من نفسها الى درجة لا يمكن التأثير عليها بسهولة عن طريق فتنته الشخصية التي اكسبته اي امرأة ارادها فيما مضى. فموقفها كان تحدياً حقيقياً لرجل مثل آيفور. غير ان الاطباء الذين هم في درجة مسجل مشغولون جداً، وآيفور واحد منهم لم يكن بمقدور احدهم ان يقضي بقية كل صباح في كيوري على مرأى ومسمع من ممرضة لم يعرف بعد حتى اسمها الاول... وتذكر في تلك اللحظة التي امتهنت كرامته فيها انه مطلوب للحضور في العيادة الخارجية. وفي الحقيقة قد فات موعد حضوره. وبينما كان يشق طريقه الى ذلك القسم المتصل بالحركة والزحام وبعياداته العديدة والمتنوعة والصفوف المنتظمة للمرضى استطاع ان يستعرض في ذهنه ما حدث له في هذا النهار وما هو مطلوب منه في بقية يومه.

عليه ان يتناول وجبة غداء سريعة يعقبها اجتماع مع اوليفر مانتك واعضاء فريقه قبل البدء بتنفيذ العمليات المسجلة في قائمة طويلة. واخيراً يتعين عليه القيام بزيارة اخرى للردهات لتفقد احوال المرضى الذين اجريت لهم عمليات جراحية ويناقش اساليب العناية بهم وطرق معالجتهم مع الممرضة المسؤولة عن الجناح الجراحي.

فكل الدلائل تشير الى ان نهاره هذا سيكون محموماً الى حد لا يستطيع معه ان يجد الوقت الكافي للتفكير بممرضة نحاسية الشعر... ولكن من المحتمل انه سيتذكرها عندما يكون منقطعاً عن العمل وقادراً على الاسترخاء.

www.elromancia.com

- ٢ -

لقد التقى قبل اليوم بالعديد من النساء السهلات للانقياد الا ان الممرضة الفاتنة باركن شدت اهتمامه بقوة. فهي جذابة اكثر مما ينبغي ورقيقة الى حد الشفافية ومع ذلك فهي غير مكترثة به كما يبدو. وقد انتبه الى انها لم تكن تلبس خاتم زواج ولا خاتم خطوبة. وانما تلبس من الحلي ما هو مسموح به للممرضات. ولكن لم يخامره شك بوجود خاتم معلق بسلسلة حول عنقها. فهل هو خاتم خطوبة؟ قد يكون كذلك. فطبقاً لتجاربه كانت النساء يسرعن باخباره واخبار العالم كله انهن مخطوبات. غير انها ربما حذرة منه بسبب سمعته,غير المشرفة. فكان يعرف لقبه ساحق القلوب ولكن ليس من الانصاف ان تضعه الشائعات في

الدرك الاسفل من السلوك. فهو ينطلق متعمداً لسحق القلوب ولكن ليس له ذنب في جعل الفتيات اللدنات وسريعات التأثر يقعن بسهولة في حبه ويبنين آمالا وهمية واحلاماً سعيدة على اسس وهمية. فهو لم يشجع اية امرأة على حبه او يصور لها انه سيتزوجها. ففي الحقيقة كان سلوكه يعتمد على ايضاح الامور من البداية، فيعترف بكل صراحة انه رجل غير راغب في الزواج. وقد حيره كون ذلك لا يحول دون خروج البنات معه او وقوعهن في حبه.. اليس ذلك من سوء حظهن؟.

ولكن الشيء المزعج بالنسبة لآيفور هو اضطراره الى انهاء علاقته بالامرأة عندما تصبح مشاعرها قوية تجاهه وقد خسر العديد من معشوقاته بهذه الطريقة. فهو لم يفكر بالزواج ابداً ولم يكن من ذلك النوع من الرجال القادرين على الاستقرار مع امرأة واحدة لأية فترة من الزمن. اما بالنسبة لمهنته فقد كان ناجحاً في عمله وطموحه. فهو يعلق آمالاً كبيرة على ان يصبح خبيراً مستشاراً في الوقت المناسب. لذلك كان بحاجة الى كل طاقاته وحماسه لعمله وعلمه. وبتعبير اكثر بساطة انه لم يستطع ان يلزم نفسه بذلك النوع من الحب الذي يمهد السبيل الى الزواج. كان رجلاً شهوانياً ومولعاً بمعاشرة النساء يتصيد كل من تقع في متناول يده ويتمتع بها. ولكنه لم يكن مختصاً بامرأة واحدة محظية كانت او معشوقة. علماً انه كان يشعر بشيء من المسؤولية تجاه بعضهن فكان مستعداً للترحيب بأية علاقة طويلة الامد على الا يطالب باكثر مما ينبغي. كم تمنى في

www.elromancia.com

قرارة نفسه ان يلتقي بامرأة تحمل نفس مشاعره؟.

اما الطرف الآخر... باتي... فهو طرف جديد بالنسبة لتجاربه، ومع ذلك لم تكن تقصد اعطاءه فكرة مغايرة عندما تركته مهاناً وتوجهت الى الجناح الجراحي. وكان بامكانها ان تنسى لقاءهما لولا ان جنيفر نيل قد نسفت احتمال النسيان من اساسه. فقد تبعتها هذه الممرضة المسؤولة الى داخل الجناح بهياج وغضب. وبينما كانت مشغولة في غرفة الاجهزة استطاعت ان تميز الاصوات دون ان تكون على مقربة منها الى حد انه كان بامكانها ان تفهم الكلمات. وبما انها على المام تام بشخصية مينارد لم يساورها شك في انه كان يسعى لاقناعها بالاجتماع به خارج المستشفى. وقد كان يغيظها كل شيء يتعلق بباتي، ثقتها بنفسها، وشخصيتها المفعمة بالحيوية، وشعرها الزاهي والمتألق، فتنة عينيها وسحرهما، والشعبية التي كانت تتمتع بها بين زميلاتها، والاعجاب الذي اثارته بين المرضى. واضافة الى ذلك ان الذكور في الهيئة العاملة داخل المستشفى يثقون بها ويقدورنها. وبشيء من الحسد كانت نيل تعترف مع نفسها ان عملها كان مرضياً وهي تعتني بالمرضى بالوجه الصحيح. وكل الدلائل تشير الى انها ستصبح ممرضة جيدة وقادرة على الوفاء بالتزاماتها. ولكن يبدو الآن من وجهة نظر جنيفر نيل ان باتي لم تأخذ الامور بشكل جدي، فعليها ان لا تتسامح معها. وان لا تسمح لها بفتح ثغرة في قواعد السلوك المرعية في المستشفى فنادتها.

«ممرضة باركن».

فالتفتت باتي اليها ممتثلة وهي تقول «نعم ايتها المشرفة».

فقالت جنيفر وعيناها متقدتان حقداً «كم مرة ينبغي ان احذرك من هذا الامر؟» دهشت باتي ايما دهشة وهي في حيرة وتساءلت «اي امر؟ لا افهم قصدك؟».

«لا تمثلي دور البريء المضطهد. فانت تتسكعين دوماً في الممر لتجذبي انتباه اي شيء يظهر امامك في سترة بيضاء. لقد حذرتك من التحدث مع الاطباء، وستجدين نفسك امام الرئيسة اذا اصررت على الاستهزاء بالقوانين... ان البنات من امثالك يجعلنني اصاب بالغثيان ولست ادري لماذا تزعجين نفسك بالتظاهر في انك مشغوفة بالتمريض في حين انت مشغوفة بشكل واضح بلقاء الرجال.

تملك باتي الغيظ ولكنها بقيت هادئة والتقت عيناها بعيني جنيفر نيل التي وجهت اليها اتهامات باطلة واجابتها بحصافة قائلة «يا آنسة نيل... عفواً يا سيدتي، من حقي ان اتحدث مع اي شخص يبادرني بالحديث، ان كان من المرضى او الاقارب او الاطباء او الموظفين الصحيين او اي احد... ان طبيعتي ودية ولست متعجرفة كغيري».

فقالت المشرفة بغضب «انت عابثة.

رفعت باتي احد حاجبيها بدهشة وقالت «ان بضع دقائق من الحديث مع رجل لا يجعلني عابثة كما تعلمين».

فقالت جنيفر بلهجة لاذعة «انت متيمة بالرجال».

اجابتها باتي «لا اعير اي اهتمام لما تقولين وانت منفعلة... فكل ما قلته من شأنك انت».

«اوه... هل تعلمين ان لم تتصرفي حسب الانظمة يمكننا الاستغناء عن امثالك هنا في هارتليك... هل فهمت؟».

استدارت باتي وانصرفت مرتبكة ومرتكبة مخالفة نظامية هي عدم انتظارها لكي تصرف من قبل المشرفة فنادتها الاخيرة «ايتها الممرضة... عودي الى هنا».

تجاهلت باتي هذا النداء الرسمي. اذ لم تجد اي مبرر لكي تسمح لنفسها بان تهاجم بالفاظ نابية من قبل ممرضة تستغل مركزها باستهتار امام مرأى ومسمع من المرضى الذي كانوا يراقبون ويتساءلون، وربما كان بمقدورهم ان يسمعوا ما يدور من كلام غير لائق ولكنهم من دون ريب قد لاحظوا ان جنيفر كانت في حالة من الغضب الهستيري، فسمعت السيد بروس المسن يقول لها بتعاطف عندما توقفت لتلتقط جريدة ملقاة على الارض.

«هذه المرة ايضاً قد اغتاظت منك فتاة؟... ان تلك المرأة لا تحب احداً... اليس كذلك؟ لا يهمك ذلك... انها تتصرف بحماقة».

ابتسمت باتي له وقالت برقة «ان من واجبها تقويمنا وارشادنا» ورتبت وسادته وأغطية سريره وساعدته على الاستقرار في فراشه بشكل مريح مصغية اليه نصف اصغاءة وهو يحدثها عن ابنته التي كانت قادمة لزيارته في هذا المساء.

علمت باتي ان جنيفر نيل طافت الجناح الجراحي باحثة عن الممرضة المشرفة فظنت انها ستهتدي قريباً الى المكتب ولكنها كانت مقتنعة ان ضميرها نقي. غير انها تستطع ان تتمالك نفسها من الشعور بالقلق. فهي تعلم ان الممرضة نيل قد قابلتها بالكره منذ ان وطأت قدماها هذا المستشفى، وكانت باتي قد ارادت ان تكون على وفاق مع الجميع الا ان تصميم جنيفر نيل على انتقاد كل اعمالها قد ازعجها كثيراً، وقد تعدى ذلك اليوم الى انتقاد سلوكها بغض النظر عن كفاءتها وحبها لعملها.

لا ريب ان المسؤولة بيرسيفال قادرة على اصدار الاحكام بنفسها ولكن الجزء الكبير من مسؤولية تدريب الممرضات الاقل رتبة يقع على عاتق الممرضات الاقدام، فتقرير المسؤولة عن اعمال باتي قد يتأثر بما ستسمعها من جنيفر نيل، لذلك كانت قلقة حذر ان يكون التقرير عنها وعن عملها في هذا الجناح سيئاً، فتنهدت وقالت لنفسها «لا بأس ايتها البنت... لا بأس... انهم لا يقدرون على اصطيادك».

وقال السيد بروس معزياً وهو يربت على يدها «انه لامر مخز ان يعاملوكن انتن الممرضات بهذه الطريقة ويضايقوكن من اعلى التل او اسفل الوادي في مثل هذه الصفاقة» وفجأة سمعت صوتاً يقول لها «يا ممرضة باركن المسؤولة تريد ان تراك في مكتبها باسرع وقت ممكن».

كان الصوت صادراً من ممرضة في المرحلة الثانية من التدريب، نطقت به وهي تعدو مسرعة دون ان تجد متسعاً

من الوقت حتى لكي تبتسم ابتسامة مواساة.

طرقت باتي باب المكتب ودخلت لتواجه مصيرها... وكانت المسؤولة بيرسيفال مشغولة ببعض الاعمال الكتابية الرتيبة والتي كانت تستغرق الكثير من نهارها. فرفعت نظرها الى باتي وابتسمت فشعرت الاخيرة بارتياح ملحوظ. فقالت لها المسؤولة بطريقتها الودية.

«اوه... ايتها الممرضة... هل افهم انك فقدت فترة استراحتك؟.. اخبرتني الممرضة نيل انك ساعدت السيد مينارد بالاعتناء بمريض اثناء غياب الممرضة الاقدم».

اجابتها «نعم... ايتها المشرفة».

«اظن انك استفدت من تلك التجربة. ان السيد مينارد هو من افضل اطبائنا لهذا السبب اميل الى غفران التأثير القابل لفتنته على عدد كبير من ممرضاتنا».

ثم تألقت عيناها مستطردة «انا لا اغفر لممرضاتي بسهولة ان كان عملهن او سلوكهن يدفعهن الى دفع ثمن غير مشرف... انا قد افهم ولكني لا اغفر» كانت نبرات كلماتها لطيفة وودية للغاية ولكنها تحمل تحذيراً واضحاً... ثم تابعت قولها باهتمام.

«ينبغي ان تأخذي فترة استراحة ايتها الممرضة... وبامكانك اخذها الآن».

«نعم... شكراً ايتها المسؤولة» قالت هذا واتجهت نحو الباب ولكن صوت بيرسيفال الناعم اوقفها وهو يقول «ستعتذرين للممرضة نيل... بلا شك... وقد تشعرين ان تصرفك له ما يبرره ولكنك نسفت سلطتها بوضوح امام

المرضى... ينبغي الا يحدث ذلك ثانية».

فاجابت بتواضع ثم انصرفت «كلا... انا آسفة ايتها الاخت».

في غرفة الممرضات المتدربات صنعت باتي لنفسها القهوة وهي تشعر بالمودة تجاه المرأة التي استمعت الى اقوال جنيفر نيل واتخذت قرارها الخاص. ولم تعبأ بما فكرت نيل بالموضوع. ولكنها اهتمت كثيراً بالرأي الطيب الذي ابدته المسؤولة بيرسيفال... وبعد قليل بحثت عن الممرضة نيل وقدمت لها اعتذارها الذي استقبلته ببرودة، وبعد ذلك كانت باتي في قمة النشاط طول بقية النهار.

كان الجناح الجراحي يعاني من نقصاً في الملاك. لا شك في ذلك. فهناك خمسة مرضى ضمن قائمة العمليات وثلاث حالات ادخال طارئة عصر ذلك اليوم. ولكن باتي ادركت ان جينفر نيل كانت تثقل كاهلها بالعمل عن عمد. فطلبت منها ان ترتب الاغطية وتفحص المساند في الأسرة وتنظف الاجهزة وتعقم الآلات وتحمل الرسائل والاستمارات الى مختلف اقسام المستشفى وتصنع الشاي وتقدم العون للزائرين. فكل الاعمال الشاقة من نصيبها غير انها لم تتذمر لحظة واحدة. وكان المرضى يفتقدون احاديثها الودية وهي منصرفة الى اعمالها. وارتباط المرضى بها يعود الى ثرثرتهامعهم خصوصاً عندما يكونون بحاجة الى كلمات ملاطفة او استثارة همم في نفوسهم تمنحهم الشجاعة في تحمل المرض. بمجرد ان تنطق بكلمة واحدة كانت كلمتها تنقذ المريض من الخمول الناتج عن تأثير

www.elromancia.com

العقاقير. ولكنها في الوقت نفسه كانت مستمعة جيدة ايضاً. فهي لم تبخل بوقتها امام مريض يشعر بضرورة التحدث عن نفسه او امه او زوجته. فكانت تصغي باهتمام حتى لو كان لديها واجبات تتطلب الانجاز. فهي تعلم جيداً ان هنالك حالات يستحيل عليها تجاهل احتياجها الى المواساة او اعادة الطمأنينة الى القلوب اليائسة. فمجرد كلمة ودية ورقيقة قد تجعل مريضاً يحس انه انسان لا مجرد اسم بين الاسماء، ولكن عندما كانت تشعر بان الممرضة جنيفر نيل او المسؤولة بيرسيفال تراقبانها عن كثب كانت تؤدي واجبها تماماً كما تتطلبه الانظمة القاسية. ثم تنتظر انقشاع الغبار.

لقد كانت متعبة جداً في نهاية ذلك النهار وهي تنتظر مساءً هادئاً وليلة مبكرة. وكانت على وشك ان تذهب للاستراحة عندما عاد آيفور مينارد الى الجناح الجراحي في زيارته الاخيرة من ذلك النهار. وكان يحدث ماريان فوستر وهي طالبة تمريض في السنة الثالثة عندما خرجت باتي من غرفة الممرضات طارحة شالها على كتفها استعداداً لنزهة على طول هاي ستريت.

القت باتي نظرة خاطفة عليهما بغير قصد فاحست بوخزة من الغضب عندما لاحظت الموقف المغناج الذي تقفه ماريان مما يعطي له قدراً كبيراً من التشجيع. فلم تستحسن استعدادها لاظهار اعجابها بنظراته وابتساماته الساحرة. ان اي رجل يمكن ان يصبح مغروراً على نحو لا يطاق امام مثل هذا الاهتمام. فاسرعت باتي على طول الممر دون ان

تجد اي مبرر لتحيته. ولكنه كان شخصية مألوفة جداً في الجناح الجراحي. فعندما مرت من جانبه في طريقها الى الباب التفت اليها بابتسامة مفاجئة كان بامكانها ان تؤثر على فتاة اكثر حساسية وقال «ليلة سعيدة».

اجابته بابتسامة غامضة حتى من دون ان تفكر ثم انصرفت مسرعة غير منتبهة الى ان وجهها كان يشع جمالاً في تلك اللحظة القصيرة.

بدا لآيفور الذي لم يكن خيالياً ان الشمس قد اشرقت فجأة في الممر عديم النوافذ الممتد بين اجنحة المستشفى. وصلت باتي الى دار الممرضات لتجد نزيلات الشقة منهمكات في الدراسة. وغاصت في مقعدها ورفست حذاءها الايرلندي المتين وشعرت بانها عاجزة عن جمع قواها لملء مغلاة الشاي فقال «انا منهوكة القوة... يا له من نهار... انا لا اصلح الآن الا للزحف الى السرير».

فرفعت جاكي نظرها عن كتبها وابتسمت... وقد كانت هذه الفتاة هيفاء وجذابة وذات شعر اشقر وطويل ومنعقد وراء عنقها اثناء واجباتها ثم قالت «اذا اتصل احدهم هاتفياً يدعوك الى حفلة فسرعان ما تغيرين ثيابك وتكونين جاهزة للذهاب في غضون نصف ساعة».

اجابت باتي بثبات «ليس هذه الليلة... وليس هناك المزيد من الحفلات لي... ولا املك القدرة على احتمال السهر حتى منتصف الليل من بعد ان كنت اركض هنا وهناك تنفيذاً لاوامر ممرضات عصبيات المزاج طول النهار.

رفعت فيليدا رأسها ذا الشعر الفاحم عن كتاب علم

www.elromancia.com

التشريح الذي كانت تقرأ فيه وقالت مداعبة «يبدو انك بدأت تشعرين بتقادم العمر».

اجابت باتي وهي تبتسم ابتسامة عريضة «ربما... ولكن... كم اتمنى لو ان صديقة لطيفة انعشتني بكوب من الشاي».

نهضت كيت عن المائدة المغطاة بالكتب مسرورة كعادتها عندما تجد عذراً لترك دراستها ومدت يدها الى المغلاة وقالت «ان ذلك الصبي الذي جرح بطعنة سكين انتهى به المطاف الى كيوري... اليس كذلك؟ كيف حاله.. لقد كنت في الردهة (آ) والردهة (هـ) عندما ادخلوه...».

وازاحت خصلة كثيفة من شعرها الاشقر عن وجهها، ولماكان شعرها مقصوصاً حسب اخر نمط سائد كان يتنقل بحرية الى الامام مسبباً لها الازعاج بدلاً من البقاء ثابتاً في مكانه كما ينبغي.

اجابتها باتي مستعملة الاصطلاح التقليدي «ستتحسن صحته بوضوح... لقد فقد كمية كبيرة من الدم ولكن جرحه لم يكن ملوثاً ولم يفقد اي عضو حيوي. هل كان ما حدث له اثر مشادة؟ هل لك علم بذلك؟».

اجابت كيت «خارج حانة الصياد على ما اعتقد وقد كان شجاراً اكثر مما هو معركة حقيقية. لقد كان هناك جمع من الفتيان يحومون حول المكان تراقبهم الشرطة...».

فقالت باتي بجفاء متسائلة مع نفسها لم قفزت الى ذهنها فكرة ان الجناح الجراحي كيوري يكون مفعماً بالحيوية

والبهجة عندما يكون فيه المسجلون الانيقون اضافة الى انواع النشاطات اليومية الاعتيادية التي كانت تجعلهم جميعاً مشغولين باستمرار.

كانت حانة الصياد مأوى شعبياً للسكان المحليين اضافة الى منتسبي المستشفى الشهير الواقع عبر الشارع مباشرة وكان جيم كرفر صاحب الرخصة قد ادخل الى كيوري في بداية هذا اليوم بعد ان كان قد انهار في الحانة من تأثير التهاب في غشاء البريتون ولم يكن ذلك من صالح الطلبة الذين كان يخدمهم في ذلك الوقت.

في مساء اليوم التالي شقت باتي طريقها من خلال الحشد في قاعة الحانة باحثة عن صديقتها جواني، التي كانت قد اتصلت بها هاتفياً لتدعوها الى تناول الشراب في الحانة ومناقشة جميع الترتيبات المتعلقة بانتقالها الى شقتها بعد زواج ديزي في الشهر المقبل. فقد كانت يومها هذا قبل مجيئها الى الحانة يوماً آخر حافلاً بالعمل في كيوري وقد بدت لندن تنعم بانخفاض نسبي في موجة الحر. ولما كانت باتي منهمكة ومتضايقة من شدة الحر اقترحت ان يكون لقاؤهما مساء يوم آخر. ولكن لم تكن ثمة حاجة للتغيير فكل ما عليها ان تعبر الشارع ولم يكن هناك ما يدعو للتأجيل. فقد كانت قبل ذلك قد قررت ان تقضي مساءها مع كتبها ثم تأوي الى فراشها مبكرة، فاستحمت ثم ارتدت ثوباً من الكتان اصفر اللون ومشطت شعرها وبدت هادئة ورائعة. ولكن هاتف جواني غير رأيها وجعلها تغادر بيت الممرضات الى الحانة، فجلبت انتباه تحيات العديد من

www.elromancia.com

الاشخاص في الحانة وكانت تبتسم لبعضهم وتومىء برأسها للبعض الآخر. توقفت للتحدث مع ماريان فوستر الممرضة في المرحلة الثالثة من التدريب في الجناح الجراحي كيوري فتقدم منهما طالب من طلبة الطب بجرأة ونكش شعرها. وطالب آخر اكثر جرأة احاط خصرها بذراعه وزرع قبلة على خدها لها طعم الجعة. فضحكت باتي متملصة من هذا المزاح الثقيل وجالت بنظرها في المكان باحثة عن جواني فشعرت بفزع عندما رأتها في ركن برفقة جون سيمور احد اصدقائها وشخصين آخرين وكانت جواني قد اكدت لها بانها ستكون وحدها، وقبل ان تقرر التقدم نحوها او العودة لوحت جواني لها بيدها فمضت باتي لتنضم الى المجموعة.

كانت تود جون وتأمل ان تكون صداقته لجواني نهايتها الزواج، كحالة كثير من الاطباء المؤهلين حديثاً. ولكنه لم يكن باستطاعته التفكير بالزواج بعد. لأن جواني بطبيعتها تميل الى العبث والتقلب في علاقاتها. لقد كانت فتاة جميلة بشعرها الكستنائي وعينيها الزرقاوين الياقوتيتين وابتسامتها المشرقة التي سحرت الكثير من الرجال.

اتخذت باتي لها مقعداً بجانب صديقتها فرحبت بها جواني بحرارة قائلة «انا مسرورة جداً لأنك قررت المجيء».

اجابت باتي هازئة «من منكم يحتاج الى النوم؟».

لقد حيرها اصرار جواني على وجوب الانضمام الى ما تحول الى شبه حفلة.. مما جعلها تعتقد ان الفرصة لم

تسنح لمناقشة مسألة انتقالها الى الشقة في ذلك الجو الصاخب في حانة الصياد.

احست بنبضات قلبها ترتفع فزعاً عندما شاهدت آيفور مينارد يقترب من ركنهم حاملاً صينية من المشروبات. فهي لم تكن قد رأته عندما دخلت الحانة، ولكنه عندما التقت عيونهما ابتسم لها بحرارة وومضت عيناه بارتياح واضح فادركت باتي الشرك الذي وضع لها لاجتذابها الى الحانة بتحريض من آيفور. لم تكن قد تأثرت باطرائه لها ولم تهتم به، فقد كانت قد رأته هنا وهناك في الجناح الجراحي خلال النهار وبذلت جهداً عظيماً لتتجنبه بقدر المستطاع وكانت قد تجاهلته بشكل واضح في اليوم السابق. اذن ما معنى ملاحقته لفتاة لم تتبادل معه سوى بضع كلمات؟.

لقد غاب عن ذاكرتها انها كانت قد ابتسمت له بود تلقائي لا يتسم بالتفكير عندما كان يتحدث مع ماريان في الليلة المنصرفة. وكانت غافلة عن تأثير تلك الابتسامة الساحرة على رجل احب وصادق العديد من النساء بلا مبالاة، ولكنه لم يستطع اخضاع الممرضة ذات الشعر النحاسي.

قالت جواني «انت تعرفين آيفور... اليس كذلك؟».

كان في اسلوب جواني في تقديمها لآيفور كثير من التصنع بحيث بدت وكأنها الصدفة المحضة. ولكنها بانت خجلة بعض الشيء عندما اكتشفت ان باتي غير مرتاحة من حضور هذا الطبيب الشرير بشهوانيته.

فاجابت باتي معاندة بنوع من الفظاظة «كلا...».

التفتت جواني الى جون غير مصغية الى هذه الـ كلا وابتسم آيفور وهو غير مكترث بازدرائها له وقال «اذن ينبغي ان تعرفيه الآن».

قال ذلك بلطف وهو يضع كأساً امام باتي وهو يستطرد «مارتيني مع عصير الليمون. لقد اخبرتني جواني انه شرابك المفضل».

قاومت باتي رغبتها في دفع الكأس الى الوراء... ان ذلك سيكون تصرفاً طفولياً. ولكنها كانت منزعجة في الوقت نفسه من قبول المشروب من انسان غريب. فهي لم تكن حقاً راغبة في التعرف عليه فقالت باقتضاب وفظاظة «شكراً».

فتبادل آيفور وجواني النظرات الخافة فرفعت الاخيرة كتفيها الصغيرتين في نوع من الاستهجان كأنها تحاول نكران اية مسؤولية عن موقف صديقتها، فابتسم لها مطمئناً وجلس بجانب باتي المتصلبة. وشعر بانها غير مستعدة للقائه حتى الى منتصف الطريق... انه امر هز كرامته، فهي بلا ريب تختلف عن معظم النساء اللواتي علقن بخياله في الماضي. فقال برقة متناهية «اردت ان التقي بك بعيدين عن المسؤولة والممرضة نيل التي ما برحت تنفث زفيرها على عنقك... يبدو ان الحظ قد حالفني هذه المرة.

لم تتأثر بالوميض الذي التمع في عينيه السوداوين وقالت له باستخفاف مخيبة امله «انت والحظ كلاكما مخطئان

وتضيعان وقتكما سدى... فانا غير مهتمة باي شيء تريد عرضه».

رفع احد حاجبيه الى اعلى وقال متشدقاً «انت تجهلين ما اود عرضه عليك يا فتاة».

اجابته بسرعة «اعتقد انى لا اجهل ذلك».

ضحك ضحكة عالية وتناول كأس الجعة.

لقد راح يشعر برغبة شديدة الى معرفة المزيد عن الممرضة باركن بعيداً عن الجو النظامي وتأثيرات الجناح الجراحي في المستشفى. وقد تصرف الحظ معه على شكل عاد عليه بالضرر. ففي مساء هذا اليوم وبينما كان يجتاز الردهة الرئيسية الى الجناح للقيام بزيارته الاخيرة توقف لتبادل بضع كلمات مع جيمي رئيس البوابين الذي امضى اكثر من ثلاثين سنة في هارتليك واصبح شخصاً ذا شأن. لقد كان الجميع يعرفون جيمي الذي يتباهى في معرفة كل منتسبي المستشفى اسماً ووجهاً وكان الرجل ضخماً يطفح بروح الدعابة. فهو يمتلك قابلية عجيبة لبعث الدفء والطمأنينة في قلوب المرضى ونفوس المنتسبين، فيثق الجميع به. وكان مصدراً مفيداً للمعلومات والنبع الرئيسي للشائعات في المستشفى. وقلما حدث امر في هارتليك لم يسمع به جيمي. ولكنه مع هذه الامكانيات كلها لم يتمكن من اخبار آيفور بالشيء الكثير عن الممرضة الحديثة العهد ذات الشعر النحاسي في كيوري. فاوضح له انها تتصرف بشكل لم يترك مجالاً للناس كي يتحدثوا عنها او يتناولوا سلوكها بسوء. ثم حدث والتقى بجواني التي

كان عرفها منذ ايامها الاولى في مستشفى هارتليك وقد استمتعا ذات مرة بمغازلة رقيقة وكانا لا يزالان على علاقة ودية ببعضهما. فاستغل الفرصة ليسألها عن حفلة ديزي فعلم انها كانت صاخبة، فتأسف لأنه لم يحضرها. لقد كان لديه واجب ولم يقصد ان يتغيب عن حفلة عرس صديقه وزميله كيفن فلجر من الممرضة الجميلة التي كانت في السنة الثالثة من دراستها في جناح فليمتك.

وكانت جواني قد أسفت قليلا لفقدان زميلتها التي تسكن معها فعرض آيفور مازحاً استعداده لمقاسمتها الشقة، فقلصت جواني انفها في تأنيب جذل واخبرته انها قد وجدت زميلة اخرى وسألته ان كان يعرف باتي باركن.

فقال فجأة «باتي! انه اسم صغير ومضحك. ولكن صاحبته غضة ورقيقة ومغرية».

هذا كل ما حدث قبل معرفته بموعدها مع جواني. لذلك كان واعياً لوجودها وهو يجلس بقربها في تلك الحانة المكتظة منتعشاً برائحة شعرها العطرةوبعينيها الخضراوين الأسرتين، فكل ذلك احدث تأثيراً مزلزلاً على مشاعره الحساسة. فهي فتاة مثيرة جداً فتساءل مع نفسه ان كانت على علم بمواهبها هذه. وابتسم لها واضعاً كأسه في مكانها بعد ان احتسى منها رشفة واحدة وقال «ان هذا الوجه لم يخلق للوجوم».

فردت عليه بقسوة رافضة تملقه وملاطفته «لا ليبتسم للغرباء».

«انا لست غريباً يا فتاة... فانت لا تميزينني في سترتي

البيضاء وهذا كل ما في الامر. فالاطباء كائنات عديمة الوجوه المرحة كما تعرفين خلال ممارستهم مهنتهم. ولكننا نثبت في النهاية اننا بشر عاديون عندما نكون بعيدين عن العمل».

«في ممارسة المهنة او بعيداً عنها انت طبيب وانا طالبة في السنة الاولى. ولن يلتقي الاثنان ابداً» قالت باتي هذا بحزم وتابعت «انا لا اريد المثول امام الرئيسة بتهمة انتهاكي للقوانين».

«انها انسانة ايضاً وامرأة. وستدرك انك قد وقعت تحت تأثير مفاتني التي لا طاقة لك لمقاومتها».

نظرت باتي بسرعة واكتشفت الخطر المتراقص في عينيه السوداوين وابتسمت على مضض ولكنها شعرت انها امام رجل يستهزىء بسمعته فقالت «لا تتشدق كثيراً. فلا اعتقد بمقدرتك على اغوائي... انا».

تعمقت ابتسامته ورق صوته ووضع يده الى الاصابع الرقيقة المستقرة على المنضدة وهي تلهو بالكأس وقال «الا استطيع؟ اذاً جربيني».

ظنت انه يمزح. وكانت محادثة سخيفة بينهما. ثم التقت عيونهما واذا في عينيه شيء يشبه كثيراً الصدمة الكهربائية ينتقل الى عمودها الفقري وهي تلاحظ الرغبة في عينيه العميقتين وفي لمسة يده المثيرة. فنظرت بعيداً مرتعبة وقلبها يخفق بشدة وقد تفجرت عواطفها بشكل لم تتوقعه لنظراته ولمسته. وفجأة قالت بحزم وهي تسحب يدها «كلا... شكراً».

ثم التفتت الى جواني تحدثها بامور اخرى. وعلى الرغم من انها كانت عازمة على آيفور مينارد الخليع وابعاده عن طريقها الا انها كانت واعية لوجوده قربها. فكان جذاباً ومفعماً بالرجولة. وفكرت بأسى. قد لا يروق لها آيفور ومن على شاكلته. ولكن التغاضي عن جاذبيته ليس بالامر السهل. فمن جهة هو وسيم جداً ومن جهة اخرى هو واثق من نفسه. وكان شعره الفاحم يتموج عبر جبينه حتى الصدغين. ثم يتجعد وراء رقبته. وقد لاحظت باتي انه كان طويلاً بعض الشيء. بل اكثر مما ينبغي. لاحظت ذلك عندما احنى رأسه استجابة لتعليق من جون. فوجدت نفسها تتساءل دون ان تدري. كم من النساء يا ترى قد داعبن باناملهن هذا الشعر المثير. ثم قاومت نزوة حمقاء للقيام بالشيء ذاته.

كان مساءً لطيفاً وكان آيفور يرتدي ثوباً قطيناً وقميصاً مفتوح العنق. فبدا اصغر سناً بل اكثر جاذبية مما كان عليه وهو يذرع اجنحة المستشفى في سترته البيضاء وكانت تزين عنقه سلسلة ذهبية ثقيلة. فقد كان يمتلك كل صفات الرجولة. ولكن خواطر اخرى غير مستحبة طغت عليها وهي شهوانيته المثيرة وتبذله المقيت. فلم تشعر بالميل اليه. ولم يكن امامها اي رجل تميل اليه غير ستيف. وفكرت باتي بألم مفاجيء في النظرات الساحرة من العينين الزرقاوين والجسم الرياضي القوي المائل للبدانة للاعب الركبي الذي كان نموذجاً للاثارة. اما آيفور مينارد فقد كان اسود العينين اسود الشعر ونحيفاً ورشيقاً ويتسم بالغطرسة التي

كان اشد ما تحتقر من صفات الرجال. فهو رجل شهواني وناجح بشكل لا لبس فيه وهو يفضل الالعاب الرياضية الداخلية. ولكن لماذا شعرت برعشة جسدية وهو ينظر اليها بعينيه السوداوين؟ انها لا تشعر حتى بالود نحوه، انها ربما تشعر الآن بالوحشة فتفتقد ستيف اكثر من المعتاد.

انها احياناً وخاصة عندما تكون بصحبة الازواج، كانت تحس بألم حقيقي. اذ انها تستعيد ذكرى سنوات الحب والآمال والاحلام التي تبددت وتلاشت كالضباب، واحياناً اخرى كانت تتوق بيأس الى ارجاع عقارب الساعة الى الوراء. فتشعر ثانية بالراحة والرضى بين ذراعي ستيف. والآن قد انهكها العمل المرهق في يوم مرهق من ايام المستشفى باتت عرضة لاغراء لم يسبق له مثيل وها هي تجد نفسها لاغواء احمق من قبل رجل له جاذبية جنسية مثيرة، ولكنها تذكرت ان لا تتورط في اية علاقة مع اي رجل حتى لو كانت علاقة ود وصداقة بريئتين. اذ يجب ان يلدغ المرء من جحره مرتين.

لم يبد آيفور منزعجاً من صدها له. وهي تشك ان يكون هناك اي شيء يمكنه ازعاج الطبيب المستهتر الخالي من الهموم.

كان آيفور ودوداً ولطيفاً يحادث باتي بين الفينة والفينة. ويشارك في الاحاديث العامة. ربما قد تعرفا على بعضهما بشكل افضل. وتساءلت ان كانا يبدوان كزوجين لمراقب مهتم بوجودهما جنباً الى جنب في حانة صاخبة. ان تصرفه الآن بات يشير الى انهما قد انزلقا الى صداقة. واكتشفت

باتي فجأة انها لا تمانع من ذلك ان بقي سلوكه رصيناً ولكنها تعلم كيف ستتعامل معه بشدة ان عاد مباذلة مرة اخرى على الرغم من انها ليست تلميذة ساذجة... ولكن لا فذلك لا يبدو محتملاً... وشعرت بخيبة أمل حمقاء وغامضة. انه متعب حقاً.

فكرت باتي وهي تتأمله. فهناك توتر على وجهه الوسيم وشريان ينبض في ذلك الفك الدقيق. فلا شك في ان المتطلبات والواجبات التي عليه تلبيتها كانت اكثر بكثير من متطلبات وواجبات ممرضة في السنة الاولى من التدريب. ان حياة الكثير من الناس كانت تعتمد على مهارته وموهبته وقدرته على اكتشاف الاخطاء عند وقوعها وبراعته في تصحيحها. فمن يستطيع اذاً ان يلومه ان كان ميالاً الى حياة المجون؟ لأن هذا الاسلوب بمثابة نوع من الانعتاق من التوترات التي يسببها عمل الجراح البارع. لقد قيل عنه انه جراح ناجح ونبيه وحريص على مهنته اشد الحرص.

تطلعت باتي الى يده على الطاولة وهي تلامس يدها تقريباً، كانت يداً كبيرة ذات اصابع طويلة، يداً قوية العضلات، يد جراح بارع تصورتها ممسكة بالمبضع الشافي ببراعة فائقة، فتذكرت مسكته القوية لذراعها يوم امس. واستعادت في ذهنها لمسته الحارة المفعمة بالقدرة والحنان قبل دقائق. فاكتشفت السبب الذي عرف به كشهواني خطر، فانه يملك تأثيراً قوياً على المشاعر، فلا بد ان قبلته او لمسته تنفذ الى المرأة كما تنفذ الخمرة الى عروق الانسان.

عندما احست انه قد اصبح على حين غرة خطراً يهدد حتى عقلها الحصيف ازدادت تصميماً على ابقائه بعيداً عنها على مسافة تبعث على الاطمئنان.

قال فجأة وهو يتلفت اليها «تقول جواني انك ستقاسمينها الشقة بعد زواج ديزي. فسنصبح جيراناً. فلي شقة ايضاً في شارع كلفتون... وهي تبعد مسافة قصيرة عن شقتكما.

اجابته «شقتك ملائمة جداً لعملك فالشارع الفرعي الضيق يتصل بالمستشفى».

«نعم اعتقد ذلك؟».

كانت ابتسامته رقيقة ومستفزة وقد ادرك تماماً ماذا تعني كلماتها ولكنه قال «سيكون بمقدورنا ان نرى بعضنا في الجناح الجراحي او بعيداً عنه».

فقالت على الفور «ليس هذا اعنيه... فانا ليس لي متسع من الوقت للاجتماع بالناس».

«الممرضات اللواتي يقمن باعمال شاقة يحتجن الى الراحة لاسترداد نشاطهن. وهذا افضل منشط يمكنني وصفه».

قال ذلك وعيناه تومضان، فاحمر خداها وتوردت وجنتاها. ولم تكن هناك حاجة للتظاهر بانها لم تفهم ما قصده فاجابته «ولكني اسمع من الجميع ان وصفتك تترك في الفم طعماً كريهاً».

كان اسلوب ردها لاذعاً، ولم يكن هذا الاسلوب مما يتفق وطبيعة باتي، فهي نادراً ما تصفع احداً بهذه القسوة.

www.elromancia.com

ولكنها لم تكن واثقة من نفسها في هذه اللحظة. فهي مذعورة لأنه اثار فيها عواطف كانت هاجعة. وهي الآن مهددة بالدعس باقدام هذا الشرير. فاجابها وهو يلمس خدها باناملة الطويلة «لا اظن انك تسمحين لذوي العقول الشريرة ان يفسدوا ما نحن عازمان على تحقيقه من السعادة لبعضنا... انا بحاجة اليك يا باتي».

قال جملته الاخيرة بارتباك ظاهر فالتقطت انفاسها وقالت في محاولة يائسة «حسناً... ولكن انا لا اريدك».

قال متمتماً وعيناه تتراقصان «سوف نرى».

كانت هذه الكلمات الجذلة نوعاً من التعهد... اما بالنسبة لباتي فقد بدت تهديداً... لقد كانت فتنته مغرية. وابتسامته تنسف تصميمها من اساسه. فمن الممكن لها ان تشعر المودة والمحبة لآيفور مينارد وتستسلم لتلك الفتنة التي تعجز عن تجاهلها. ولهذا سيكون من الحكمة ابقاؤها بعيداً عن حياتها تماماً. وقد ساورها الشك في ان يكون الامر اكثر من مجرد لعبة من الاعيبه. وعلى كل حال فهي محاولة عديمة المعنى من العبث الذي اشتهر به. فربما لم يكن مهتماً بها في الاساس. ومهما يكن من امر فقد عرف عنه انه يفضلهن صغيرات السن وساذجات الى حد انهن لا يدركن الطريق المحفوف بالمخاطر خلال سيرهن معه او تورطهن مع ساحق القلوب في هارتليك.

دخل الحانة رجل وامرأة لتناول الكأس الاخيرة قبل اوان اقفال الحانة وانضما اليهما. وجلست الفتاة على مقعد جون الذي كان واقفاً يبتسم لآيفور. وقالت متحدية «اين

كنت يوم الاربعاء. لقد خسرت حفلة عظيمة».

اجابها آيفور «هكذا يقولون... كنت الطبيب الخفر».

«اذاً علي ان اسامحك على ما اظن ولكن الامر سيان عندك» كان عيناها مفعمتين بالرقة والعاطفة والاغراء وتابعت «اخبرتني العصفورة انك كنت بصحبة جنيفر نيل في تلك الليلة وهذا ما اغضبني كثيراً».

كانت تضايقه في استنتاجها ذلك. وهي تشك بان يكون اي اساس من الصحة لما قيل عنه وعن الممرضة نيل... ربما كان ذلك مجرد شائعة اخرى من الشائعات السخيفة التي كان الناس مستعدين دوماً لتصديقها. فهي تعرف آيفور منذ زمن طويل وكانت شغوفة به. وتعرف انه لم يكن شريراً بالقدر الذي يصوره الناس او يتصورونه. الا انها كانت تعرف ايضاً انه كان يسخر من اعتقاد الناس به.

ابتسم بسخرية وقال «كان يمكن ان يكون مساءً اكثر متعة... لا ريب بذلك... ولكني قضيت معظمه بترميم راكب دراجة بخارية، انه شاب وآمل انه سيتحسن فهو ما زال في قسم آي... سي اما صديقته فلم تكن محظوظة كثيراً» ثم تنهد واضاف قائلاً «لست ادري لماذا يجازف هؤلاء الصبية كل هذه المجازفات، انه لا يتعدى الثامنة عشر. اما هي كانت في الخامسة عشر» وهز رأسه واستطرد «انه لامر مأساوي».

فكرت باتي باهتمامه الجدي بهذين الطفلين وهي تشعر بالود نحوه. فقد لامس الامل عينيها السوداوين وتردد الصدى في صوته الايقاعي الخافت. لقد كرس نفسه لانقاذ

حياة الآخرين... طبعاً... فهو يتألم ان رأى الارواح تضيع هدراً او تنبذ نتيجة للاهمال. او من جراء تصرف اهوج. فآلم ذلك باتي ايضاً لأن الموت مقبول للطاعنين في السن او المبتلين بمرض عضال.

وابتسمت فيليتي لباتي قائلة «اظنك كنت في الحفلة... اليس كذلك؟ فانا اتذكر هذا الشعر؟».

اجابتها باتي مبتسمة «الناس يتذكرون».

ضحكت فيليتي وقالت «انت ممرضة على ما اظن... في اي جناح... فانا اعمل في العيادة الخارجية؟».

«كيوري».

«آه... اذن تعرفين جنيفر نيل... ولكن كيف تنسجمين معها؟».

قالت باتي بصدق وشعور من المرارة «لست على وفاق معها البتة».

«احقاً؟ انها نظامية... وكما يقولون انها صورة طبق الاصل للممرضة بوث.. اتتهمك بالتساهل اكثر مما ينبغي مع الممرضات الادنى رتبة؟ يبدو ان ذلك هو اللحن المفضل الذي تعزفه دائماً».

«انا ممرضة مستجدة... طالبة تمريض في السنة الاولى».

كانت باتي قد تعودت على الدهشة التي تثب من عيون البنات، فان نضجها الواضح غالباً ما جعل الناس يفترضون انها ذات مقام رفيع اذا ما تطلعوا اليها وهي في بزتها النظامية. الا انها كانت متعودة ايضاً النبذ من قبل

الممرضات الاقدم او الاعلى رتبة. ففكرت بسخرية ومرارة. انها وهذه الخبيثة يعرفان بعضهما بضعاً معرفة جيدة دون تفاهمهما واضح. ولكنها تساءلت ان كانت هذه الممرضة معشوقة اخرى من معشوقاته الكثيرات. فطبقاً للشائعات كان لآيفور علاقات متعددة مع كل مجموعة جديدة من الممرضات منذ سنين طويلة.

لم تصدق باتي انه كان منشغلاً الى هذا الحد بتلك الامور ومع ذلك استطاع بلوغ هذا المنصب المهم ذي المسؤولية كمسجل امين. لا شك ان علاقاته قد بولغ فيها كثيراً. ولكن بلا ريب انه جذاب للنساء ومرغوب به فمن يراقبه عن كثب سرعان ما يدرك تلك الصفات المثيرة في الرجل الذي لا يدع اية فرصة تفلت من يده. وها هي فيليتي هول تميل نحوه رقيقة ومغرية ومستجيبة. وكان هو يستجيب لها مثل اي رجل شجاع مفعم بالحيوية. اما جون وجواني فقد كان رأساهما ملتصقين يتهامسان في حب وحنان اما الزوج الآخر فقد كانا مخطوبين. وفجأة شعرت انها وحيدة تماماً فاحست بيأس وطأة الوحشة والوحدة. فباتت متعبة وهي تفتقد ستيف. وفجأة شعرت بانها وحيدة تماماً... فكان عليها ان تعترف بوجود فراغ كبيرومؤلم في حياتها بدون ستيف. فالتمريض لم يعد كافياً. فهي صغيرة السن وفتاة تفتقد الاطمئنان النابع من تعلق الرجل بالمرأة واهتمامه بها. فالصداقة لم تكن كافية. انها لا تزال تحب ستيف ولكن ظروفها قد ابعدتها عنه فلم تعد تحوم حوله وقد تحولت احلامها الوردية الى تراب. لماذا ينبغي ان

تشعر بالذنب لأن رجلاً آخر استطاع ان يثير مشاعرها على نحو لم تكن تتوقعه؟ لماذا ينبغي ان تبقي كل رجل بعيداً عنها بسبب رجل قابل وفاءها بالجمود ونكران ذاتها بالخذلان... واخلاصها بالغدر. انه لشيء جيد ان تشعر بانها ما زالت مرغوب فيها. بعد ان كانت قد ضحت كثيراً من اجل اسعاد ستيف لتجد نفسها مهجورة ومنسية دون سابق انذار. فتنهدت وهي في خضم تنهداتها، فالتقطت آذان آيفور المرهفة ذلك الصوت الناعم. فالتفت ليلمح ذلك البؤس في عينيها الخضراوين اللتين حجبتهما عنه بسرعة. وعلى الرغم من انه لم يكن بينهما الا معرفة سطحية شعر برغبة لاحاطتها بين ذراعيه ليطارد تلك الاحزان بكلمة او ابتسامة او ربما بقبلة مواسية. فقد احس باهتمام غريب نحوها ورغبة في حمايتها. وقد ادهشه ان يفكر هكذا لاول مرة في غير ان يستغل ضعف فتاة للايقاع بها. فكل ما كان يفعله فيما مضى ان يغازل فتاة فاتنة من غير ان يقدم لها اي عون.

- ٣ -

بدأ الشك يخامره بأن رجلاً ما كان مسؤولاً عن تلك التنهيدة وتلك النظرة التي جعلته يبدي اهتمامه الانساني الاكيد بها.

كانت جواني صديقتها ولكنها لم تستطع ان تخبره بالشيء الكثير عن باتي باستثناء انها كانت تثبط همة اية رجل يحاول ان يكون لها اكثر من مجرد صديق. او مرافق في المناسبات الاجتماعية. ان امرأة جذابة ومفعمة بالانوثة وشهية مثل باتي لا بد ان يكون لها سبب لاصرارها على ابقاء الرجال بعيدين عنها وهي مصممة على ابقائه هو الآخر بعيداً عنها. حسناً... انها ليست سوى امرأة من نوع خاص. انها ليست شيئاً عزيزاً انها مجرد امرأة ترفض

www.elromancia.com

ان تعرف الحياة وخاطب نفسه قائلاً بتمتمة غير مفهومة اعرض يا رجل عن اضاعة وقتك في مطاردة فتاة ما زالت تتحسر على ذكرى رجل آخر. فهناك دوماً الكثيرات من امثال جنيفر وفيليتي وماريان وغيرهن من النساء المتلهفات الى الارتماء في احضانك. ولم تكن باتي سوى واحدة... واحدة فقد والوحيدة التي تفلت منك. ثم قال لنفسه ايضاً لا يمكن الظفر بهن جميعاً.

وتساءل جذلاً لماذا اشعر بلهفة للفوز بها بشكل خاص؟ والتقت عيونهما عندما نظر اليها ثانية فابتسمت له بابتسامتها العفوية والمفاجئة. التي كانت قد سحرته من قبل. كانت ابتسامة غير متوقعة وبالغة التأثير.

قبل لحظة لم تكن عنده اكثر من فتاة معقدة ولكنها استحوذت على مشاعره وهو غافل. لأن قلبه قد خفق هلعاً. فادرك ان ذلك غير معقول من الناحية الطبية على الاقل، لأن الرجل الذي لا عواطف له لا يخفق قلبه. وحتى هذا انه امر سخيف يقرأ عنه في الكتب والمجلات. فالقلوب لم تفعل شيئاً من هذا القبيل. ورغم ذلك فقد حدث. لم تكن هناك طريقة اخرى لوصف ذلك الشعور الغريب المفعم بالمعنى. فقد حدث انقلاب تام في مشاعره على نحو واضح. لقد شعر برعدة في صميم كيانه. لقد احب الممرضة ذات الشعر النحاسي، وشعر بانها قد جذبته بقوة، جذبته بوجهها الجميل وقامتها الهيفاء وخصرها النحيف ونهديها البارزين بقد انجذابه الى حصافتها ورصانتها وحرصها على سمعتها وثقتها بنفسها

ورفضها لمغازلته السمجة. لم يكن يتوقع انه سيكون من السهل عليه الوقوع في حب محفوف بالمخاطر.

كان آيفور في الثلاثين من عمره ولم يخطر بباله ابداً من قبل انه سيستسلم كلياً وبشكل حاسم لاية امرأة.

بذل كل ما في وسعه لمقاومة العاطفة التي بدأت تهدد اسلوب حياته الاجتماعية، تهدد حريته وقناعته بواقع الامور كما هي. وطموحاته للمستقبل. كان قبل الآن يكره مراجعة افكاره ومشاعره تجاه اي فتاة يحطمها، الا ان تلك الابتسامة المتألقة ذات الحرارة والحلاوة والفتنة جعلته يقع في الشرك رغم ارادته القوية.

نسي آيفور انه اخذ على غرة وابتسم باستعداده المألوف للاستجابة. وكان مسروراً وهو يحاول الانصراف عندما خاطبته فيليتي لقد منحته فرصة للتوصل الى تفاهم مع ذلك الاحساس الجديد الذي رفضه فوراً.

كانت ابتسامة باتي غريزية لاخفاء ذلك الحزن الكامن في عينيها. وكانت قد بذلت كل ما في وسعها لنسيانه اثناء العمل الشاق في المستشفى. فكونت لها صداقات جديدة في اماكن جديدة فاكتشفت ان القلوب قد تبتئس ولكنها لا تنسحق وعلى حين غرة ادركت انه ما زال بالامكان ان تتقبل بسرور دفء وحنان وعاطفة رجل آخر وجاذبيته.

ولكنها لم تدرك تأثير تلك الابتسامة العفوية على قلب آيفور فقد لاحظت انصرافه عنها. وتساءلت مع قليل من الألم المفاجيء ان كانت قد صدته بنجاح اكثر مما ينبغي.

اعلن جيم كارفر انتهاء موعد تقديم الشراب وضرورة

غلق الحانة حسب التعليمات الرسمية. فبدأ الجميع يتجرعون كؤوسهم بسرعة ويتبادلون تحيات التوديع. فاقترحت جواني الذهاب الى شقتها لتناول القهوة وكان الليل لا يزال فتياً كما قالت، وكان استعداد باتي لتناول كأس اخرى من الشراب والعودة الى كتبها قد تلاشى. ولكنها كانت عازمة على الافتراق عن اصدقائها من هذه النقطة. لم يعد لديها اي حافز للبقاء. لأن آيفور مينارد فقد الاهتمام بها ولكن باتي لم تعر ذلك اية اهمية. فاذا كانت في طريقها الى نسيان ستيف واسدال الستار على الماضي فلماذا تفكر باهتمام رجل آخر. كان هناك كثير من الرجال في هارتليك وهم اكثر جدارة بالثقة. فلماذا اذاً تتورط في علاقة مع شخص مثل آيفور مينارد.

عبر الجميع الشارع المزدحم المسمى هاي ستريت بشكل مجموعة سادرة. وعلى نحو غير متوقع وجدت باتي آيفور بجانبها. فاخذ بذراعها بامان من خلال سيل من حركة المرور قائلاً «آمل الا يكون قصدك الفرار. فليس الوقت متأخراً يا باتي».

كان صوته ناعماً ينم على كثير من التحبب... فدهشت بشكل غريب واحست بارتياح. ولكنها كانت في حيرة من امر هذا الرجل الذي يبدو شريراً تارة وانسانياً تارة اخرى وعندما وصلا الرصيف غير مسكته القوية الى مسكة مألوفة الى درجة مرت امامها لحظة قبل ان تدرك ذلك. ولكنها لم تسحب يدها من يده. لقد شعرت بارتياح وامان لتلك الاصابع القوية المتقوسة حول اصابعها. ذلك الارتياح

الذي كانت بحاجة ماسة اليه. فلم تستطيع تمالك نفسها عن اظهار الشعور بالرضى. فهي لم تكن بحاجة الى سماع كلمات الاطراء. ولكنها بأمس الحاجة للشعور بالابتهاج. ربما كان ذلك ضعفاً وحماقة منها. ولكن ماذا ربحت من رفض الاذعان لرجل يحبها. كانت تشعر في تلك اللحظة بوطأة الوحدة. فقدم لها هذا الرجل شيئاً من البلسم الشافي لقلبها المحزون. ولو ينقذها من آلامها لأمد قصير.

اعدت جواني القهوة وكانت شقتها الصغيرة واحدة من عدة شقق في بناية عالية تبعد عن المستشفى مرمى سهم. وكانت جميع هذه الشقق مسكونة من قبل الممرضات. وكانت جواني تقول ان هذه البناية ما هي الا امتداد لدار الممرضات ولكن من غير قيود. فقد كان هناك دائماً من يقوم باحضار اكواب الشاي والاستمتاع بالثرثرة والقيل والقال. او التحدث بطلاقة عن عمله او ديونه او حاجته الى النقود التي يجدها دائماً عند اصدقائه قرضاً الى حين موعد المرتب.

كانت باتي تتطلع الى اليوم الذي تستطيع فيه الانتقال للعيش مع صديقتها المحبوبة المفعمة بالحيوية والنشاط. وكانت فيليتي ذات الشعر الاسود الفاحم قد جلست الى جانب آيفور تحادثه وتضحك على الاريكة الرثة والبالية. كانت تقص عليه حكاية مريض عندما قدمت له باتي قهوته. فابتسم لها باقتضاب. ولم يكن في الطريقة التي نظر اليها بها شيء مميز. لقد كان منسجماً تماماً مع الفتاة الاخرى.

وعادت الى المطبخ لتصب لنفسها القهوة وهي ممتعضة بعض الشيء فانه يغازل اية فتاة يصادفها على الفور وكانت النساء يرتمين في احضانه فيستجيب، شأنه في ذلك شأن اي رجل لا يكن اذى ولا لأية امرأة على الاطلاق. وكانت في قرارة نفسها مسرورة لأنه لم يدرك انها وجدت فيه شخصاً مزعجاً. ولحسن حظها ان افتتانها به كان سطحياً يمكن نسيانه في الحال وكان من المضحك الافتراض ان احساساتها قد جرحت في تصرفاته وغيرتها قد استثيرت من جراء اهتمامه بامرأة اخرى.

- ٤ -

ارادت باتي الانصراف عندما دخل المطبخ الصغير لقد بدا طويل القامة ويكاد رأسه يلمس سقف المطبخ في ذلك المجال المحدد. وفجأة شعرت بان قلبها يخفق بسرعة وقد هيجه توقد الرغبة في عينيه السوداوين فابتسم لها واخذ من يدها فنجان القهوة ووضعه على لوح بجانب المغسلة قائلاً «لا استطيع تقبيلك ويداك مشغولتان يا فتاتي».

استغربت باتي من هذه الثقة العالية بالنفس المقرونة بالوقاحة. فاجابته بسرعة.

«ليس بوسعك تقبيلي بأية حال» .

باستطاعتي ان اقوم بمحاولة لعينة».

واحاطها بذراعيه وسحبها نحوه. فادركت ان النضال هذا

www.elromancia.com

لن يكون امراً مشرفاً كما ادركت ان اية مقاومة من جانبها ستكون بمثابة تحد له، وبرهاناً على انها غير مكترثة كلياً لتلك الرغبة المتوهجة في عينيه السوداوين.

كان فمه مغرياً ورقيقاً ينشد الاستجابة التي ترفض منحها له، قبلها... اما هي فلم تقبله، فكان كمن يقبل صخرة جامدة. فرفع رأسه وامعن النظر في العينين المقاتلتين وقال برقة بالغة وبشيء من التأنيب، ولاول مرة لفت انتباه باتي الاثر الضئيل للنبرة الويلزية في صوته الخفيض وهو يقول «ليست هذه الطريقة التي ينبغي ان تتصرفي بها يا امرأة».

اجابته بقسوة «هذا هو واقع الحال».

ولكن على الرغم من الفتور البادي على شفتيها وفي عينيها ونبرة صوتها فان جسدها قد خذلها واجتاحه سيل من الهياج الشديد. انه لحماقة انه لشيء محفوف بالخاطر. غير انها قد اغريت لتلين قلبها وتبدي ترحيبها بالقبلات والمداعبات التي ستطلق العنان لطوفان عارم من الوله والهيام. لقد افتقدت حرارة الحب التي احاطها بها ستيف لسنوات عدة ولم تتوقع انها ستجدها مرة ثانية مع آيفور ميناردِ او اي رجل آخر. ولكن هل كانت رغبتها خطأ جسيماً... هذه الرغبة التي جعلتها تشعر بانها امرأة ناضجة كسائر النساء. ان قلبها مشوق الى ستيف وجسدها متلهف اليه، غير ان هناك ما يبشر بالطمأنينة وراحة البال بين ذراعي هذا الرجل الذي سيملأ هوة حياتها طوراً باليأس وطوراً بالقبول.

قاومت الاغواء بكل قواها ولم تذعن له وعندما شعر

آيفور بخيبة الأمل تركها تنصرف. ولكن هل كانت باتي غير مكترثة حقاً بمحاولة آيفور على كبح جماح عنادها؟».

لقد ادركت بشكل غريزي انها كانت في ضيق نفسي فحاولت اخفاءه ولكن... هل كانت كارهة التورط مع رجل عرف بعلاقات الحب السطحية الموقتة؟ انها لم تعرف ذلك. ولم يكن لديها اي مبرر للوثوق به واتمانه. هذا ما ذكرها به آيفور نفسه. فكانت هي الاخرى محزونة فتناولت قهوتها وراحت تحادث جواني.

عاد آيفور الى مقعده بقرب فيليتي التي دست يدها في يده وراحت تبتسم له. فكانت استجابته فورية. وحارة جداً ونموذجية، استجابة رجل يتصيد كل ما يصادفه. هكذا فكرت باتي وهي تعلم بانه لا مبرر لغيرتها ولا حق لها ان تكره احتمال قضائهما هما الاثنان آيفور وفيليتي ليلتهما في فراش واحد. فليس لطريقته في الحياة ولا لأخلاقه اية اهمية عندها.

بعد قليل ودعت جواني وغادرت الشقة خلسة ولم يخامرها الشك في ان احداً قد لاحظ انصرافها. لكنها كانت مخطئة. اذ لم تكن قد سارت بضع خطوات على طول الشارع المظلم والهادىء والصامت في ظل المستشفى حتى سمعت وقع خطوات سريعة تدل على العزم والتصميم للحاق بها فالتفتت الى الوراء فسمعت من يقول لها «ان السير في هذا الشارع وحيدة وفي هذه الساعة من الليل ليس مناسباً».

كان آيفور يقول هذا بانزعاج وتابع «لَم لم تفصحي عن

رغبتك بالذهاب الى دار الممرضات؟».

رفعت احد حاجبيها وقالت «لأنه لم يخطر على بالي بان الامر يهم احداً سواي، ثم لا احد مسؤول عني كما تعلم».

«قد يصادف المرء اشخاصاً لا اخلاق لهم في مثل هذه الساعة من الليل».

«وهل ساكون آمنة برفقتك؟» قالت ذلك ساخرة منه ومذكرة له بمحاولته الاخيرة لتقبيلها في المطبخ.

فابتسم فجأة والشيطان يتراقص في عينيه واجاب «آمنة كما ترغبين!!».

ان شيئاً ما وراء ابتسامته. اضافة الى ان تشدقه الكسول قد اثارها فتساءلت مع نفسها ان كان قد ادرك انها قد وجدت فيه شخصاً جذاباً سلبها راحة البال... لا شك انه قد ادرك ذلك. ان حساسية هذا النوع من الرجال لا بد ان تكون جزءاً من طبيعتهم الشهوانية. مما تجعلهم اكثر خطورة.

وبينما هما سائران اخذ يدها كما لو كان له الحق في ان يفعل ذلك فلم تعترض وكانت راضية ومطمئنة. وفي اللحظة المناسبة ادركت ان عليها ان تسحب يدها وتصر على انها لم تكن بحاجة الى حمايته وان تزجره بقسوة تجعله يقتنع انها غير مكترثة به. ولكنها كانت عاجزة تماماً عن مقاومة قبضة يده وجاذبيته الكبيرة. لقد سبق وان تعرفت على العديد من الرجال منذ مجيئها الى هارتليك وان البعض منهم قد اصبحوا لها اصدقاء طيبين. الا ان اي

واحد منهم لم يثر مشاعرها كما فعل هذا الرجل، لقد علمت ان الامر حماقة تخفي وراءها المخاطر الجسيمة غير انها لم تكن امرأة ساذجة وليس هناك اية مخاوف من انها ستفقد صوابها بسبب رجل وسيم وجذاب.

استغرقت باتي تلك الليلة في النوم ولم تستيقظ في الوقت المناسب كالمعتاد. فوصلت متأخرة عن المحضر الرسمي. فاسرعت لتنضم الى الممرضات المتجمعات حول الطاولة وهي تتمتم باعتذار مستعجل. سحبت كرسياً واخرجت قلماً ودفتر ملاحظات من جيب صدريتها، وعلمت من جارتها ان المسؤولة ستكون متمتعة باجازتها الصباحية ففكرت بمرارة وهي تتوجس ان تتلقى الاستهجان من الممرضة جنيفر نيل والتقريع. وبعد قليل قالت جنيفر تخاطب باتي بلهجة خالية من الود «سانقاش الامر معك بعد المحضر ايتها الممرضة باركن».

كانت نبرتها تنذر بسوء. وكان قدر كبير من المحضر لا يخص ممرضات السنة الاولى مثل باتي الا انا اصغت باهتمام وابدت عدة ملاحظات علمية. وتمنت لو انها لم تقض جزءاً كبيراً من الليل مفكرة بآيفور مينارد. فقد ايقنت بوضوح ان الاحاسيس التي اثارها في نفسها لم لها اية صلة بالحب. ويؤكد ذلك ما يتعلق بسمعته السيئة. وقد كانت اصلب مقاومة من الممرضات سريعات التأثر بضروب الاغراء واللواتي فقدن اكثر من قلوبهن بسبب هذا الطبيب الجذاب. وتذكرت انها لا تملك قلباً تخشى ان تفقده او عفة تفرط بها، لقد احبت ستيف حباً صادقاً عندما كانت

على يقين من انه سيتزوجها يوماً فاعطته بسخاء كل شيء لارضائه واسعاده. ان اسفها الوحيد هو ان كل ذلك الحب وكل ذلك العطاء وكل تلك التضحية وكل ذلك الوفاء لم يحسب له ستيف اي حساب عندما التقى بابنة عمها فاليري وتزوجها في غضون اسابيع قليلة. لقد بذلت باتي ما في وسعها لتسلم بالامر الواقع. ولكن ذلك كان طعنة قاسية لكبريائها. فما فتئت تحس بالألم.

- ٥ -

ان مجيئها الى التمريض قد لبى حاجة واحدة وهي ان تكون منشغلة ولكي يكون الآخرون بحاجة اليها. وان يكون لها هدف انساني في الحياة. فكثيراً ما كانت متعبة في نهاية النهار من العمل المرهق فتنسل الى فراشها لتمعن التفكير فيما جرى لها او سيجري من امور، ولكن لا شيء استطاع ان يزيل الم الوحدة المستديم في نفسها او ما هو اسوأ من ذلك، وهو الاحساس الرهيب بانها كانت ضعيفة فاعطت من كل قلبها وضعفها ولكن ستيف لم يكن يحبها قط حباً حقيقياً وانه نبذها في آخر المطاف وكأنها من سقط المتاع. لقد استطاع ان يجعلها ان تغفر له.

لقد جاءت الى هارتليك وهي مصممة على ان لا تدع

www.elromancia.com

خيبة املها تفسد عليها كل شيء. وفي الوقت نفسه لم تفكر باستبدال ستيف بأي رجل آخر. اذا لم يكن بمقدورها ان تحب اكثر من مرة واحدة في حياتها. فكانت تعلم من غير غرور انها جميلة وان الرجال معجبون بها. وقد شغفت برجل او رجلين التقت بهما في هارتليك ولكنهما كانا مجرد صديقين لا اكثر. فقد كانت تعتقد دوماً ان رعشة الرغبة والحاجة الملحة لاشباعها لم يكن بالامكان تحقيقها الا بالحب. لذا كان تأثير آيفور مينارد على مشاعرها صدمة قوية لها. فقد ايقنت ان ظهوره في حياتها كان ومضة افتتان فجائي. استثارها فهي في الحقيقة لم تشعر تجاهه بأي حب ولم تكن تعرفه حق المعرفة ومع ذلك كانت تحس بظمأ الى قبلاته وقوة ذراعيه فكانت ضعيفة عندما فكرت لو انها تلقي بنفسها بين احضانه. ولكن هل ثمة غرابة في كونها انها لم تنم الا بعد ان استعرضت كل هذه الخواطر في ذهنها وقد لازمها بشوق شديد الى رجل صدته عدة مرات بقوة؟.

لوت باتي رقبتها وطردت خواطرها عندما سمعت الصوت الحاد الصادر من الممرضة جنيفر نيل.

«بامكانك القيام بجولة لقياس النبض ودرجة الحرارة يا ممرضة باركن، ولا تضيعي النهار كله بذلك. فليس هناك وقت للثرثرة هذا الصباح فلدينا اعمال كثيرة ينبغي انجازها وتعوزنا ممرضة ومشرفة.

اجابتها «نعم ايتها المسؤولة».

والقت جنيفر كدساً من الملفات على الطاولة فسقط منها

ملف على الارض وتبعثرت محتوياته. فهرعت باتي لجمع تلك المحتويات لمساعدة رئيستها، فتناولت الثانية الملف من باتي دون كلمة شكر. بل قالت «اصلحي قبعتك... وان اشك ان صدريتك نظيفة، تيقني من استبدالها قبل قيامك بالجولة» ثم اطلقت زفرة عميقة قائلة «بصراحة لا ادري لماذا جئت الى التمريض في حين لا ميل لك اليه ولا قابلية لتطبيق قواعده المألوفة كمراعاة المواعيد والنظافة. قد يكون صحيحاً انك جئت من جناح فليمك الى هذا الجناح بتقرير جيد. ولكن لا يسعني الا الافتراض انهم لا يملكون معاييرنا».

وبنيما كانت تمشي بتشامخ وكبرياء ابتسمت باتي بمرارة وسخرية استجابة لنظرة عطوفة ورقيقة من ماريان فوستر التي قالت «يؤسفني اني لا استطيع ان احل محلك في شيء».

هزت باتي كتفيها بعدم مبالاة واجابت «ان كلماتها مجرد التفاط صغار القمل وليس اكثر، انها لن تستطيع ان تجد عيباً في عملي».

فقالت ماريان بنبرة فيها شيء من التحذير «انها ستفعل... الم تكوني مع آيفور سيء السمعة ليلة امس؟ انها مولعة به وان كان قد اهملها او ابقاها احتياطاً لمغامراته».

ارتعبت باتي من كون الحقائق تشوه بهذا الشكل وتتطور الى شائعات فقالت «ارجو ان لا تقولي ان ذلك قد انتشر في طول المستشفى وعرضه».

اندهشت ماريان بعض الشيء لتلقيها تأكيداً بوجود

اشخاص منهمكين في القيل والقال ونشر الشائعات. كانت تعتقد ان باتي تمتلك قدراً كبيراً من حصافة العقل يجعلها في مأمن من التورط مع طبيب وسيم ولكنه فاسق جداً، فاجابتها «اظن ان كل واحد يعرف تفاصيل امسيتك الآن».

اجابت باتي بسرعة «اذن لا بد ان كل واحد قد وجد في ذلك حكاية مملة. لا شيء حدث على الاطلاق».

رفعت ماريان حاجبيها وقالت وهي تبتسم «اسمعي يا عزيزتي... نحن نتحدث عن آيفور مينارد. فليس ممكناً الا يكون وقد حدث...».

قالت باتي بحزم «الا معي... فليس ذلك ممكناً ابداً بل يجب ان يكون واضحاً لدى الجميع».

تمنت باتي لو لم يكن هذا الرجل فاسقاً وسيء السمعة الى هذا الحد... ان مجرد رؤية امرأة بصحبته كان كافياً للاعتقاد بانه قد انتزع حبه واعجابها... واحياناً سمعتها. لقد كان فاتناً بابتسامته الآسرة واسلوبه المقنع. وكان من السهل الافتراض بانه نادراً ما اخفق في مطاراداته الغرامية لامرأة ما. ومع ذلك فقد تركها في الليلة الماضية دون ان يقبلها او حتى بدون اقتراح تجريبي بان يلتقيا ثانية. لم تستطع باتي تفسير موقفه الشهم هذا الذي يناقض سمعته.

ذهبت للقيام بجولتها وهي تتألق فتنة وسحراً ومرحاً وكان مفعمة بالحيوية والنشاط على الرغم من اضطرابها. ولما كانت مهتمة بتعليمات جنيفر نيل فقد تنقلت من سرير الى آخر بسرعة مدهشة ولكنها مع ذلك استطاعت ان تسمع معظم المرضى بضع كلمات ودية. وكان كل واحد من

المرضى يشعر ان حالته خاصة ان لم تكن فريدة من نوعها. وكان جميع المرضى يعتقدون اعتقاداً لا يتزعزع ان كل ممرضة او طبيب حاضران لتنفيذ متطلباته.

ان الممرضة الجيدة بحاجة الى ذاكرة قوية اضافة الى استعدادها للاهتمام بالمرضى والحرص الشديد على اسعادهم والحنو الحقيقي عليهم ومع هذا كان فحص الجدول البياني للمريض المعلق على سريره عند دخوله لاول مرة الى المستشفى يبدو شيئاً مملاً وروتينياً.

غالباً ما اتهمت الممرضات بالخشونة وانعدام الاحساس والتبلد فمثل هؤلاء لا يأتين الى التمريض او يتركنه في غضون اسابيع قليلة. فعلى الممرضة ان تكتسب جلداً وصبراً اضافيين اذا شاءت ان تبقى على قيد الحياة وهي تؤدي عملها الشاق. فكان الألم والأسى واحياناً الموت دروساً قاسية للممرضة يصعب عليها، وخصوصاً عندما تكون صغيرة السن، ان تتعلمها، ونادراً ما كانت طالبات التمريض مستعدات لمواجهة متطلبات العمل. ولكن الألم يمكن تخفيفه والمرض يمكن معالجته وحتى الموت يمكن الا يبدو رهيباً اذا ما واجهناه بقوة وثبات.

كان الموت والحياة يسيران جنباً في اجنحة المستشفى. ويصبحان وجهين متكافئين في نظر المنتسبين الى كوادر المستشفى وخصوصاً اثناء تأدية واجباتهم. فكان على الممرضة ان تتعلم الى جانب كل هذه الحقائق كيف تتبنى مظهراً من التفاؤل المرح الذي لا يدع المريض يعرف متى تسوء حالته حقاً. كان ينبغي ان توحي له دوماً انه في

تحسن ملحوظ، وانه سرعان ما سيغادر المستشفى معافى.
فكانت الطريقة الايجابية للتعامل مع المرضى مهمة جداً.
فكثيراً ما صرحت اسرة باتي بانها ولدت وهي تنظر الى الجانب المشرق من الحياة. وكان ذلك شيئاً ثميناً. ان وجودها بحد ذاته في الجناح الجراحي كان يبعث الامل في اكثر النفوس كآبة وبؤساً. ان تصرفها هذا قد لا يجعلها محبوبة في نظر ممرضة متغطرسة مثل جنيفر نيل. ولكنها كانت اثيرة عند المرضى. وان العديد من المنتسبين القدامى اثنوا على مؤهلاتها ونجاحها المرتقب كممرضة.
لم تشك باتي ابداً في انها سترتدي في آخر الامر شارة ممرضة حكومية. وكانت تجتهد لتحقيق هذه الغاية وكانت امنيتها الوحيدة ان تعين في الملاك الدائم بعد انهاء فترة تدريبها.

- ٦ -

لقد احبت مستشفى هارتليك واحبت الانهماك في العمل واحبت الممارسات اليومية المثيرة بكل ما فيها من متطلبات. ان المكافأة في مستشفى تعليمي نشط يقدم الخدمات لسكان منطقة واسعة من لندن هي ان منتسبيه يستقبلون المرضى القادمين من انحاء بلاد مختلفة وعديدة لتلقي العلاج على ايدي اطباء اخصائيين.
كانت الممرضات المستجدات ينطلقن مسرعات هنا وهناك لدى سماعهن الاوامر اللاذعة من جنيفر نيل دون ان يخطر على بالهن التمرد على تلك الاوامر ابداً.
حدثت باتي نفسها وهي تحاول ان تتذكر المهمة التالية في قائمة عملها اليومي الطويل. كانت تقوم بعمل

www.elromancia.com

ممرضتين في ذلك الصباح فبدا لها وكأنه عمل اربع ممرضات فاسرعت الى خزانة الاغطية والشراشف. ان ادخال اثنين من المرضى الجدد. وتبول السيد بلفور في سريره اضافة ان اهمالها هي لوعاء ماء الغسيل يعني تغيير اربعة اسرة دون وجود من يساعدها في ذلك. فخرجت من الخزانة الفسيحة وهي تحمل بين ذراعيها رزماً من الاغطية عندما انعطف آيفور حول زاوية الممر وسار على طوله متجهاً نحوها بسرعة بسترته البيضاء وهي ترفرف في الهواء. وعندما رأته وثب قلبها ابتهاجاً، وتحركت احدى الرزم البلاستيكية وانزلقت ببطء الى الارض فانحنت باتي لالتقاطها مسرورة باخفاء وجهها الذي تورد فجأة. وفي نفس الوقت تقريباً وصل آيفور وانحنى هو الآخر فلمس كتفه العريض رأسها المتألق فتنة من تحت قبعتها القلقة وقال «آسف».

قال ذلك وهو يبتسم لها فاجابته «بامكاني الاستغناء عنك هذا الصباح».

قالت هذا وهي تعني ما تقول وبذلك جهداً كبيراً لاتقاء سقوط الرزم الاخرى من بين يديها وفي الوقت نفسه تحاول تسوية قبعتها... وسقطت رزمة اخرى على الارض فتراقص الضحك في عينيه السوداوين وهو يستردها. فابتسمت باتي على مضض. قد تعارض باتي نفسها على الطريقة التي يخفق بها قلبها في صدرها. ولكن انى لها ان تعارضه؟ فقد كان ذلك عليها صعباً. كان سحره طاغياً وبالغ الخطورة. فتنهدت وقالت «لم يأتي يومي بعد».

«انت تبدين مستعجلة».

«نعم مستعجلة».

وفتح لها ابواب الجناح المتحركة لتدخل وقال «اذن لم تحن الساعة التي استطيع فيها دعوتك لتناول وجبة طعام معي».

نظرت اليه مترددة. فقد ترددت في قبول دعوة تبدو بريئة ولكنها تخشى ان يكون ذلك تمهيداً للقاءات اخرى اكثر خطراً. فهي لم تعد تأتمنه بعد ان اثار فيها ذلك الاهتياج المتأجج وبكل سهولة اجابته «كلا».

تراقصت عيناه وقال «كلا لم يحن الأوان ام كلا لا تشفقين على طبيب انهكه العمل؟».

لم تجد وقتاً للاجابة. فقد اندفعت جنيفر نيل نحوها بتقطيبة غاضبة ففرت باتي بالرزم التي تملأ ذراعيها. فقالت نيل «طاب صباحك يا سيد مينارد. هلا القيت نظرة على السيد فيلدنك؟ نحن قلقون جداً على صحته... فنبضه وتنفسه ضعيفان وهو يعاني من انحصار في البول».

اومأ آيفور برأسه وقال «نعم... لنلق نظرة عليه».

وفي الحال عاد الرجل جرجاً بكل معنى الكلمة ودفع بذلك الميل وتلك الرغبة الملحة نحو امرأة فاتنة شقراء الى مؤخرة عقله وهو يتبع الممرضة الى الجناح الجانبي حيث يرقد مريضه.

رتبت باتي الاغطية والشراشف وقدمت شراب الصباح واستقبلت مرضى جدداً وساعدت في تغيير الضمادات وكان آيفور قد انصرف من الجناح عندما صار لها متسع من

الوقت للتفكير به. ثم تساءلت ان كان حقاً يعني تلك الدعوة. لقد احست بنوع من الارتياح لأن آيفور لم يطالبها بقرار حاسم. وفي الواقع كانت حائرة لا تدري كيف تتصرف ازاءه. فهي لم تحبذ الطريقة التي استجاب بها جسدها له من غير نظام او منطق. لقد شعرت بأنه من الممكن ان تتورط معه بسهولة كبيرة في علاقة جسدية بكل ما في الكلمة من معنى. غير ان ذلك كان منافياً لمبادئها وقواعد اخلاقها... هذا ما ذكرت به نفسها بحزم... ولكنها استعادت في مخيلتها ذلك التشابك الحار الذي حدث لايديهما وهما يرفعان الرزم عن الارض. وتذكرت مسحة الحنان في كلماته والابتسامة الرضية على شفتيه. بدت هذه الامور اكثر من علاقة عابرة او مسلسل علاقات غير مقصورة على امرأة واحدة. لقد كان مريحاً لنفسها ان تتساءل ان كان بالامكان ان تجده عند رجل آخر حتى لو كان هذا الرجل معروفاً بالفسوق والتقلب في علاقاته الغرامية. انها لن تغامر بقلبها وسعادتها. وهي تشك بان يكون يكون هذا النوع من الرجال عارفاً معنى الحب الحقيقي.

بعد محاضرة مسائية تحررت باتي من قيود العمل لبضع ساعات وكانت مسرورة لتخلصها من كره جنيفر نيل واستهجانها لها. فهي لن تغفر لها بسهولة رؤيتها برفقة آيفر مينارد في الليلة السابقة. ففكرت بأسى المحنة التي هي فيها تحت مسؤولية هذه الممرضة الانانية والمتعجرفة. وبعد المحاضرة استغلت فترة الراحة القصيرة لتسترخي في

حديقة المستشفى مع البنات الاخريات من مجموعتها. وكان الاصيل رائعاً ودافئاً ومشمساً وكانت السماء زرقاء صافية وخالية من الغيوم.

كانت الحديقة محاطة بالبنايات العالية ويشرف عليها تمثال مركزي لمؤسس المستشفى هنري هارتليك. فهي بقعة ظليلة ومكان ملائم لاجتماع المنتسبين، وكثيراً ما كانت هذه الحديقة تستخدم كأقصر طريق بين اقسام المستشفى المتعددة.

كان طلاب السنة الاولى ببزاتهم الرسمية المتميزة وخاصة الفتيات، فهي تجذب الانتباه وهن جالسات على الارض المعشوشبة يتجاذبن اطراف الحديث ويضحكن مستمتعات باشعة شمس الصيف ولحظات الاسترخاء. وان هذا المستشفى يستطيع ان ينافس اي مستشفى آخر في جمال ممرضاته وفتنتهن... هكذا فكر آيفور وهو يتمشى عبر الحديقة في طريقه الى مؤتمر سيعقد هذا المساء. لم يكن يفكر في تلك اللحظة حتى بباتي عندما لمح مجموعة من البنات في ذلك المرج الاخضر. ولكن الشمس الساطعة صنعت هالة من النور على شعرها. فلاحظ انها لم تكن مرتدية قبعتها خلافاً للاخريات. كانت القبعة مرمية على الارض كما لو ان باتي قد نبذتها على نحو ينم عن نفاذ صبرها. فابتسم وهو يعلم ان القبعة الصغيرة بمثابة محنة مستديمة لباتي وللممرضات الاقدم منها. وكانت خصلات شعرها كثيفة وزاهية تتوهج في ضوء الشمس وكانت تبتسم مفعمة بالحيوية. واعجب آيفور بذلك الالق

المنبعث من عينيها الجميلتين ولفت انتباهه النغم الموسيقي في صوتها الضاحك وهي تنادي احدى رفيقاتها. وعندما رأته انتبه الى احمرار وجهها. والتقت عيونهما وابتسم وهو يتوقف عند حافة الطريق. وترددت باتي ثم اسرعت واقفة على قدميها والتقطت قبعتها قالت برقة.

«ينبغي ان انصرف يا بنات... لا استطيع ان اتأخر وجنيفر نيل غاضبة».

- ٧ -

مشت عبر المرج الى حيث كان يقف آيفور الذي كان بانتظارها كما يبدو. فارتبكت بعض الشيء وهي تعلم ان ذلك سيقود الى المزيد من الحديث. وعندما وصلته ابتسمت وقالت بروح مرحة «كلا.... لم يحن الاوان بعد».

كان جوابها مضحكاً وكان بينه وبين السؤال بضع ساعات وضحك آيفور ونظر اليها باعجاب كبير فقال برفق «اذن فنحن على موعد... فساعرج في الساعة الثامنة».

«الليلة!!».

لم يكن ذلك متوقعاً وبهذه العجلة. ولم تشعر بالاستعداد لالزام نفسها باي نوع من الارتباط على الرغم

www.elromancia.com

من كل شيء. وتساءلت ما الذي حثها على ذلك التعليق المتهور؟ فقالت «سوف انام قليلاً...».

اجابها «ثم يأتي الامير الوسيم ويوقظ الحسناء النائمة بقبلة» قال هذا وعيناه تلتمعان فرحاً.

فاجابته «ثم تتحول الحسناء الى ضفدعة بفعل ساحر» وتابعت «في الحقيقة كلا... لا استطيع هذا المساء آسفة».

فقال بحزم «في الثامنة يا باتي. لقد رتبت كل ما يتعلق بوجبة الطعام».

تطلعت اليه وهو يسير مبتعداً غير عارفة ان كانت متأثرة او غاضبة من ثقته بنفسه وصفاقته في آن واحد. لقد كان واضحاً انه يضع خططه سلفاً ويبذل كل ما في وسعه لمنع اي شيء عن اعاقة تحقيق تلك الخطط. وفكرت باتي بمرارة وسخرية لو انها لم تشعر تجاهه بهذا القدر من الانجذاب وهي تعلم تماماً بانه ليس اكثر من رجل فاسق همه الوحيد اغواء النساء... لعله اراد بهذه الدعوة ان يقتادها الى الفراش وقد يكون قد رتب ذلك الجزء من الامسية ايضاً. هكذا حدثت باتي نفسها فقررت ان تجعل خيبة امله كبيرة وقاسية.

مضت فترة طويلة على شعور باتي بالجوع وهي تستعد للموعد وكان الموقف مضحكاً. فهي لم تكن تحب آيفور مينارد. فتساءلت كيف يمكن ان يحدث هذا؟ كيف تخرج معه وهي مصممة بشكل حاسم على ابقائه بعيداً عنها؟ وماذا سترتدي؟ انها لا تدري الى اين سيذهبان. وفحصت

باتي بدقة محتويات خزانة ثيابها فوقع اختيارها على تنورة حريرية سوداء ذات طيات عريضة وبلوز اسود رقيق له اكمام فضفاضة وانتهت من ارتدائهما وتطلعت الى نفسها في المرآة، لقد اضاف اللون الاسود جمالاً على بشرتها وتوهج عينيها، فجعدت انفها البلوري الجميل وهي تتأمل صورتها. قالت تخاطب نفسها «تبدين مغرية جداً... انت تبحثين عن المتاعب مع رجل مثل آيفور مينارد».

واحست بقليل من وخز الضمير فحاولت التخلص منه وكانت متأكدة من انها تستطيع معالجة الموقف اذا انقلبت الامور ضدها.

كانت جاهزة تنتظر عندما توقفت سيارته امام دار الممرضات فاسرعت بالصعود شاعرة ان عدداً كبيراً من العيون تراقبها فقد كانت سيارته معروفة وهو رجل معروف جداً. ثم ماذا؟ ليس اكثر من المزيد من الشائعات والقيل والقال. ولكنها لم تكن قلقة بسبب عقوبة محتملة من جنيفر نيل لانها تجرأت واستدرجت رجلاً كانت تريده لنفسها.

جلست باتي الى جانبه وقلبها يخفق بشدة من الارتباك الذي عصف بكيانها لخروجها برفقة رجل جذاب غير ملتزم بالاخلاق. هكذا يقال عنه. وقد لاحظت الاعجاب في عينيه. فتساءلت ان كان قد كشف رد فعلها الفوري لسحر ابتسامته ووسامته. وعندما ابتسمت له هي ايضاً مال اليها ليقبلها برفق. فجفلت وارتدت الى الوراء. ولكن لمسة شفتيه الحارة هزت مشاعرها، فصرخت بقوة.

«لا تفعل ذلك. . . فالناس يراقبوننا».

«هكذا اذن؟».

ثم انحرفت السيارة برفق بعيداً عن الحاجز الحجري فقالت باتي «بل سيتردد في طول هارتليك وعرضه ان طالبة تمريض اخرى كانت حمقاء بما فيه الكفاية قد ارتمت تحت قدميه».

ابتسم واجابها «ولكنك لم تفعلي هذا. . . بعد».

امالت رقبتها وقالت «ولن افعل».

قاد سيارته من امام المدخل الرئيسي واستدار يساراً الى شارع مكفتون. وبعد مسافة قصيرة اوقفها في المرآب فسألته وهي تشك ان كان ذلك المكان ملائماً لوقوف السيارات.

«الى اين نحن ذاهبان؟».

«الى واحد من افضل المطاعم في المدينة».

كان شارع هاي ستريت مليئاً بالمطاعم الاجنبية. وعندما شعر بأنها غير مصدقة تابع قوله مبتسماً «اسألي اي واحد؟».

ازاحت نظرها عنه الى صف من البنايات العالية ونظرت اليه ثانية وهي مرتابة. فقالت بارتباك «الى شقتك؟».

اجابها بمرح ولمس خدها باصابعه مداعباً «انت تشبهين طائراً يوشك ان يلوذ بالفرار. . . هلمي وتناولي عشاءك قبل ان تطيري بعيداً. . . انا طباخ ماهر وقد عانيت الكثير من المتاعب لاجل ارضائك».

التمعت عيناه السوداوان واستطرد «لا تكوني ساذجة يا

باتي اني اعددت لك مشهد اغراء كبير».

ابتسمت على مضض وهي تحس بانه قد انتزع الريح من اشرعتها بكلماته الصفيقة. وقد دهشت عندما قادها الى شقته الوثيرة ولم تكن تتوقع ذلك حتى آخر لحظة. وكانت الشقة مؤثثة تأثيثاً ينم عن ذوق رفيع ورفاه واضح. فطنافسها سميكة وستائرها ثقيلة. فاستحسنت ذوقه وحسن اختياره للصور المعلقة على الجدران. . . والآنية الخزفية الموزعة بذوق عال في الزوايا والتي تشير الى عظمة الصين في هذه الصنعة.

كانت الشقة تمثل شقة رجل له شخصيته الخاصة وهي برهان على يساره وثروته. . . فقدم آيفور لها شراباً وضغط على الزر الكهربائي لكي يعم الغرفة لحن موسيقي رائع. ثم تركها وذهب الى المطبخ ليتأكد من حسن سير عملية اعداد الطعام.

طافت باتي في غرفة الجلوس متفحصة كتبه وصوره واجهزة تسجيله للشرائط الموسيقية. ثم جلست على الاريكة الجلدية العريضة متمنية لو كان بامكانها ان تشعر بطمأنينة اكبر.

كان آيفور رجلاً غريباً بلا شك. فهي لم تعرف عنه سوى الشيء القليل. وهو سمعته. وكان ذلك كافياً لابقائه بعيداً عنها ففكرت باتي بل تساءلت مع نفسها لماذا لم يحدث هذا؟ ففي الحقيقة انه رجل جذاب الى درجة سلبتها راحة البال، وبشيء من التردد تبعته الى المطبخ الانيق والمؤثث تأثيثاً جيداً وقالت «هل هناك شيء استطيع

www.elromancia.com

عمله؟».

«لا شيء».

ونظر اليها بعنين مليئتين بالرغبة... فقد كان رجلاً طويل القامة يصل طوله الى اكثر من ستة اقدام... فحتى حذاؤها بكعبه العالي لم يكن ليجعل رأسها يصل الى كتفيه. فهي صغيرة ونحيفة مع سمات من الرقة التي ربما كانت خادعة حيث ان الممرضات يجب ان يكن اصلب عوداً.

التفت اليها مكملاً جملته الاولى «فكل شيء على ما يرام».

وابتسم ابتسامة غريبة حتى ان مشاعره التي اوشكت على فضح ما يخالج نفسه من تمكن التحكم بها. ان عليه ان لا يستعجل الامور. فقد ادرك ببصيرته انها غير مطمئنة اليه. ولكن قبولها دعوته كان مشجعاً له. فرغم ثقته العالية بنفسه لم يكن قد توقع ذلك. كان قلقاً بعض الشيء من ان هذه الامسية لن يكتب لها النجاح. لذلك من المهم جداً ان تشعر هي بالود نحوه وتثق به اولاً... ولم يستطع التخلص من الشعور بان باتي قد قدر لها ان تصبح شيئاً عزيزاً بالنسبة له. وتمنى لو انه يستطيع ان يثبت لها ذلك.

وقالت له بحبور «هذه تجربة جديدة... فكلما دعيت الى بيت رجل لتناول وجبة طعام ينتظر مني عادة ان اقوم بالطبخ».

«كلا... اني لا انتظر منك حتى غسل الصحون...».

اجابته «هذا التدليل يفسد شخصيتي».

ضحك آيفور ثم احاطها بذراعيه برقة متناهية ثم سحبها اليه قائلاً «لا احد يراقبنا الآن».

قال ذلك بنعومة ثم قبلها، فاطبقت يديها على صدره تقاومه بكل قوة. ولكن شفتيها ارتعشتا وامتلأت برغبة مفاجئة عنيفة فايقنت انها لا تملك غير القليل من وسائل الدفاع ضد هذا الرجل ولكن ينبغي عليها الا تذوب بين الذراعين الممسكتين بها برفق والتي تشير الى المباهج التي ستجدها لو انها استجابت لمغازلته.

- ٨ -

لقد كان متمرساً وذكياً جداً فاحست بتي بالمرارة، لأنها على وشك السقوط في الشرك. فهو يعرف تماماً كيف يثير عواطف النساء. ويهيج فيهن الرغبة في حين يبدو هو وكأنه لا يريد منهن شيئاً. وكانت مقاومتها حاجزاً قوياً بينهما وكان آيفور يتقن اساليب افضل من ارغامها على الاستجابة، غير انه كان مصمماً على ملاطفتها حتى تستسلم له في المستقبل القريب. انه متلهف اليها كثيراً فقد ادرك الرغبة الملحة في ذلك الجسد النحيل رغم تصميمها الواضح على التظاهر بأن مثل هذه الرغبة لا وجود لها. فاطلقها وانصرف الى الصلصة يحركها بالملعقة وكأنها ذات اهمية اكبر من نفورها منه قائلاً بلطف.

«لا تصرفي انتباه رئيس الطباخين. . . هذه الصلصة هي الذ ما ستتذوقين».

لقد احبته باتي لسيطرته على نفسه في الوقت المناسب واستخفافه باللحظة الحرجة. وكان من الممكن ان يخفق ذلك المساء عند تلك اللحظة بسبب رفضها الاستمتاع بعناقه. ولم يبد مكترثاً لذلك. لا شك انه كان متعوداً على استجابة الممرضات الصغيرات اللواتي يلاطفهن اولاً حتى يسهل عليه اقتيادهن الى الفراش. وفكرت بأنه قد لا يجرح شعورها فان المرأة لا تجرح في الصميم الا عندما تحب رجلاً باخلاص فتجده فجأة يتحول عنها الى امرأة اخرى اكثر جاذبية كما هو الحال مع آيفور. ولكنها تشك بمقدرة هذا الرجل او غيره ان يحرك مشاعرها بالقدر الذي يجعلها تهتم به. ولكنه قد يتمكن من تمريغ كبريائها بالوحل. بامكانها ان تعطي بسخاء كما اعطت من قبل لتجد الرجل الذي احبته يستهين بعطائها ويستصغره، بينما يغدو لها ذلك قيداً لن تنساه حتى لو امتد بها العمر فتصبح عجوزاً طاعنة في السن.

كان تأثير آيفور على مشاعرها قوياً الى درجة، كانت مجرد لمسة من يده تثير فيها عواطف عارمة، ان هذا يدعو الى السخرية. . . لقد اشتاقت الى مغازلته وعناقه وتساءلت ان كان بامكان آيفور ان ينقلها الى ذروة السعادة التي اخفقت في الوصول اليها بين احضان ستيف. لقد احبت ستيف واستسلمت له بسرور ولكنه لم يتمكن من اثارتها جسدياً ابداً وكان ذلك مدعاة قلق واسف متواصلين. فقد

بذلت كل ما في وسعها لارضائه واسعاده ولكنها اخفقت في الاستمتاع معه، وفي حينه كانت تحاول اقناع نفسها ان تربيتها البيتية الصارمة قد سببت لها ذلك الاحباط. وان الزواج كفيل بشفائها من برودتها. غير ان ستيف لم يتزوجها برغم كل شيء. وكانت تفكر على الدوام ان ستيف لم يتزوجها بسبب برودتها. فهل ستصاب بالبرود الجنسي بين ذراعي آيفور ايضاً؟ انها حمقاء عندما تفكر بهذا الشكل. فعلى الحب والرغبة ان يسيرا جنباً الى جنب فلا تفرط بنفسها بين يدي رجل فاسق.

اثبتت لذة وجبة الطعام انه طباخ حاذق. فهي وجبة فاخرة وكذلك كان النبيذ الذي قدمه. فساور باتي شعور بأنها قد احتست منه اكثر مما يجب فنبهته بشيء من المرارة الى كفايتها...

فقال لها متشدقاً «لقد نجحت الخطة تماماً يا عزيزتي... فالمثل يقول قدم النبيذ للفتاة تستسلم لك في النهاية».

ثم ضحك وتلألأت عيناه وكانت كلماته تتراوح بين الجد والهزل ولكن باتي تساءلت ان كان في هذا المثل ذرة من الحقيقة. وسرى الدفء في عروقها وشعرت بانها تزداد راحة واطمئناناً على الرغم من انها كانت لا تزال تحبط عروضه وتلميحاته التي يصعب تجنبها. ورجت ان يكون لديها من قوة العقل والحصافة ما يكفي للمقاومة. لقد ادركت انها قد بدأت تحبه وربما هذا اشد خطورة عليها من قوة جاذبيته فقالت بصرامة «ليس في هذه الحالة».

ضحك آيفور ونهض واقفاً على قدميه وسألها «ما رأيك بالقهوة؟ القهوة السوداء... من غير حليب».

اومأت برأسها مجيبة «نعم... من فضلك».

ثم تبعته الى المطبخ حاملة الصحون قائلة «لماذا لا نغسل الصحون اولاً يا آيفور؟».

اجابها «ساغسلها وحدي فيما بعد. فلي يد بارعة في غسل الصحون... اما انت فاجلسي واستريحي وانتظري قهوتك».

غير ان باتي اصرت على مساعدته ووجدت ان العمل اليومي في المنزل يخلق نوعاً من الالفة والمودة الباعثة على الاطمئنان. فاستجاب لها. وقد لاحظت انه قد اسرف في استعمال الصابون السائل وعندما رأت رغوة الصابون تغطي يديه حتى المرفقين وقد علقت كتلة صغيرة منها على خده، عندما رأت هذا تبددت من مخيلتها تماماً الصورة الشنيعة التي صورته شريراً وفاسقاً لا عمل له غير اغواء الفتيات الساذجات وجلبهن الى شقته لقضاء امسية من الملذات.

واثناء تناول القهوة تحدثا من غير تكلف عن الموسيقى فاكتشفا انهما يمتلكان اذواقاً وهوايات مشتركة. وتحدثا عن هارتليك ايضاً. فقد كان لديه ذخيرة من القصص المسلية عن المرضى. فاصغت باتي اليه بشوق منجذبة الى نبرة صوته الخفيض والاسلوب الذي يتحدث به والضحك الذي يجعد عينيه السوداوين.

كان آيفور بمركز مسجل امين وكان هي ممرضة حديثة

www.elromancia.com

العهد جداً، في السنة الاولى من التدريب. فلم يجعلها تشعر بمدى الخلاف الرسمي بينهما. فبعيداً عن المستشفى كانا مجرد رجل وامرأة يريدان معرفة المزيد عن بعضهما بعضاً. وقد كانت مهتمة لمعرفة التفاصيل عن اسرته وايامه الدراسية في كلية الطب.

وقالت هي انها كانت قد عملت سكرتيرة قبل مجيئها الى التمريض ولكنها لم تخبره عما حثها على ترك البيت والاسرة وذلك المرتب الجيد الذي كانت تدفعه لها شركة وكلاء بيع الاراضي فهو لم يحاول سبر غور ذلك. وكانت هي شاكرة له ومسرورة على عدم الحاحه في الاسئلة. فلا يمكن ان يكون احد قد اخبره عن خطوبتها وفسخها لعدم وجود من يعرف ذلك في هارتليك وكانت تتحدث بطلاقة غير شاعرة باليأس وذلك لعدم وجود من يهتم بهمومها. وكانت الى جانب ذلك مستمعة جيدة لكل ما يقوله آيفور... فادركت مقدار ما خسرته من المتعة والمودة بصحبة هذا الرجل. منذ ان القي بها بين الفتيات اللواتي كان العديد منهن اصغر منها سناً.

كانت معتادة في الماضي على قضاء معظم اوقاتها برفقة ستيف وهي تستحثه للتحدث عن طموحاته ومشاريعه في المستقبل متطلعة الى مقاسمة هذا المستقبل معه بكل ثقة واطمئنان... انها ما زالت تفتقد ستيف لذا يريحها الاستمتاع بصحبة رجل ناضج وجذاب وحسن المظهر، ومن الطريف ان آيفور يبدو مستمتعاً بصحبتها هو الآخر. قد يضايقها ولكنها تشعر انه يعتبرها امرأة اخرى تختلف عن

الاخريات. وقد انتزع بجدارة حبها واعجابها. وفي الواقع بدا وكأنه يحاول تجنبها من هذه الناحية. ففكرت بشيء من خيبة الامل عند مرور هذه الخاطرة بذهنها. فرغم مودته الحارة فقد كان موضوعياً لم يتصرف على الاطلاق تصرف مستهتر او غاو اذ انه لم يحاول حتى تقبيلها مرة ثانية. وكان من الخطأ ان تتمنى لو انه يحاول بعد ان صدته بوضوح في باكورة هذه الامسية. فحدثت نفسها بحزم، ربما شعر انه يحترم رغباتها، ولكنه في الوقت ذاته لم يشك في كونها متلهفة للارتماء بين ذراعيه.

ابتسمت له وهي تتثاءب بسبب النبيذ والطعام وحرارة الجو. وكانت قد رفست حذاءها واستلقت في زاوية الاريكة وقد اثنت قدميها الصغيرتين الجميلتين تحتها فخفق قلب آيفور. فقد بدت مثل طفلة ناعسة وجميلة وعرضة للاستسلام وفاتنة جداً. فشعر برغبة الى سحبها بين ذراعيه وضمها الى صدره. لقد ادهشه ايما دهشة هذه الشعور الذي بدا لاول مرة. ولكنه ايقن انها ستسيء فهم دوافعه اذا اخذها بين ذراعيه وهو يقصد تحطيم القارب في هذه المرحلة. فقد ارسيا اسس الصداقة وآيفور يريد ان يكتفي بذلك في الوقت الحاضر. فقال لها.

«اعتقد قد آن الاوان لاعيدك الى دير الراهبات... لقد تأخرت» قال هذا على مضض وهو ينظر الى ساعته.

وافقت... غير ان غرائزها تمردت لهذه النهاية الشاقة للمساء فقالت مع نفسها بصراحة انها يجب ان تكون مسرورة لعدم حدوث ما كان سيضطرها الى صده

ومقاومته... ثم لبست حذاءها، وعندما وقفت على قدميها انحرف احد كعبي حذائها وافقدها توازنها... فتشبثت بذراع آيفور ضاحكة على سماجتها. فساعدها على الوقوف ثانية وهو يبتسم. وعندما نظرت الى وجهه وجدت نفسها تغرق في الاعماق الدافئة في عينيه السوداوين فتحركت عروقها... وبتهور احاطت رقبته بذراعيها وسحبت رأسه الى اسفل ولمست شفيته بشفتيها لمساً رقيقاً.

- ٩ -

فتصلب آيفور ولم يمكنها من الالتصاق به. فتساءلت ان كانت قد ارتكبت خطأ فلربما لم يكن من ذلك النمط من الرجال الذين تروق لهم العروض من جانب المرأة فقد ظنت انه ربما يفضل ان يقوم هو بنفسه بكل الخطوات. ومع ذلك قبلته ثانية محاولة اذابة تلك المقاومة المذهلة من قبله. فشعرت بفمه فجأة ينشط وبذراعيه تسحبانها بقوة ثم يقبلها بحماسة متقدة بددت كل مخاوفها من انه لم يكن راغباً فيها كما كانت هي راغبة فيه. وتعانقا.

ايقنت باتي ان ذلك كان جنوناً منها. ولكنها كانت ضعيفة، وخصوصاً عندما سمعت اسمها يصدر من اعماقه مع تنهيدته.

www.elromancia.com

وفجأة اكتشف ان باتي تمثل عالماً جديداً من الالتزام لم يكن مستعداً له بعد. فهي ليست متهالكة من غير حب، وبينما كان ممسكاً بها انقلبت مسكته الى حنان واحترام. فترفقت يداه بها ولم يبال بدهشتها. اذن ان هذا الرجل ليس فاسقاً وليس مستغلاً لضعف النساء. ولم تفهم مشاعره الجديدة وليس بامكانها ان تفهم. فتركها مذهولة من غير ان يحترم ضيفته حتى لو كان هذا الاحترام ضد سعادتها.

ان هيامها وانفعالها وموقف آيفور منها سبب لها شعوراً عميقاً بالمذلة والهوان. فدفعته بعيداً عنها وازاحت خصلات من شعرها عن وجهها المتورد خجلاً. وقالت باستخفاف «حسناً، لقد تصرفت بمقتضى سمعتك تماماً» قالت هذا وكأنه المسؤول عما حدث وتابعت «كان من الحماقة ان اثق بك».

حاولت يائسة ان تحمله مسؤولية حماقتها غير انها لم تستطع ان تجعله يدرك قوة الضربة التي سددها الى كبريائها وثقتها بنفسها واحترامها لذاتها. فقد ارتمت بين ذراعيه لتجد نفسها منبوذة. ترى اي شيء كانت تفتقر اليه بينما تمتلكه الاخريات اللواتي دخلن حياته... تساءلت بمرارة شديدة وخيبة امل، ايستطيع ان يتهمها بالبرود وانعدام الاستجابة؟ ربما كانت متلهفة الى اكثر مما فعلت. وربما آيفور مثل العديد من الرجال يتمتع بالمطاردة فقط او ربما يكون قد فضح استعدادها الخليع واثبت لها بأنه ليس فاسقاً كما يصوره الآخرون. لقد كان اكثر من غريب بالنسبة لها. فلا تدري اتشكره لأنه جعلها تعود الى نفسها

في الوقت المناسب ام تحتقره لأنه سبب لها الاشمئزاز.

لاحظ آيفور ان العينين الخضراوين الجميلتين كانتا متألقتين على نحو ينزع الى الشك بالرغم من الكلمات المصطنعة والهدوء الظاهري. كانت الدموع على وشك ان تنهمر من عينيها فأيقن آيفور انه قد جرحها وخيب املها. فهو لم يكن شخصاً تنقصه الحساسية ولم يكن بليداً، فقد ادرك بعد فوات الاوان كيف ستفسر ذلك التمرين في ضبط النفس.

مرر يده على شعرها الفاحم مبتسماً في اعتذار محزن «انت مغرية جداً يا عزيزتي».

قال هذا متشدقاً وكأنه هو الذي الح عليها وهي التي تراجعت وليس بالعكس. لقد حاول بتعمد ان يخلق ذلك الانخداع النفسي ويحرض شعورها بضرورة جعلها تصدقه لأسباب خاصة بكرامتها التي اصبح مهتماً بها اكثر من اهتمامه بجسدها. انه يحاول ان يكون شفوقاً. ففكرت باتي ان هذا امعان في اذلالها واهانتها. وعلى حين غرة بدا لها انه من الضروري جداً ان تثبت له انها كانت غير مكترثة به فقالت بنبرة تنم عن الحقد.

«اذاً سابعد الاغراء عن طريقك في المستقبل».

تجهم وجه آيفور وقال «ارجو ان يعني ذلك ما تعنيه الكلمات المنفعلة».

فقالت باتي بصدق «لقد كانت امسية لطيفة وقد استمتعت بها. غير اني لا اريد ان اكرر ذلك يا آيفور. لننس ما حدث».

«اوه يا باتي» وحاول الوصول اليها فتملصت منه بسرعة وهي تقول «انني اعني ما اقول».

لم تنظر اليه ولن تغامر بالسماح له ولو بلمسة من يده خشية ان تكشف حاجتها المصحوبة بالشوق والالم. انها لا تعرف عنه غير القليل وهي لا توده الا اقل من القليل. ولكنها تذوب شوقاً وهياماً الى قبلاته بكل ما فيها من سحر وافتتان. ونظرة واحدة الى ذلك الوجه الصغير والعنيد نظرها آيفور اليها جعلته يكف عن الالحاح، فلم يعد الجو المتوتر بينهما صالحاً للمزاح او حتى للملاطفة فقال وهو يهز كتفيه.

«كما تشائين».

بامكان النساء ان يصبحن الشيطان نفسه ولكن هذه الفتاة لم تكن ببساطة من امرها لكي تتظاهر بانها صعبة المنال. فواضح انها قد اثيرت اكثر مما ينبغي. ومن الواضح ايضاً انها تبدو خائفة من نتائج العاطفة التي شبت بينهما. ولم تتوقع باتي موقفه هذا فقد آلمها قبوله الابتعاد عنها عن طيب خاطر ودونما اي اكتراث.

لقد ارتاعت بل ارتعبت لتلك الوخزة من الالم فهي لم تكن تتوقع ان تجرح مشاعرها ثانية من قبل رجل آخر. فهل من الممكن ان تكون قد احبت هذا الرجل الى هذه الدرجة وبهذه السرعة؟ وبطريقة مماثلة اتخذت هذا الموقف في هذه اللحظة وفي هذا المكان؟... ربما...

سارا معاً الى دار الممرضات في هاي ستريت. وكانت باتي قد اقترحت بعدم وجود ضرورة لاستعمال سيارته لمثل

هذه المسافة القصيرة... ولم يقل آيفور سوى كلمات قليلة اثناء سيرهما. اما هي فقد تكلمت كثيراً بدون جدوى وبطريقة من يدافع عن نفسه بعد شعوره بالذنب. وتوقفت على بعد ياردات من البناية العالية وقالت «لا تتقدم اكثر من هذا يا آيفور».

فطن الى قصدها... انها لا تريد ان يراها احد بصحبته فتصبح موضع اقاويل الناس. فقد كان معروفاً تمام المعرفة ان سمعته يمكن ان تكون عائقاً حتى للصداقة البريئة فقال «حسناً».

«ليلة سعيدة».

اصبح آيفور بين خيارين، فاما ان يتخلى عنها وينساها، واما ان يسلم بانها اصبحت مهمة بالنسبة له ويتشبث بها. ولكن الخيار الثاني لم يكن سهلاً لرجل متمسك بحريته الاجتماعية، فيستمتع كما يشاء ومع من يشاء. فهو لم يكن متأكداً تماماً من استعداده للتخلي عن هذه الحرية من اجل امرأة والزواج بها... وتمنى لو انه عرف مشاعرها الحقيقية نحوه. فقد عرف كيف استجاب جسدها في لحظة ضعف فاوقفه هو عند حده. ولكنه لم يفهم البتة ما كان يجري في عقلها او قلبها. انها تبدو واثقة من نفسها ولكنه احس انها عرضة للاستسلام اكثر من معظم النساء. لقد بدت هادئة جداً ولكنه قد اضرم ناراً يمكن ان تتقد وتبعث فيها ناراً تحرقهما معاً... ولعل باتي ادركت ذلك جيداً ولم تكن راغبة في ان تحترق مرة اخرى... وربما من الحكمة ان يلاحقها... فعاد ادراجه نحوها واخذ بيدها بلطف وقال

www.elromancia.com

«ساراك قريباً يا باتي».

ورفع يدها الى شفتيه وطبع قبلة على راحة يدها ثم اطبق اصابعه عليها باحكام وهو يبتسم... وبدت الكلمات الرقيقة والابتسامة الجذلة وكأنها بلسم لقلبها المضطرب. غير انها ما زالت تشعر بوخز خفيف من لمسة شفتيه ليدها وهو يخطو مبتعداً بقامته الطويلة وقوامه الفارع. فتبعته بنظراتها شاعرة بالحرمان.

نامت نوماً عميقاً خالياً من الاحلام. وكانت هذه هي المرة الاولى منذ سنوات التي تستغرق فيها بنوم دون ان يخطر ببالها ستيف. كما كانت هي المرة الاولى التي تستيقظ فيها وعلى بالها رجل آخر.

- ١٠ -

ظلت مضطجعة على سريرها بعد ان استيقظت، لبضع دقائق وهي تتذكر امسيتها برفقة آيفور مينارد. ممعنة التفكير في اكتشافها انه كان شخصاً شهماً والطف بكثير مما كانت تتوقع او تصوره الاشاعات. فسارعت نبضات قلبها بالخفقان عندما تخيلت كيف ستلقاه في الجناح الجراحي، او في اي مكان آخر من المستشفى في ذلك النهار... ثم تذكرت كيف كان فراقهما ليلة امس متسماً بالود والاحترام على الرغم من كل ما جرى. فقد كان يسير برفقتها مطيعاً لاوامرها الصارمة. كل هذا جعلها تتساءل ان كان سيكلمها او يبتسم لها اذا التقيا ثانية. لقد كان رجلاً مؤدباً وجذاباً، ولم يكن بحاجة الى ازعاج نفسه من اجل امرأة تؤكد عدم

www.elromancia.com

اهتمامها به.

وفتشت باتي في ذاكرتها لتستعيد كل ما كانت قد قالته او فعلته.

والآن في ضوء النهار يمكنها ان تكون مسرورة، فشيء ما قد اخمد تلك العاطفة المشبوبة في قلبها. فربما كانت ستكرهه او تكره نفسها هذا الصباح لو ان الامور قد انتهت بشكل مغاير. واما الآن فهي تعجب فقط من تلك الرغبة العارمة التي اجتاحتها والتي لم يسبق ان شعرت بمثلها من قبل. فلعل تأثير النبيذ كان اقوى بكثير من قوة جاذبيته.

تسلقت راكضة السلالم الحجرية للمدخل الرئيسي في هارتليك وشقت طريقها من خلال احد الابواب الزجاجية الى القاعة الكبرى وهي انيقة وفاتنة في بزتها وفي خطواتها الرشيقة والراقصة. وقد كانت غافلة تماماً عن كل هذا. ولكنها جلبت انتباه الرجل الضخم الجالس في مكانه المعتاد وراء طاولة الاستقبال، واصابعه تمسك بخيوط المستشفى التعليمي الكبير فقال لها بابتسامة عارفة وغامزة.

«طاب صباحك ايتها الممرضة».

فردت عليه بابتسامة مشرقة ودافئة وهي تسرع الخطى «طاب صباحك يا حبيبي».

وبدا لأكثر من عين كأن شعاعاً ذهبياً من ضياء الشمس قد اشرق في تلك المنطقة الفسيحة من المستشفى الخالية من النوافذ. لقد نامت نوماً عميقاً وافاقت وملؤها النشاط وهي تتطلع الى نهار صاخب غير انه سيكون ممتعاً في الجناح الجراحي. لقد احبت التمريض، واحبت متطلباته.

غير انها لم تشعر اليوم بأن قلبها اكثر فرحة مما كانت عليه قبل عدة شهور. ولم تربط باتي ارتفاع معنوياتها بآيفور مينارد فإنها تعتقد بصدق ان شوقها للبدء بالعمل ينبع من حبها للتمريض اكثر من رجائها للقاء آيفور مينارد.

شقت طريقها الى الطابق الثالث حيث جناح كيوري وارتدت صدرية بيضاء متموجة ثم مضت الى الممرضة المسؤولة لتعلن حضورها. كان الجناح حافلاً بنشاط صاخب وحيوية مع خمسة مرضى يتوقع ادخالهم الى صالة العمليات في ذلك اليوم، وكان السيد ويليس من ضمنهم. وهو رجل ضئيل يثير الشفقة ويرتدي ثوباً ابيضاً فضفاضاً. وكان شاحب اللون وخائفاً جداً.

جلست باتي على جانب سريره مخالفة كل التعليمات والقواعد آخذة بيده المرتجفة وهي تربت عليها مبتسمة ابتسامة دافئة ومطمئنة وهي تقول «ينبغي الا تقلق يا سيد ويليس. كل شيء سيكون على ما يرام. فسوف لا تحس بشيء. وعندما تستيقظ ستجدني قربك لأهنئك بالسلامة».

هز رأسه قائلاً «لن اعود الى هذا الجناح ثانية ايتها الممرضة اللطيفة».

اجابته «بل ستعود... وسنعتني بك وتتحسن صحتك ثانية» وربتت على يده مواسية وقالت «انظر كيف تحسنت صحة السيد ديكون بعد ان فقد كلتا ساقيه».

ثم اومأت الى الرجل المسن الذي كان ينطلق بسرعة ورشاقة على كرسي المقعدين وسط الجناح يتبادل التحيات المرحة مع مرضى آخرين وقالت «انه سيغادر المستشفى

في غضون ايام قليلة كما تعلم. . . وهكذا ستكون بعون الله».

لم تستطع باتي اعادة البهجة الى نفسه فقال «هذا شعورك الطيب ايتها الممرضة الطيبة. لكن ذلك لن يكتب لي» كانت نبرته تنم عن بؤس شديد وهو يتابع كلامه «لا استطيع تحمل ذلك. . . هذه حقيقة. . . لا استطيع. . . ومع هذا لو كانت لي زوجة. . . لتغير الامر، كانت ستساعدني في محنتي حتى النهاية».

وانسابت الدموع من عينيه الذابلتين على خده النحيل. لم يمسحها الرجل المسن وتركها تتلألأ على خديه فقالت له «نحن هنا لمساعدتك يا سيد ويليس».

قالت هذا بعطف متناهٍ ولكنها كانت مضطربة. لأنها لم تجد لدى الرجل روحاً مقاتلة ضد المرض. كانت قد عملت خلال الاشهر القليلة الماضية انها ذات اهمية بالغة لشفاء اي مريض لا تكون له رغبة في الحياة، حيث تسوء صحته اكثر واكثر دونما سبب واضح. فيما يكون التكهن من قبل الاطباء يوحي بانه سيشفى. وبينما كانت تفكر بهذا وبتأثير التشاؤم على المريض سمعته يقول «اريدك ان تكوني معي في صالة العمليات ايتها الممرضة».

كان المرضى دائماً يتكلمون عن النزول الى صالة العمليات اما لعدم علمهم بعدم امكان جعل صالات العمليات الجراحية في الطوابق العليا، واما لأن المرضى يتشبثون بالاعتقاد ان جميع العاملين في صالات العمليات يرتدون ثياباً بيضاء واقنعة منذ سنوات عديدة. منذ ان اقر

اللون الاخضر كلون اكثر راحة للجراحين الذين يقضون ساعات عديدة تحت تدفق الاضواء الساطعة في تلك الصالات.

اجابته مهدئة ومصممة على تدبر الامر بكل وسيلة «بكل تأكيد سافعل».

كانت كممرضة متدربة يتحتم عليها ان ترافق المريض الى صالة العمليات وتعود اليه عندما يصبح جاهزاً لمغادرة غرفة الطوارىء. . . فلن يعرف المرضى وهو تحت تأثير البنج التمهيدي والابر التي يد ق بها في غرفة الانتظار شيئاً مما يجري حولهم. وعند عودتهم الى وعيهم كانو يشعرون بالراحة والرضى لوجود وجه مألوف لديهم يعتني بهم. ان ذلك النوع من التطمين كان جزءاً مهماً من قواعد التمريض. وذلك ما كانت باتي قد اكتشفته خلال عملها. . . فكان كل مريض قلقاً يحس بالضياع الى حد ما بدون مساعدة اسرته او اصدقائه لذلك يتشبث بالممرضات مع شيء من عدم الثقة بالاطباء الذين يحملون حياتهم بين ايديهم.

اقتربت جنيفر نيل من السرير ونظراتها تنذر بالشر للممرضة الادنى رتبة والتي انتهكت التقاليد والاعراف بوقاحة. فلم يكن مسموحاً الا للممرضة المسؤولة الجلوس على حافة سرير المريض عندما يكون قلقاً. اما المشرفة فبامكانها ان تبتسم ابتسامة منصفة او متسامحة اذا كان المريض اثيراً ولكن عليها في الوقت نفسه ان تظهر بمظهر عدم تشجيع المريض على تبادل الابتسامة مع الممرضة

حتى لو كان من المهمين. اما الزوار فكانوا يحذرون من التمادي في الحديث اما من قبل المرضى الذين يعرفون القواعد المرعية في المستشفى او من قبل ممرضة عابرة، اما الممرضات فليس من حقهن الجلوس ابداً في حضور المرضى الا في حالة تقديم العناية الخاصة ولمرضى ساءت احوالهم كثيراً. او عندما يعالجون في اجنحة جانبية صغيرة بمعزل عن انظار المرضى الآخرين.

قالت الممرضة المشرفة «لقد آن اوان علاجك التمهيدي يا سيد ويليس».

ولكن عينيها تقلصتا حينما وقعتا على باتي التي اسرعت بالوقوف على قدميها وهي ما تزال ممسكة بيد الرجل المسن وقالت لها بجفاء «اعتقد اني امرتك بالعناية بالسيد رينولدز ايتها الممرضة» قالت هذا بصرامة مؤكدة موقفها الذي لا يخلو من معنى الازدراء للممرضات الادنى منها رتبة فاجابتها.

«ان السيد ويليس قلق بعض الشيء ايتها المشرفة... وكنت احاول اقناعه بان لا داعي للقلق...».

فقالت وهي تغلي غضباً وانفها شامخ بكبرياء «انت بين ايد ممتازة يا سيد ويليس. فالسيد ماننك جراح بارع ويرعى السيد لويس الذي صرف وقتا طويلا يشرح لك كل شيء في الليلة المنصرمة. انت تريد ان تتحسن، اليس كذلك يا عزيزي؟ لذلك يجب ان تتخلص من هذا القلق».

كان الرجل الضئيل مخلوع الفؤاد وعاجزاً عن الاحتجاج والاعلان عن انه قد تراجع عن قراره السابق. وانه يريد

الاحتفاظ بساقه، سليمة كانت ام مريضة. ولكن باتي لاحظت الذعر بوضوح في عيني المريض وشعرت بالمسلة الشرسة التي مسكتها اصابع جنيفر نيل وهي تحاول زرق السيد ويليس وهي تقول «مجرد وخزة صغيرة. اريدك ان ترقد بعدها وتبقى هادئاً ومسترخياً... والآن اترك كل شيء للاطباء».

www.elromancia.com

- ١١ -

ادركت باتي ضرورة التصرف بحزم. فالعلاج التمهيدي والحقن يجب ان تعطى في الوقت المناسب والمرضى عادة يشعرون بالهلع عندما يقترب وقت ذهابهم الى صالة العمليات غير ان المشرفة تعامل المرضى المسنين والقلقين والخائفين كما لو كانوا اطفالاً يصعب التعامل معهم.

اعتدلت المشرفة واسقطت الابرة في الوعاء المعد له وقالت «بعد قليل ستذهب الى صالة العمليات وسرعان ما ينتهي كل شيء. وسيكون بمقدورك بعد ذلك ان تتطلع الى مغادرة المستشفى.

ثم انصرفت بعد ان ذكرت باتي للمرة الاخيرة بان السيد رينولدز ينتظر العناية به. وتبعها الرجل بنظراته مع شيء من

الامتعاض وتمتم قائلا.

«لها كل الحق ان تكون مسعورة هكذا... اذ ليست ساقها هي التي ستبتر».

فهمت باتي مشاعره. فإن من واجبات الممرضة ان تدخل السرور الى نفوس المرضى دون ان تجعلهم يشعرون بانها غير مكترثة بآلامهم. ان فقدان ساق قد يكون عملاً اعتيادياً في نظر ممرضة تتعامل مع حالات جراحية متعددة ومتنوعة ولكن ذلك بمثابة كارثة كبرى من وجهة نظر المريض نفسه. وبقيت باتي واقفة الى جانب سريره حتى بدأ العلاج التمهيدي يعطي النتيجة المطلوبة. وفي غضون دقائق قليلة تراخت يده الممسكة بيدها واتخذ في رقاده على الوسائد وضعاً اكثر راحة. فتركته ومضت لتساعد السيد رينولدز الذي خضع لعملية جراحية ازيلت فيها اجزاء مهشمة من عموده الفقري قبل يومين. وعندما عادت الى السيد ويليس بعد وقت قصير. كان في حالة نفسية تساعده على الشعور بقدر ضئيل من النشاط الذهني بعد فترة من النعاس والخمول. فابتسم لها ابتسامة باهتة وقال متلعثماً «تذكري ما وعدتني به ايتها الممرضة. اريدك معي في صالة العمليات».

ابتسمت باتي ووعدته بذلك ثانية. وانصرفت لتسأل المسؤولة ان كان بمقدورها ان ترافقه عندما يأتي البوابون لنقله الى صالة العمليات. كانت الممرضة المسؤولة في مكتبها تتحدث مع زوجة قلقة على زوجها المريض الذي ادخل حديثاً، فراحت تبحث عن جنيفر نيل بلا امل، اذ

تهجمت الثانية وقالت.

«لقد امرت الممرضة لونك بالذهاب مع السيد ويليس. وعندنا مريضان آخران جديدان سينقلان قريباً الى صالة العمليات وساحتاجك للعناية بهما».

ادركت باتي انها امام امرأة قاسية القلب لا ترحم. فلم يكن هناك سبب يحول دون قيام ممرضة اخرى من مجموعتها للعناية بالمرضى الجدد. ولكن ما جدوى المناقشة؟.

كانت المشرفة مصممة على ان تبقى هكذا عنيدة حتى في النواحي الانسانية. ولكن لا بأس، فمن الممكن ان تتدبر باتي الأمر بشكل آخر.

ولحسن الحظ كانت جنيفر نيل في جناح جانبي عندما وصل البوابون مع العربة وكانت مادلين لونك مسرورة تماماً ومستعدة للتخلي عن مهمتها لباتي، حتى انها لم تناقش مسألة تبادل الاعمال.

كان الرجل المسن ناعساً ولكنه يعي وجودها وهي تمشي الى جانب العربة تحتضن ملف اوراقه وهي تبتسم وتثرثر. وكانت بين الفينة والفينة تربت على كتفه والعربة تسير به على طول الممرات الى حيث كان المصعد ينتظر.

كان الطبيب المخدر والمسجل المساعد للسيد مانك ينتظران في غرفة من غرف الانتظار لتسلمه، فوجدت باتي صعوبة في التوفيق بين القوام الطويل المتحفظ على نحو غريب والمرتدي صدرية العمل والمستعد لتقديم المساعدة في عملية جراحية وبين الرجل الذي عانقها وقبلها بمثل

تلك العاطفة المشبوبة. لقد كان شعر آيفور مينارد الفاحم مختفياً تحت القبعة الخضراء اما قناعه فكان مسحوباً الى اسفل لصالح المريض. ولمحت العينان السوداوان باتي مع المريض دون اية ومضة خاصة او اهتمام خاص. فقد كان اهتمامه منصباً على المريض لا على الممرضة التي رافقته. وبالطبع لم تستحسن باتي ذلك الخفقان الاحمق الذي تملك قلبها عندما رأته او ذلك الوخز الخافت لخيبة الامل التي احست بها عندما انصرف عنها. وانحنى فوق العربة وتكلم بوضوح ونبرة مطمئنة مع السيد ويليس. وعندما اقترب المخدر وفي يده المحقنة سرعان ما تم نقل السيد ويليس الصالة المعقمة، حيث كان مجموع المساعدين والاجهزة بانتظار الجرا الحاذق للبدء باجراء العملية. استطاعت باتي ان تلمح وجه اوليفر مانك قبل ان تغلق الابواب فلم يكن لها مبرر بعد ذلك المكوث هناك. فالمسؤولة سوف تبلغ عندما يكون السيد ويليس في وضع يساعده على العودة الى كيوري لتلقي العناية اللازمة من قبل العاملين في الجناح فقرأت باتي دعاء صامتاً من اجل سلامته وقفلت راجعة الى الجناح حيث كانت جنيفر نيل تنتظرها غاضبة ومهتاجة فسألتها ببرود شديد وهي تعرف الجواب تمام المعرفة، ظانة ان باتي قد استغلت الفرصة للذهاب الى صالة العمليات لتحظى بكلمة من آيفور مينارد.

«اين كنت؟».

كانت جنيفر نيل على علم بأن باتي وآيفور كانا معاً مساء

شديدين، وخائفة اشد الخوف من ان تكون علاقتها به قد تضعضعها هذه الممرضة الصغيرة. فاجابتها باتي.

«رافقت السيد ويليس الى الصالة ايتها المشرفة».

سحبت جنيفر نيل نفساً عميقاً وقالت «الم آمرك بالعناية بالمرضى الجدد؟».

«نعم ايتها المشرفة».

«لعلك تودين ان تفسري لماذا كانت الممرضة لونك تقوم بعملك دون اذن مني».

كتمت باتي تنهيدتها وقالت بحذر «انا طلبت منها ان تقايضني عملها وهي لم تمانع... ولم اجد ضيراً في ذلك».

حدقت المشرفة مشدوهة وقالت «ان من يقرر مثل هذه الامور في الجناح هي المسؤولة او انا يا ممرضة باركن. اين سيكون مقامنا نحن الاثنتين اذا تصرف العاملون على هواهم وبالشكل الذي يلائمهم؟ انت ملزمة هنا باطاعة الاوامر لا للخضوع الى نزوات المرضى.

تورد خدا باتي غضباً ولكنها تمالكت اعصابها وقالت «انه رجل مسن وهو خائف وقد ارادني ان اكون معه... انه يعتبرني ممرضته وانت تعرفين ذلك وتعرفين كيف يتولع بعض المرضى بممرضة معينة دون غيرها. وكل ما في الامر لم اقدر على تركه وحيداً».

«يبدو لي انك لا تستطيعين القيام بأي شيء يطلب منك انجازه دون مناقشة. او اعتقد بأنك اعرف من الغير

بالامور... ان الطاعة هي واحدة من الصفات الاساسية للممرضة. اخشى انك لن تكوني ابداً ممرضة جديرة بهذه التسمية... فلا بد ان اقدم تقريراً عنك الى المسؤولة».

قالت باتي موافقة «بالطبع حسناً تفعلين».

نظرت اليها جنيفر ببرود وكراهية. وفي الوقت نفسه كانت تتأمل الخصلات الذهبية والعينين الخضراوين الساحرتين وذلك الوجه الجميل الذي يمكنه ان يسحر رجلاً تافهاً مثل آيفور مينارد... وبدأت هذه المتغطرسة الغيورة تشعر بانها تبغض بشدة كل فتاة تمتلك مثل هذا الجمال. وبالتأكيد كانت اصابعها تتلهف الى صفع باتي في تلك اللحظة. ولكنها تمالكت نفسها. لأن جناحاً في مستشفى مليء بالمرضى اليقظين وشديدي الانتباه ليس بالمكان المناسب للأخذ بالثأر. هذا ما ذكرت نفسها به بصراحة، فقالت «انه تريد ان تراك في مكتبها في الحال. ستكونين محظوظة جداً لو قررت عدم مثولك امام الرئيسة.

ثم اطبقت على شفتيها باحكام وفتحتهما ثانية لتقول «ولكن لا... يجب ان اقدم تقريري...».

لم تشك باتي في ذلك. لقد كانت هذه الممرضة السليطة اللسان مصممة على الا تسامحها داخل الجناح او خارجه وكانت باتي تشعر احياناً ان خصلة من شعرها في نظر جنيفر نيل بمثابة قطعة قماش حمراء امام ثور هائج. ولكن اذا قدر للشائعة ان تصدق فان المشرفة لديها الآن اكثر من سبب لكي تغتاظ حتى من وجودها ذاته. وربما اعتقدت لها مثل هذه الاسباب. وعلى كل حال بما ان

موقفها من آيفور مينارد قد تطور بعد ليلة امس الى شبه قطيعة فبامكان جنيفر نيل ان تتملكه ان كان ذلك ما تتمناه.

شدت باتي صدريتها بقوة آملة ان تكون قبعتها في مكانها. ثم طرقت برفق باب المكتب وقلبها يخفق بشدة. فكانت المسؤولة آن بيرسيفال واقفة قرب النافذة المطلة على الجناح تتأمل صفوف الاسرة الانيقة السابحة في اشعة الشمس المنسابة من خلال النوافذ الطويلة. فالتفتت عندما دخلت باتي ونظرت الى ممرضة المرحلة الاولى لبضع لحظات قائلة.

«آه. . . يا عزيزتي».

- ١٢ -

وتنهدت بحزن. فوقفت باتي بيدين مطويتين بشكل محتشم وراء ظهرها وبدت وكأنها صورة حية للبراءة. وكانت متأسفة حقاً لأنها تضيع جزءاً من الوقت الثمين للمسؤولة لامر تافه. لقد ادركت ان المرأة الاكبر سناً كانت ستأذن لها آخذة بعين الاعتبار الظروف الخاصة لهذا المريض. وتمنت لو انها انتظرت لحظة لطلب الموافقة من المسؤولة بدلاً من مناشدة الممرضة المشرفة. ولما لم يكن لديها ما تقوله بذلت كل ما في وسعها لتبدو مسحوقة الفؤاد. وبما انها لم تستطع ان تشعر بالندم على ايفائها بالوعد الذي قطعته للمريض بأن تكون معه فقد بقيت عنياها تحتفظان بالتألق المعبر عن التحدي بسبب الحديث

www.elromancia.com

الذي تبادلته مع جنيفر نيل.

القت آن بيرسيفال نظرة عامة على ذلك القوام الضئيل ذي الشعر الاحمر المتمرد وقالت بهدوء.

«ساحيط الرئيسة علماً بتصرفك ايتها الممرضة».

«نعم ايتها المسؤولة».

«الممرضة نيل هي المشرفة في هذا الجناح وهي تأتي بعدي في التدرج الوظيفي. فان اية مخالفة منك لتعليماتها تعتبر مخالفة فعلية لاوامري. ان الممرضة... كل ممرضة... عليها ان تطيع الاوامر وتنجز المهام التي توكل اليها دونما احتجاج او مناقشة. ان لحظة من التمرد. او حتى التردد في وقت غير مناسب يمكن ان يودي بحياة مريض. انت تفهمين ذلك بالتأكيد. اليس كذلك؟».

«نعم ايتها المسؤولة... انا آسفة».

ان هذه النبرة الرقيقة كانت اكثر تأثيراً من اي تعنيف. لقد عوملت باتي كما لو كانت تلميذة اسارت بسلوكها الى سمعة المدرسة وشرفها. فشعرت ان عليها ان تبذل جهداً خاصاً لتبرر عملها. فقالت «اريد ان اوضح...».

فقاطعتها «انا اعرف ما فعلت ولم فعلت ذلك. ولكنه لا يبرر التحدي المتعمد لتعليمات الممرضة نيل... كما تعلمين».

كانت المسؤولة لطيفة ولكنها حازمة فقالت «اني اعفيك من الواجب لما تبقى من النهار بمقدورك ان تغادري الجناح في الحال على ان تحضري صباح الغد لأداء الواجب».

«لكننا نعاني نقصاً في العاملين ايتها المسؤولة» كان الاحتجاج تلقائياً وغير ارادي.

«وهذا ما يؤكد ضرورة القيام كل واحد باداء واجبه على الوجه الاكمل. دون افساد النظام سيتعين علينا ان نستغني عنك ايتها الممرضة.... انصرفي».

عضت باتي على شفتيها وقالت «نعم ايتها المسؤولة... شكراً ايتها المسؤولة».

صحيح انها قد نجت من العقوبة بسهولة ولكنها كانت مرتاعة فهي قد وعدت السيد ويليس ان تكون بجانبه عندما يعود الى وعيه في الجناح... ان بعض الموظفين قد لا يعتبرون صرفهم من العمل اليومي عقوبة... ولكن ذلك كان عقوبة شديدة بالنسبة لباتي. فقد شعرت انها قد خذلت المسؤولة وبقية منتسبي المستشفى والمرضى...

ولم تكن باتي مهتمة بتعليقات زميلاتها، متعاطفات كن معها او غير متعاطفات. فهي بالتأكيد لم تكن الممرضة المتدربة الوحيدة التي تطرد من الجناح لمخالفتها القواعد او لتحديها التقاليد. كما انها لم تكن مهتمة بالنقود التي ستستقطع من مرتبها عن الساعات التي لم تعمل فيها. انها لم تأت للتمريض من اجل النقود، لأن الرواتب التي تدفع للممرضات كانت هزيلة مقارنة مع ما يتقاضاه العاملون في وظائف اخرى.

لم تكن مهتمة على وجه التحديد بحقيقة ان فصلها ليوم واحد سيدخل في ملفها الشخصي على الرغم من انها كانت حريصة على الا تحصل على اية علامات سوء خلال فترة

تدريبها في المستشفى. ولكن كل ما كان يهمها هو ايفاؤها بوعدها للسيد ويليس. انه لشيء مؤلم حقاً ان لا يرى ويليس وجهها عندما تقع عيناه على اول وجه ويسمع صوتها كأول صوت بعد ان يفيق من المخدر. فلربما سيكون منهاراً وسيحتاج الى من يقوي معنوياته. وهذا ما يؤلم باتي.

لا شك ان الممرضة المسؤولة آن بيرسيفال المتمرسة والداهية عرفت ذلك جيداً. وانها تدرك ما فعلته حين صرفتها من الجناح لبقية هذا اليوم. فكرت باتي بكل هذه الاحتمالات وهي تنزع صدريتها في غرفة الممرضات فمن المؤكد ان الممرضة المسؤولة تصورت ان هذا الدرس المفيد لن ينسى سريعاً اذ سيكون من غير المحتمل ان تعطي الممرضة لأحد المرضى مثل هذا الوعد بهذه السهولة في المستقبل. ان الممرضة لا تعرف ابداً اين ستكون وفي اي واجب في كل ساعة من ساعات عملها. فمن الحماقة ان تفترض باتي انها حرة في ان تنتقل هنا او هناك حسب مشيئتها حتى يفيق السيد ويليس من المخدر. ومن غير المحتمل ايضاً ان تتجاهل بمثل هذه السهولة الاعمال الروتينية المرتبطة بالاجابة عن اسئلة المراجعين وتقديم التوجيهات الوقت الكافي لملاحظة ممرضة واحدة من بين العديد من الممرضات وهي تخرج او تدخل.

كان قسم الحوادث والطوارىء الواقع وراء القاعة الرئيسية مشغولاً على نحو خاص. ولم تستطع باتي الا ان تلقي نظرة خاطفة على كيث نزيلتها. فقد خرجت من

احدى الردهات وبين ذراعيها طفل صغير ولكنه حضر وقد ملأ القاعة صخباً. فهرعت به الى احد المحاضن. وبنظرة واحدة ':ركت باتي ان الطفل قد جاء الى هذا العالم تواً. وربما قبل الاوان. وكان واضحاً من ان الأم قد جاءت تطلب العون الطبي بعد فوات الأوان. فشقت باتي طريقها من خلال احد الابواب للخروج الى حديقة المستشفى. وكان الباب في الوقت نفسه يوصل الى العديد من البنايات المختلفة وكان النهار جميلاً مما اغرى باتي على الجلوس في الشمس الساطعة، لفترة قصيرة. وكان عليها ان تقضي بقية النهار مع كتبها المدرسية لتعوض عن الزمن المهدور في امسيتين سابقتين. وهذا سيجعلها تشعر بالرضى والتعويض عن صرفها عن العمل في الجناح الجراحي. ففكرت ان عليها اولاً ان تستمتع بنصف ساعة من الزمن في الحديقة طالما الفرصة مؤاتية لها. فجلست على احد المقاعد الخشبية المحيطة بتمثال السيد هنري في وسط الحديقة. وتطلعت باعجاب الى الازهار الزاهية والخضرة النضرة التي تنم عن عناية فائقة.

كانت بعض الاجنحة مطلة على الحديقة وكان ذلك مبهجاً لأولئك المرضى الذين كانت اسرتهم قريبة من النوافذ. وكانت الحديقة تعج بالناس دوماً. وهناك الكثير مما يمكن رؤيته حيث جلست. فراقبت باتي الحركات الرشيقة للممرضات داخل الردهات. والمشية البطيئة غير الواثقة من نفسها للمرضى الناقهين. واستطاعت ان تمعن النظر في احد المختبرات التحليلية ومنتسبيه ذوي المهارة

العالية وهم ينحنون فوق الاجهزة وانابيب الاختبار.

كانت مدرسة التدريب التمهيدي عبر الطريق مباشرة فاستطاعت باتي من مكانها ان تمعن النظر في احدى غرف المحاضرات واستطاعت ان تشاهد صنوفاً من الحيوانات الاليفة واللطيفة كما كانت تسمى من قبل دارسي الطب. وهن بنات جئن مباشرة من المدرسة وكن على قدر كبير من السذاجة التي كانت هي عليها قبل اشهر قليلة.

استطاعت ان تشاهد المدرسة المسؤولة كوتار بكل وضوح. وهي مدرسة علم الوظائف الفسيولوجية وهذه المدرسة معروفة بالمرح والحيوية والنشاط وذات شعر اسود وتعرف تماماً كيف تأسر الرجال وتثير انتباه البنات اللواتي كان عليهن ان يفهمن عدداً من الحقائق العلمية في فترة وجيزة.

كانت باتي قد اكتشفت ان قدراً كبيراً من التمريض يتعلق بالتعليم النظري. وان المبدأ الاساسي للتدريب هو ان يطبق المتدرب النظرية على الواقع فيتعلم كيف يؤدي المهمة المنوطة به. ثم يقدم العون وهي في موقع الاشراف على تطورات المرض. واخيراً يعلم الآخرين. وحتى طالبة السنة الاولى مثلها من الممكن ان تستدعي لتشرح حيواناً بطريقة مباشرة في مدرسة التدريب التمهيدي لتتعلم وتعلم. مثلما تستدعى لتتعلم كيف، تستخدم العربة الطبية او تغير الضمادة او تفحص المحقنة.

كان بمقدورها ان تتعلم كل ذلك في الصف. ولكن باتي تعلمت بالتجربة خلال الايام القليلة الاولى في اجنحة

المستشفى التي كانت محفوفة بالاعمال ان المرء قد ينسى كل شيء قد تعلمه في مدرسة التدريب التمهيدي. ان الدراسة النظرية قد تكون ضرورية جداً ولكن التطبيق في الاجنحة يجعل المرء يتقن التمريض اتقاناً تاماً. ان عدداً قليلاً من الممرضات كان لهن الوقت الكافي للجلوس او الاصغاء.

اثارت باتي وهي في الحديقة قدراً كبيراً من انتباه طلاب كلية الطب. فكان عليها ان تتحمل المزاج الودي من قبلهم اضافة الى النظرات الفضولية لعدد من الموظفين المساعدين وقد كان من المنعش لها ان تستدفيء باشعة الشمس وتريح قدميها من كثرة المشي داخل المستشفى على الرغم من انها راحت تشعر بالذنب لعدم ممارستها العمل في الجناح الجراحي.

حاولت جاهدة ان لا تفكر بآيفور مينارد. وقد تسنى لها ذلك فهي ما زالت تفكر بالسيد ويليس، وتمنت ان لا تكون صدمته عنيفة بعد العملية. وتمنت ان يتماثل للشفاء باسرع ما يمكن.... ومع ذلك استغربت كيف جعلها التفكير بويليس ان تتذكر آيفور... لعل ذلك يعود الى اللقاء القصير في صالة العمليات بينهما. هما يؤديان مهمتيهما كممرضة وكطبيب كل على حدة. انها لم تحظ منه بغير نظرة عابرة. وبلا شك لم تكن منه حتى ومضة خاطفة في عينيه تدل على شيء. فقد كان منكباً على مريضه الى حد جعلها تتساءل ان كان قد وقع نظره عليها فعلاً.

ان الممرضة مجرد انسان آلي مجهول بالنسبة لعديد من

الاطباء ولكن من غير المحتمل ان يكون قد فاته الانتباه الى ذلك الشعر النحاسي او الكستنائي... ليسمه كما يشاء، وكان ذلك الشعر المتألق هو الذي جذب انتباه رجل توقف قرب الابواب الدوارة المؤدية الى العيادة الخارجية.

نظر ستيف... ونظر ثانية برضى وارتياح. لم يكن يتوقع ان يجدها بمثل هذه السهولة في المستشفى الكبير المتعدد الاجنحة والاقسام ومتاهات الممرات. كان من المفروض ان تكون تمارس عملها الوظيفي وهو يعرف الجناح الذي تعمل فيه. ولما كان على علم بكل هذا فانه لن يستطيع انتهاك حرمة الجناح بحثاً عنها. فقرر ان يلقي نظرة حول المستشفى الشهير.

- ١٣ -

حدق الى القوام الضئيل الجالس على المقعد الخشبي واليدين المطويتين بهدوء. لقد بدت كفتاة صغيرة وطيبة تلاعب الاطباء والممرضات. او هكذا تصورها ستيف بعد ان تأكد من انها هي. فزاد انشراحه. ثم لاحظ انها هادئة اكثر مما ينبغي ورزينة اكثر مما يجب. وتجهم وجه ستيف. فان الجميع رسائلها الى اسرتها تشير الى انها سعيدة، غير انه يراها عن بعد متعبة ويائسة الى حد ما. فاحس بتأنيب الضمير. وشرع يسير عبر الحديقة متجهاً اليها بسرعة. فنظرت اليه وهو يدنو منهاغير مصدقة. فخفق قلبها في بهجة يصعب كبتها. انه ستيف... نعم هو... اشقر اللون... كثيف الشعر ووسيم بشكل صبياني... وعلى

www.elromancia.com

شفتيه تلك الابتسامة الحزينة التي كانت دوماً تأسر قلبها... ها هو يتجه نحوها بذلك الشوق القديم المألوف في مشيته وكأن شيئاً لم يتغير. وكأنه لم يبعثر كل آمالها واحلامها بزواجه من ابنة عمها.

لفظت اسمه مع دفقة من السرور الغامر وعيناها مفتوحتان على وسعهما وكأنها لا تصدق انه هو بلحمه ودمه، وقد كانت لا تراه الا في احلامها... ابتسم لها بثقة، وقد شجعته نظراتها اليه... وتورد وجهه الجميل من الاسلوب الانثوي الذي لفظت به اسمه مما اكد له انها لا تزال تحبه.

فقال بهدوء بعد ان جلس الى جانبها على المقعد الخشبي.

«مرحباً.... بيشنس».

لقد مضت فترة طويلة جداً ولم يستعمل احد اسمها الكامل، فالجميع ينادونها باتي في هارتليك. وكانت تلك هي التسمية المفضلة عندها. ففي الحقيقة لم يعد اسمها الكامل بيشنس يجد له صدى في نفسها. لقد قضت فترة طويلة من حياتها في هذا الاسم بقدر ما يتعلق الامر بستيف ولكن ذلك لم يكسبها شيئاً. ولم تستطع تمالك نفسها للحظة قصيرة من جراء الامتعاض من الطريقة التي حياها بها وكأن شيئاً لم يحدث او ان علاقتهما لم تتحطم بعد. فقالت «ماذا تفعل هنا بحق السماء؟».

كانت لانكاستر تبدو بعيدة بملايين الاميال عن هارتليك احياناً بنظرها بعد تركها لأسرتها هرباً من اليأس، ودون

ارادة منها لمست يده فجأة وقالت بقلق «لست مريضاً؟».

فقال بلهجة يمازحها بها وقد اخذ هو الآخر يدها بيده «كلا... انا بخير... لقد اردت ان اراك».

كادت صراحة كلماته والدفء الذي في عينيه ان يفقداها توازنها فقالت «انت تبدو على ما يرام».

وراحت تفكر كم من المضحك ابداء ملاحظات تافهة ومبتذلة لرجل كان عزيزياً الى قلبها لمدة طويلة. غير ان هذا اللقاء غير المتوقع لم يكن اطلاقاً من احلامها التي حلمت بها مرة بعد اخرى.... فهي غير مصدقة ابداً بأن ستيف سيأتي اليها يوماً ليعترف بأنه كان مخطئاً وانه لا يزال يحبها وقال «انا بخير».

وشدد على الكلمة الاخيرة بنبرة تنم عن شيء ما في دخيلة نفسه وعن نفاذ صبره، فقالت «و... وفاليري».

جفل ستيف وقال عفوياً «لا.... لن نتحدث عن فاليري».

وصمتت باتي فيما راح هو يداعب برفق معصمها المخملي الناعم وبالطريقة غير الواعية التي اقنعتها بأن ستيف نفسه كان بجانبها حقاً وليس مجرد وهم اختلقه خيالها فقالت «الست سعيداً؟».

طرحت عليه هذا السؤال بهدوء وحذر وهي ممزقة الشعور بين الألم من اجله وبين رغبتها في الاعتقاد بأنه كان من المستحيل ان يجد السعادة مع اية امرأة اخرى سواها. فاجابها بفظاظة.

«انها كارثة مخزية».

صرخت برعب حقيقي وعبارة تتدفق بالحب من شفتيها.
«آه... يا حبيبي... ان آسفة».
هز كتفيه وقال «انه خطأي... لا بد اني كنت مجنوناً... لقد افتقدتك على طول الوقت».
تدفقت كلماته هذه فجأة. كأنه قد اعد مسبقاً جميع الكلمات التي سيقولها... وبالتأكيد لم يكن ينوي ان يفشي بأسف وشقاءه بدون تفكير... لقد اندفع عندما تزوج بذهول... فقد كانت حلوة... وجذابة ومائعة وذات صفات انثوية الى درجة جعلته يظن على حين غرة ان عليه ان ينبذ كل شيء ثمين من اجل افتتان متهور ومخبول.

عضت باتي على شفتيها دون ان تنبس بكلمة واحدة. فماذا كان بمقدورها ان تقول؟ ان عبارة «لقد قلت لك ذلك» كانت ترتعش على شفتيها. ولكنها لم تكن من الفتيات اللواتي يضعن الملح على الجروح. وبخاطرة تدعو للاستغراب شعرت بالشفقة على فاليري. لقد تعثرت ابنة عمها بطيش وسقطت في الحب. وكانت باتي تحسبه حباً صادقاً. وقد تألمت فاليري في حينه ان تجد نفسها في موقف غير مشرف مع ابنة عمها وان تكون حجر عثرة في طريق سعادتها. ولكنها كانت مساقة بعواطفها الخاصة. وكان ستيف بنفس القدر من العواطف الملتهبة... تذكرت باتي هذه الحقيقة المرة التي لا مفر منها. فهي التي مكنت ابنة عمها من خطف ستيف على الرغم من ان زواجهما كان صدمة لها. ولكن فشله اصبح في نظرها صدمة اخرى

واكبر. لقد كانت تتمنى السعادة لهما ولم تتصور انه سيخفق ويتفكك بهذه السرعة. وتساءلت مع نفسها ان كان ستيف وهو بطبيعته عديم الصبر ويميل الى توقع الشيء الكثير من اي شخص قد اتاح له الزواج فرصة كافية لفهم معنى الحب الصحيح. ام انه لم يحب فاليري اصلاً؟ وفي اي وقت من الاوقات. ان نظراته وطريقة حديثه الآن توحي لباتي كأنه لا يزال يحبها ولكن ما جدوى ذلك في الوقت الحاضر... فهل من الممكن ان يحققا سعادتهما على حساب فاليري؟ لم تستطع باتي ان تصدق ان امرأة مستقيمة وذات ضمير حي مثل ابنة عمها يمكن ان تكون هي المذنبة فيما حصل. وقد اعترف ستيف صراحة انه هو المسؤول عن اخفاق وتفكك زواجهما.

لم تشك باتي في ذلك لأنها كانت تعرف تمام المعرفة نقائصه على الرغم من انها احبته. ففي حبه لفاليري لا بد ان تكون ناحية ضعف. فمن المؤكد انه كان زوجاً مخلصاً وحريصاً على ان يراعي حقوقها ومشاعرها. ولكنه قد يكون شعر بأنه اوقع نفسه في الفخ من خلال طيشه وتهوره. فيكون زواجهما قد انقلب الى جحيم لا يطاق... يا لفاليري المسكينة!!.

سألته باتي ساحبة يدها من يده بعد ان اكتشفت ان المداعبة الملحة لإبهامه كانت تثيرها.
«ماذا تفعل في لندن؟ فمن المؤكد انك لم تقطع كل هذه المسافة الطويلة لمجرد رؤيتي».
«رتبت نقلي الى مكتب لندن... فهنا الامتيازات افضل

والنقود اكثر. فلم استطع ان اجني اي شيء في لانكاستر بدونك. . . لقد تخلينا عن الشقة ورجعت فاليري الى بيت امها» اضاف جملته الاخيرة بشيء من السخرية. فنظرت اليه باتي منزعجة وقالت.

«ويبدو ذلك حاسماً».

«انه حاسم. . . فقد كنا نسبب التعاسة احدنا للآخر» ثم ابتسم واضاف «انه لمأزق يا بيشنس. وكل ما هو مطلوب منك الآن ان تقولي انك لم تعودي تحبيني كي القي نفسي تحت عجلات حافلة».

عرفت باتي كم هو عديم المعنى، تهديده هذا. ان ستيف لا يأخذ ابداً الامور مأخذ الجد. حتى لو كان الامر الى هذا الحد من التعقيد. لقد كان شديد التفاؤل. ففي نظره كل شيء ينتهي بصورة مرضية ما دام هو يريد ذلك. اما اذا لم تتحقق رغباته، فالمسؤولية تقع على عاتق اي شخص آخر الا هو. لذلك كانت دهشة باتي كبيرة عندما وجدته مستعداً للاعتراف بمسؤوليته عن فشل زواجه فقالت.

«لعلك تحاول ان تربك المسألة. ولكني اعرف كيف اعيد اليك صحتك».

ولكن العاطفة الدافئة في عينيها كذبت كلماتها المقنعة فضحك ستيف قائلاً بحرارة.

«اصدق انك ستفعلين. فانت سمحة جداً يا بيشنس وهذا هو بالضبط احد الاسباب التي تجعلني احبك. انا واثق من انك تعرفين ذلك. . .».

ورق صوته متابعاً «لقد كنت دوماً احبك. . . ولكني كنت مغفلاً ايضاً» تنهد قليلاً ثم اشرق وجهه في الحال واستطرد «لكن كل ذلك قد اصبح في عداد الماضي يا حبيبتي. . فاليري تعلم جيداً انها ليست سعيدة لذلك سوف لا تثير اية ضجة».

شعرت باتي وكأن قلبها سيكف عن الخفقان نتيجة للصدمة التي سببتها الكلمات وما تحمله من معنى واضح. واحست بانحباس انفاسها وبشيء من الاشمئزاز. . . الاشياء تحدث بسرعة فقبل دقائق معدودة كانت تتصور انه في لانكاستر يتمتع بزواج سعيد. وانها على وشك ان تنسى الهموم التي سببها لها. ولكنه الآن الى جانبها يبتسم بكل ذلك السحر الصبياني المألوف الذي ينتزع القلب بقوة من صدرها. وتلك الشجاعة الواثقة التي اعجبت بها كثيراً، والتي تبدو الآن هشة بعض الشيء. كان لا يزال كما هو. . . لم يطرأ عليه اي تغيير. وكانت ثقته بها عالية اكثر مما ينبغي. وفجأة خطرت لها فكرة الغدر. الدهشتها وفزعها في آن واحد. دفعت هذه الفكرة جانباً، فهي تحبه هو يحبها على الرغم من كل شيء. كان يجب ان تكون اسعد امرأة في العالم في تلك اللحظة. ولكنها خلافاً لذلك فقد شعرت ان قلبها مثقل بالهم والاسى. لقد كان غافلاً عن تربيتها الصارمة وبغضها الغريزي للتدخل بين الزوج وزوجته. قد تكون هذه وجهة نظر بالية في هذه الايام المتساهلة حيث تتعقد الزيجات بطيش وحيث اصبح الطلاق شيئاً اعتيادياً ولكن باتي تكره نقض العهد قبل ان

يجف الذي كتب فيه عقد الزواج فهي لا تستطيع الارتماء بين ذراعيه بفرح غامر وتنسى وجود فاليري كما يتوقع ذلك حتى تتوصل الى تفاهم مع وضعها المفاجيء لحياتها في هارتليك. . . ونهضت على قدميها قائلة بضجر.

«لست ادري ماذا تتوقع مني يا ستيف. فكل شيء قد تغير. . . ولست ادري بماذا اجيب».

توتر فجأة وامسك بذراعها ويده تشد عليها الى حد جعلها تفطن الى ان اصابعه القوية ستترك آثاراً على بشرتها وقال «لقد تغير. . . اهذا ما تعنين؟ هل مات حبك لي. . . هل وجدت شخصاً آخر. . . لا اعتقد ان استطيع تحمل ذلك».

- ١٤ -

اثار مشاعرها ذلك القلق البارد الذي في عينيه وذلك الانفعال الشديد في نبرته. فابتسمت مطمئنة له واضعة يدها بتهور على خده وقالت.

«كلا. . . كيف استطيع ذلك؟».

ان حبها له كان اهم شيء في حياتها منذ سنوات طويلة ولم تتصور يوماً ما ان مثل هذا الحب يمكن ان ينتهي. انها لا تزال تحبه من غير ريب.

احاطها ستيف بذراعيه مبتهجاً بالنصر وقبلها بعنف على مرأى تام من اي شخص يهمه ان يلقي نظرة على العاشقين الواقفين تحت التمثال التذكاري لمؤسس المستشفى.

كانت وجنتا باتي محمرتين بشدة عندما انسحبت مرتبكة

www.elromancia.com

لأنها لم تجد سوى الحد الادنى من الرضى والمتعة في ذلك العناق. لقد اشتاقت الى ذراعيه كثيراً وها هما تحتضنانها مرة اخرى... فقد كانت تتصور ذلك مجرد حلم يستحيل تحقيقه. غير انه تحقق الآن على الرغم من ان الزمان والمكان غير ملائمين لذلك، مما ملأ نفسها بفزع مؤلم فقالت له مذعورة.

«ستيف!!! اني مرتدية بزتي الرسمية. لقد انتهكت قواعد المستشفى الصارمة. اذ لا يجوز للممرضات ان يتصرفن ككائنات بشرية لهن حياتهن الخاصة بهن وهن داخل المستشفى، سواء كن في واجباتهن او في استراحهن، او في غير ساعات العمل. فبمجرد ان يكن في البزة النظامية عليهن ان يتصرفن بحكمة وتعقل وحرص. فكرامتهن قبل كل شيء في نظر عامة الناس فالممرضات هن اقرب الى القديسات. ربما يكون ذلك اثراً من آثار الماضي يوم كانت الراهبات وحدهن يقمن باعمال التمريض».

رفع ستيف حاجبيه منشرحاً وهو يقول.

«ليس هناك قانون يمنع تقبيل ممرضة جميلة... وانت فاتنة بهذه القبعة المضحكة. لا بد انك مثار اعجاب المرضى وانت تعملين في ردهة للرجال اليس كذلك؟ لقد حدثتني عنك مراراً العصفورة المعشعشة في دار الممرضات. وقد قلت لها اني ابن عمك. وما كانت ستتخلى عن التحقيق معي لو لم اقل لها ذلك».

لم تبتسم باتي... لقد آلمها انه استطاع ان يشير من

غير قصد الى الظروف التي جعلته ابن عمها وهو يقترب من اللحظة التي سيحطم فيها قلبها مرة اخرى فقالت.

«لمستشفى هارتليك قوانينه الخاصة وسيكون عقابي شديداً اذا رأتنا الرئيسة متعانقين... خصوصاً في هذا المكان حيث يستطيع ان يشاهدنا نصف سكان المستشفى».

ابتسم لها ابتسامة عريضة وقال بثقة عالية.

«هل انت قلقة؟ لن يطول بقاؤك هنا كثيراً على اي حال. لدي خطط افضل بكثير لمستقبلك يا حبيبتي».

ارتعدت باتي لهذا الافتراض الرزين الذي يتصور ستيف من ورائه انها ستوافق على خططه وكأنها لا تملك رأياً او تفكيراً خاصاً. وعلى حين غرة ادركت باتي كم قد تغيرت في غضون الاشهر القليلة الماضية؟ ففيما مضى لم تكن تناقش ابداً حقه في تقرير مستقبلها طالما انها ستتقاسمه معه.

اسرعت باتي نحو الطريق المرصوف باتجاه بناية المستشفى الرئيسي شاعرة بأنهما كانا يقفان في مكان يمكن رؤيتهما فيه بوضوح. وسار ستيف الى جانبها وهي تقول بهدوء.

«انا استمتع بالتمريض يا ستيف. فاريد الاستمرار على التدريب. فالحاجة ماسة الى الممرضات. والتمريض مهنة ذات شأن.

التمع نفاذ صبر ستيف وبان ذلك في عينيه الزرقاوين. ولكنه ظن انه يفهم دوافع مقاومتها. فأن الطريقة التي

عاملها بها من قبل لن تجعلها مستعدة كثيراً للوثوق به مرة اخرى. . . فقال لها بحصافة.

«عليك ان تفضلي ما تعتقدين انه الافضل. ولكني احتاجك اكثر مما يحتاجك المرضى الغرباء يا حبيبتي».

نظرت اليه وقد صدمه من جديد بتلك المسحة من الانانية التي لا تأخذ بالاعتبار سوى مصالحه ورغباته الخاصة. لقد عرفت ذلك عنه من قبل ولكنها كانت تسامحه في حينه لأنها تحبه. ولكنها الآن وعلى حين غرة بدأت تشعر بأنها لم تعد توده كثيراً. ونظر ستيف الى عينيها واحس بنوع من الانقباض فبادر الى تصحيح خطأه قائلاً.

«اعرف ان ذلك يبدو قاسياً بالنسبة لك. ولكني افتقدتك كثيراً. . . فانا لا اريد ان يقاسمني رؤيتك اي انسان. انا احبك. . . اريدك ان تأتي وتسكني معي. وحالما احصل على الطلاق ساتزوجك يا حبيبتي الغالية. . . لن اتخلى عنك ثانية. . . ثقي بي يا باتي».

اجابته «لن يسمح لي بالسكن خارج نطاق المستشفى وانا في السنة الاولى» وسكتت لحظة ثم تابعت «انت تطلب الكثير مني يا ستيف».

اجابها في الحال مع قليل من التأنيب «هل انا اطلب الكثير؟ تصورت انك تحبينني يا بيشنس».

تنهدت وقالت «انت تعلم اني احبك».

وتألقت عيناها فجأة واستطردت «هذا ابتزاز من اسوأ الانواع».

ضحك وهو غير آسف قائلاً «انا اعرف ان الامر كذلك.

سأتنازل الى اي مستوى تقترحين يا حبيبتي. ولكني لا اعتقد انك ترغبين بالالتصاق في هذا المكان ترهقين نفسك من اجل اجر زهيد بينما انا في الطرف الآخر من لندن. ولم يكن بمقدورنا ان نلتقي الا بصعوبة. انا عرف اي عمل مضن تقوم به الممرضة. انه شيء يدعو الى الضحك».

اجابته بعناد «انا لا اريد مغادرة هارتليك».

اذعن ستيف وقال «حسناً. . . انها حياتك وليس لي الحق في ان اطالبك بأي شيء طالما اني ما زلت زوجاً لفاليري. ما كان ينبغي ان آتي الى هنا لرؤيتك ان ذلك غير مناسب لأي منا».

نظرت اليه مرتابة. فهو يبدو صادقاً ولكنها ظنت ان ذلك ابتزاز صيغ في قالب مختلف. فقالت «انت تعلم كم انا مسرورة لرؤيتك. انا احبك ستيف. انا لم اتغير. . . ما زلت مستعدة لأفعل كل شيء يرضيك ويسعدك».

«الا ان تعيشي معي!!».

قال هذا بفظاظة فوضعت يدها على ذراعه وقالت «عليك ان تمنحني فرصة لأفكر بالموضوع. فقبل عشر دقائق لم اكن اعرف انك موجود في لندن».

«قبل عشر دقائق لم اقصد ان ادفعك بسرعة لاتخاذ قرار. ولا كنت اعرف كم انا احبك. وكم انت مهمة بالنسبة لي. . . حتى رأيتك جالسة على ذلك المقعد وانت في حالة بؤس».

«بؤس؟».

قالت هذه الكلمة وهي تحس بالسخط ثم تابعت «كنت استمتع بأشعة الشمس ومرتاحة البال تماماً».

واصلت السير متسلقة الدرجات القليلة الموصلة الى المدخل. فسار وراءها قائلاً بمرارة وهو يفتح لها الابواب لتمر «كأنك لا تفكرين بي على الاطلاق، في تلك اللحظة ولا كل الايام... ربما».

ترددت باتي في الاجابة ثم قالت بصدق «لقد تمنيت احياناً ان اطردك من ذاكرتي يا ستيف وربما كان ذلك سيجعلني اكثر سعادة طيلة هذه الاشهر لكن حياتي دارت حولك لفترة طويلة مما جعل ذلك مستحيلاً».

اخذ بيدها وضغط عليها قائلاً «هذا ما يسرني».

وعندما اجتازا الابواب المفتوحة لقسم الحوادث والطوارىء شاهدتها كيث ولوحت لها بيدها. فابتسمت باتي لصديقتها وقالت لستيف.

«انها نزيلتي، فانا اشارك كيث بالشقة مع بنتين في دار الممرضات فليس مسموحاً لنا ان نستضيف اصدقاء في الشقق. ولكن هناك قاعة عامة نستطيع فيها ان نتحدث. فانا منقطعة عن العمل لما تبقى من النهار».

«احقاً؟».

اشرق وجهه فرحاً وتابع «اذن قد اخترت اليوم المناسب للمجيء والبحث عنك يا حبيبتي. فبامكانك ان تتخلصي من هذا المكان الكئيب لبضع ساعات. لقد جئت بسيارتي وسآخذك لمشاهدة شقتي الجديدة في ريجموند. انها غالية ولكنها فاخرة يا حبيبتي وعندما تشاهدينها قد تشعرين

مختارة ان تسكنيها معي».

وشعرت باتي بالقلق والتردد فهو يأمل ان لا تعارض فكرة الذهاب الى شقته. وقد فهمت بوضوح انه يريد مغازلتها وان يربط مستقبلها به برباط محكم من العواطف. وقد فات الاوان بعض الشيء لتصبح امرأة محتشمة تماماً. فقد كانا عاشقين لفترة طويلة قبل ان يلتقي بفاليري ويتزوجها.

www.elromancia.com

- ١٥ -

لم تتصور ان ستيف سيفهم وساوسها ولكن مع ان حبهما لبعضهما كان قد جعل العلاقة الجنسية بينهما شيئاً مقبولاً ولكن ذلك كان فيما مضى وفي الوقت الذي كانت تأمل منه ان يتزوجها ولا ينبذها في لحظة من لحظات طيشه. الا انه زوج امرأة اخرى. فلم تحس بأنها قادرة على خيانة ابنة عمها او مبادئها بتشجيعه لها على ارتكاب الخطيئة... فقد كانت امرأة امينة وقد واجهت الحقيقة البغيضة وهي قد لا تكون كثيرة الشكوك والتردد ان استجاب جسدها لستيف بنفس القدر من العاطفة المشبوبة التي استجاب بها لآيفور مينارد. ولكن آيفور كان شهماً فأنقذها من نفسها في اللحظة المناسبة. واما ستيف فلا

تظن سيفعل ذلك. فقد تكون الغريزة اقوى من المبدأ حين يكون الجسد طاغياً على العقل. ومهما يكن من امر فإن ستيف لم يثر مشاعرها ولم يحفزها لكي تنسى كل شيء. فاذا وقفت بين ذراعيه قد تسمح لنفسها بالانسياق له والاستسلام، لأنها كان تحبه بما فيه الكفاية ليجعلها تتغلب على النفور. ولكن ذلك سيحدث حتماً بسبب كونها راغبة فيه الى درجة تجعلها عاجزة عن مقاومة الاغراء. فقالت له بتأنيب مليء بالمعاني المحذرة.

«يجب ان لا تتصور اني حائرة، لا ادري كيف اقضي نهاري يا ستيف... فإني لم اكن على علم بأني سأراك وعلى اية حال كان يمكن ان تكون لي خطط اخرى. والآن هل لديك مثل هذه الخطط؟».

دلت ابتسامته على انه قد ادرك انها اتخذت موقفاً تؤكد فيه استقلالها. بينما راحت هي تتابع.

«لا شيء معين. ولكنني لا اريد ان ابتعد كثيراً عن المستشفى!» وتذكرت فجأة انها في الوقت الذي بمقدورها ان تعود الى الجناح كممرضة ينبغي ان تكون قادرة على رؤية السيد ويليس كزائرة فقالت «لقد وعدت ان ازور صديقاً في احدى الردهات فيجب ان لا اخذله».

قطب ستيف جبينه وقال بنبرة حادة «اهو خليل؟».

ابتسمت باتي بشيء من العبث وقالت «انا مولعة به كثيراً انه مغرم بي هو الآخر» وعندما لاحظت ومضة القلق في عينيه الزرقاوين سارعت الى توضيح الحقيقة فقالت «انه احد المرضى. رجل مسن في السبعين من عمره وهو في

صالة العمليات الآن. وقد اجريت له عملية بتر الساق ويجب ان اصعد الى الردهة بعد قليل لرؤيته».

قال لها محتجاً «بامكانك زيارته غداً يا حبيبتي... فليس من المعقول ان تضيعي نهاراً كاملاً من اجل رجل مسن لن يكون واعياً حتى لوجودك قربه من تأثير المخدر».

قالت بحزم «يجب ان ازوره يا ستيف».

هز كتفيه استهجاناً وقال «آه منك... اذا كنت مصرة...».

يبدو انها قد اصبحت عنيدة جداً. ففيما مضى كانت طوع بنانه وكانت كلمته حاسمة في اغلب الاحيان. وكانت مستعدة دائماً لتلبية طلباته ومتلهفة لإرضاء سعادته وقد زعمت انها لم تتغير. كانت مخطئة فقد غيرها التمريض افقدها بعض رقتها ولطفها. انها تميل الى التصلب في رأيها وتنزع الى الاستقلال في اتخاذ القرار.

تركته باتي في قاعة الاستراحة مع جريدته واسرعت الى الشقة لتغير ثيابها. كانت بحاجة الى ان تجمع انفاسها وان تتأكد من ان الذي حدث قبل قليل ليس حلماً من احلام يقظتها، وانما كان جزءاً من حياتها، من تجاربها. فقد مشت معه وتحدثت اليه على الرغم من الاشهر التي قضاها مع فاليري وكانت تحس بالراحة وهي الى جانبه. لم يكن حبيبها فحسب وانما هو صديقها ايضاً. وقد كانا كذلك منذ فترة طويلة فقضيا معاً اوقاتاً جميلة وممتعة. ولهما ذكريات مشتركة يتقاسمانها معاً.

كانت مسرورة لرؤيته، وكانت حزينة بعض الشيء في

الوقت نفسه. وكان من الممكن ان يكون واقعهما مغايراً لو لم يندفع بطيش في حب فاليري والزواج منها... فلم تستطع تمالك نفسها وهي تفكر بهذه الطريقة فيعتريها الحزن تارة والغضب تارة اخرى.

كان قد عدل عن الزواج بها لأسباب عديدة، اعتبرتها باتي في حينه اعذاراً واهية تشبث بها. وقد تحملت كل ذلك بصبر لأنها تحبه. ان زواجه الطائش من فاليري جاء لطمة قوية لها. وبرهاناً قاطعاً على انه لم يحبها حباً حقيقاً. وتلك الطعنة المؤلمة لم يلتئم جرحها بعد. وتمنت لو انها لم تعد تحبه. ويا حبذا لو استطاعت ان تدير له ظهرها بنفس الطريقة التي عاملها بها. فمثل هذه العقوبة يستحقها تماماً... لكنها تحبه ولن يسمح لها قلبها ان تتأثر بجرح قديم او مهانة. وفي الوقت نفسه لم تكن مستعدة كما يعتقد ستيف على النسيان والمغفرة، فترتمي بين احضانه من جديد. اذ لا بد من مرور بعض الوقت لكي يتسنى لها ان تعيد له اعتباره، فالحب وحده لا يكفي. فمن الضروري ان يقترن بالود والاحترام فيتعين عليه ان يكسب هذه الامور جميعاً.

هكذا بدا الامر لباتي... حتى ان اخذها الى احد المطاعم الفاخرة لتناول الغداء... فكان يتحدث عن نفسه كثيراً وعن احتمالات النجاح في عمله الجديد. وعن آماله وخططه للمستقبل وكانت باتي كعهدها، تصغي اليه وهو يطيل الكلام ويشرح تفاصيل مشاريعه. فهي مستمعة جيدة. وهذا لا يعني انها موافقة على كل ما يقول، لأنها

ليست على استعداد لترك التمريض والانتقال الى شقته بمجرد اشارة من اصبعه.

وهي تعلم ان مستشفى هارتليك لم يكن مرغوباً به من قبله. غير انه اعتبر التمريض متنفساً مؤقتاً لها، والآن قد تاب هو الى رشده فلم يعد من الضروري ان تركز اهتمامها به. ولكن باتي قد تغيرت آراؤها في الحياة. لقد اكتشفت ان هناك اموراً اخرى جديرة بالاهتمام الذي يجب ان لا يكرس من اجل شخص واحد. فهي لم تعد بعد الآن تعتبر الزواج هدفاً اساسياً في حياة المرأة. لقد ولعت بالتمريض ولع البط بالماء. وهي مصممة على الاستمرار في التدريب حتى ولو تزوجت من ستيف... وربما غيره... ذلك شيء لا ترجع عنه. وعليه ان يقبله... ولاول مرة شعرت انها في موقع تستطيع منه ان تمارس حقوقها كانسانة. فمواقفها قد تغيرت وآراؤها قد نضجت. والحب والزواج لم يعودا بداية كل شيء ونهايته في الحياة. نعم... لقد اكتشفت انه بامكان المرء ان يحقق ذاته من خلال اشياء اخرى، مثل العمل في مستشفى كبير.

لم تخبره بهذه الافكار. فهناك متسع من الوقت لطرح وجهة نظرها. فهي عازمة الآن على ان لا تكون متسرعة او مندفعة للقيام بأي شيء يقطع شهيتها عن الطعام. فقد قررت مع نفسها على ان تصارحه بكل هذا في المستقبل.

بعد الغداء ذهبا الى برج لندن وطافا في الساحات وهما يتمعنان باعجاب، بالشرفات الاثرية يسيران يداً بيد مثل عاشقين. وقد انتبه الزوار الكثر الى شعر باتي الزاهي

وفتنتها المتألقة وقوامها الجميل وثوبها الحريري، فراحوا يتطلعون اليها باعجاب كبير. وارتاح ستيف لذلك فقد كان يروق له ان يشاهد برفقة فتاة جذابة وفاتنة وان يحسد على وجوده برفقة فتاة جميلة.

كانت فاليري طويلة القامة ونحيلة الجسم وانيقة المظهر، مما يدل على انها ذات ذوق خاص في اختيار احدث الازياء وافضل الثياب واغلى الحلي. وبهذه الصفات كانت قد اربكته واوقعته في ورطة يائسة وجعلته يندفع بقوة الى الزواج منها. غير انه اكتشف بعد الزواج منها انها امرأة نزاعة الى المشاكسة والى الرفض والى التملك والاقتناء حتى لو كان ذلك يثقل كاهل زوجها. وتذكر ستيف ان بيشنس لم تكن لديها اية صفة من هذه الصفات فشعر بعد فترة قصيرة من زواجه بأنه قد ارتكب خطأ جسمياً.

حسناً فالاخطاء يمكن ان تعالج والحصول على الطلاق قد يستغرق بعض الوقت. وباتي ستنتظر. هكذا كان يفكر ستيف. وبناء على ذلك فبمقدوره ان يتغلب على نفورها الحالي في القريب العاجل... فراح يعمل بنشاط من اجل ان يفتنها ويرضيها ويذل كبرياءها. كان من المهم عنده ان يعمل على اقناع بيشنس بأنه يحبها ويرغب الزواج منها. غير انه قد فهم جيداً انها الآن في الاقل غير مستعدة على الوثوق به.

استمتعت باتي بذلك الاصيل الجميل مع ستيف. وكان بقاؤهما معاً شبيهاً بتلك اللقاءات التي كانت تتم في

الماضي. حتى خيل اليها ان زواجه من فاليري وان الاشهر التي قضتها في هارتليك لم يكن لها اي اثر. غير انها لم تنس السيد ويليس وكانت تراقب الوقت بعناية. فوافق ستيف بنوع من التردد على ايصالها بسيارته الى المستشفى ليتسنى لها زيارة الرجل المسن وبالمقابل وافقت على قضاء الامسية معه في شقته في ريجموند.

لقد ادركت تماماً الى اين سيقودهما ذلك. ولكنها كانت تشعره بالمودة والمحبة مع مرور كل ساعة وربما جعلها هذا الشعور ان تتغاضى عن حقيقة كون ستيف رجلاً متزوجاً.

قال ستيف انه سينتظرها في السيارة، بينما صعدت هي الى الجناح، وقبل صعودها مالت لتمسح خده بشفتيها وقد تدفقت عاطفتها وانوثتها وهي تقول «لن اتأخر».

كانت واثقة من ان السيد ويليس قد عاد الى الردهة وقد افاق من المخدر. وكانت تتمنى ان لا تكون اية ممرضة اخرى قد ايقظته بعد. وانه سيفيق من نومه عندما تلمس كتفيه... انسلت الى الردهة وفترة الزيارة لم تنته بعد ومنتسبو المستشفى ينتهزون الفرصة ليأخذوا قسطاً من الراحة. ولم يكن هناك اثر للمسؤولة بيرسيفال. فتوجست خيفة من جنيفر نيل. وقد رأت ماريان فوستر في ردهة جانبية حيث كانت تهيىء محقنة مريض عاد تواً من صالة العمليات. فرفعت ماريان حاجبيها بدهشة، فاجابتها باتي بأن وضعت اصبعها على شفتها فابتسمت ماريان وتركت مريضها وجاءت الى الباب لتتحدث اليها.

«ماذا تفعلين في الجناح الجراحي... لقد اعفيت من

الواجب لما تبقى من النهار... اليس كذلك؟».

تأوهت باتي قائلة بأسى «اعتقد ان المستشفى بأسره قد سمع بذلك... اريد ان ارى ويليس.. وهل عاد من صالة العمليات؟ اين الموظفون جميعهم؟».

«هل تقصدين المشرفة والمسؤولة؟... فالمسؤولة في غرفتها تستمتع بكوب من الشاي الذي هي بامس الحاجة اليه. ولست متأكدة من مكان نيل كانت في الردهة قبل بضع دقائق... والسيد ويليس راقد في سريره وقد اسدلت حله الستائر. لتكن زيارتك قصيرة يا باتي».

سألت باتي «كيف صحته؟».

هزت ماريان رأسها وقالت «ليس على ما يرام».

تابعت باتي طريقها نحو السرير المحجوب بالستائر وهي تبتسم لمريض او مريضين لم يميزاها في الحال من دون بزتها الرسمية. فقد باتت بثوبها الاخضر الناعم وحذائها ذي الكعب العالي زائرة حقيقية. وكانت زيارة السيدة ويليس ممنوعة لذلك اليوم كما هو المعتاد بعد اجراء اية عملية جراحية خطرة. ويبلغ الاقرباء بذلك وينقل المريض الى ردهة جانبية ويدرج اسمه في قائمة المرضى الذين ساءت حالتهم. وتأخذ قواعد الزيارة في هذه الحالة شكلاً اقل صرامة وحدة. وعلى الرغم من كآبة ماريان بدا لها انه من المتوقع ان يتحسن على نحو يدعو للرضى والاطمئنان طالما اعيد الى سريره الخاص في الردهة الرئيسية من الجناح الجراحي...

انزلقت باتي وراء الستائر. فكان لا يزال نائماً من تأثير

المخدر وهو يبدومتلاشياً فوق الوسادة والركام الكثيف من الاغطية التي بدت مناقضة لسباته لو اخذ بعين الاعتبار وجهه الغائر وشخيره القوي. وقد بدا اكثر تقدماً في السن وفي حالة سيئة جداً. ولكن باتي لاحظت ان تنفسه يتحسن وان جسده يقاوم تلك العملية الخطيرة بمساعدة الادوية المضادة للجراثيم والمضاعفات. وكانت قنينة من الاوكسجين منتصبة الى جانب سريره لاستعمالها عند الحاجة. وكانت هناك محقنة تستقطر محلولاً ملحياً في الوريد بلا انقطاع.

- ١٦ -

امعنت باتي النظر في اللوحة الخاصة به والرسم البياني فوجدت ان نبضه غير طبيعي وضغط الدم منخفض. ولكنه كان تحت المراقبة كل نصف ساعة ولم يكن في الواقع ما يدعو الى قلقها عليه. ومع ذلك امتلأت عيناها بالدموع.

من المفروض في الممرضات ان لا يتورطن عاطفياً مع المرضى ولكنها قد اصبحت مولعة بالرجل الضئيل. وكان يهمها بشكل غريب ان تتحسن صحة هذا الغريب.

وضعت يدها على كتفه ولفظت اسمه برقة.

«سيد ويليس».

فتمتم بشيء غير مفهوم.

نادته ثانية «كيف صحتك؟».

www.elromancia.com

ارتعشت العينان الدامعتان... وانفتحتا ونظرتا الى باتي بشكل لا يخلو من التعبير. فابتسمت له باتي فنفذ دفء تلك الابتسامة المليئة بالحنان الى اعماق نفسه مثل شعاع الشمس وقال «اهذه انت يا فتا...؟».

استطاعت باتي ان تفهم كلماته بصعوبة فقالت بوضوح وهي تربت على كتفه «جئت لأطمئن على صحتك... لا تستيقظ...».

اجابها «ان شعرك يشبه شعر خطيبتي في... سابقاً...».

كانت كلماته ترتفع وتنخفض مع تنفسه البطيء... وهدأ فجأة فظنت باتي انه استغرق في النوم من جديد... ثم تحرك حركة بطيئة وقال «كانت ممتلئة نشاطاً وحيوية... عندما... تزوجتها... كانت جميلة... مثلك...».

بدأ صوته يخفت حتى تلاشى كلياً وانتظرت باتي بضع لحظات ثم اقتنعت بانه قد نام... وبدت مسرورة لأنها قد وفت بوعدها له. وانسلت من وراء الستائر واختلطت بالزوار المغادرين، آملة ان لا يلفت شعرها المتألق انتباه الممرضة المسؤولة عندما مرت من امامها وهي تحدث موظفاً صحياً يجلس بجانب طاولة في نهاية الردهة. وفي الممر ابصرت جنيفر نيل قادمة ففتحت باب خزانة الاغطية والشراشف الواسع بسرعة انسلت الى داخله تاركة الباب نصف مغلق وأصغت السمع الى وقع اقدام تقترب، واستطاعت ان تميز الصوت الثاني دون ان تفهم الكلمات واجتازت الاقدام الغرفة. وبعد لحظة غامرت بفتح الباب

قليلاً لتلقي نظرة في الممر. كان آيفور واقفاً يحادث جنيفر نيل بالقرب من الابواب الدوارة للردهة، فاعطته بطاقة لحضور استعراض مسرحي في البلاديوم. وهي تدعوه للذهاب معها. فهو لم يكن مرتبطاً بعمل ما فلم يجد ما يمنعه للذهاب معها. وكان لا يزال يشعر ببعض الألم النفسي الذي سببته باتي له. وقد تعلم من التجارب السابقة ان احسن علاج لمثل هذه الطعنة هو ان يرافق امرأة اخرى.

كانت جنيفر جذابة ومسلية وهي تروق له بما فيه الكفاية وان قليلاً من الاهتمام بها من جانبه اقل قسوة على الممرضات الأدنى مقاماً. وقد سمع مفادها ان جنيفر نيل ساخطة من اهتمامه بباتي ذات الشعر النحاسي. ونتيجة لذلك كانت تعاملها بقسوة بالغة.

كانت المشرفة واقفة وظهرها الى الخزانة. فرأى آيفور الباب ينفتح وينغلق ثانية بسرعة مريبة واستطاع ان يلمح لوناً اخضر. فتوهج حب الاستطلاع في عينيه السوداوين. فقد كان يعلم ما يجري في خزانات الشراشف. ولكونه هو نفسه قد انغمس في بعض منها خطر بباله ان احدى الممرضات المستجدات كانت تستمتع بعناق مع احد دارسي الطب. ولكن تلك الومضة الخاطفة للون الأخضر حيرته.

لم يكن احد يرتدي اللون الأخضر في هارتليك سوى الفرق الجراحية. لعل من الممكن ان يكون احد الزوار قد فتح الباب ودخل ظناً منه ان الخزانة شيء آخر يختلف

تماماً... وهو الآن يتردد في الخروج قبل ان يكتشف امره؟.

افترق آيفور عن جنيفر نيل رافعاً صوته بتعمد كي يجعل شاغل الخزانة الفسيحة يعرف انهما افترقا وان كلا منهما سار في طريقه. وعندما ابتعدت المشرفة عن الممر غادرت باتي الخزانة بسرور. ولم يكن يتوقع ان تكون باتي... فتسارعت نبضات قلبه لرؤية الوجه الجميل والشعر اللامع. ونظرت باتي اليه بعينين ساحرتين فتوجه نحوها مسرعاً وفي عينيه ابتسامة ضئيلة وهو يقول.

«انها لعبة الغميضة اليس كذلك؟» ثم تشدق مستفزاً لها «من يريد ان يلعبها معك؟».

في هذه اللحظة ظهرت جنيفر نيل عند باب الردهة ولحسن الحظ كانت قد ادارت رأسها من فوق كتفها وهي تكلم شخصاً ما وراءها.

فقالت باتي بالحاح «ارجوك لا تفضحني».

وفي لمح البصر امسك آيفور بيدها ودفعها الى داخل الخزانة واغلق الباب عليهما معاً على نحو تآمري جعل باتي تقهقه وهي تقول «ستظن انك تلاشيت في الهواء الرقيق».

«هش...».

حذرها بهذه اللفظة التقليدية وعيناه تتراقصان فلم تتمالك نفسها حتى ضحكت وهي تتخيل ارتباك المشرفة في بحثها عن الطبيب المسجل هنا وهناك ولدى فتاة بعد اخرى.

لم تعرف باتي احداً يستجيب بمثل هذه السرعة ابداً. كان حاضر البديهة وسريع التفكير، والا فلا بد ان يكون متمرساً في اخفاء الممرضات عن الانظار بخفة ورشاقة عندما تلوح السلطلة مهددة بالعقاب.

نظر اليها منشرحاً وقال «ايتها البلهاء... لماذا تختبئين في الخزانة؟».

«انا مطرودة هذا اليوم... ومن المفروض ان اكون خارج الجناح الآن...» واوضحت باتي بسرعة ورزانة واقع الامر فقال لها.

«السيد ويليس؟ صديقك اليس كذلك».

اومأت برأسها وقالت «انه رجل مسن ومحبوب وآمل ان تتحسن صحته ولكنه لا يبدو بصحة جيدة الآن».

فقال آيفور مطمئناً «سيكون على ما يرام... فلم تكن هناك اية مضاعفات وقد خرج من العملية سالماً... ان رئيسي راض عن حالته. ان هؤلاء الشيوخ الآتين من احياء لندن الفقيرة عودهم صلب واقوياء كما تعرفين يا باتي. فغداً وفي مثل هذا الوقت سيكون جالساً ومنتصباً في فراشه منتبهاً لما جرى حوله... سترين ذلك».

«اجل... اعتقد انك على صواب».

حاولت باتي ان تصدقه وقد كان له قدر كبير في التجارب في مثل هذه الحالات. ثم ابتسمت له بحرارة وامتنان وقالت.

«شكراً».

نظرت الى عينيه السوداوين والى الوهج المألوف فيهما

فترنح قلبها واحست بوخز خفيف يسري في عمودها الفقري ثم احنى رأسه واضعاً شفتيه على شفتيها ولم تعرف باتي كيف اصبحت بين ذراعيه وهي تبادله قبلاته بحماس، متلهفة الى قلب العالم كله رأساً على عقب.

لم باتي راغبة فيما حدث ولم تتوقع حدوثه. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت فرصة ذهبية بالنسبة لرجل عرف باستغلاله لمثل هذه الفرص الى ابعد حدود الاستغلال.

تشبثت به باتي وقد اصيبت بدوار. واستطاعت ان تتحسس ضربات قلبه على صدرها الناعم.

وتذكرت ستيف الذي كان ينتظرها في سيارته بصبر فانتابها خجل بسبب حاجتها الى رجل لا تستطيع ان تحبه ابداً، رجل لا صلة لرغبته بالحب. لقد صدمتها شدة الرغبة المتبادلة بينهما وادركت انه يريدها كما تريده. وحاولت ان تنسحب فاحكم بذراعيه على خصرها فقالت بصوت مرتعش.

«ارجوك...».

فاطلقها آيفور على مضض وهو يصارع هياج مشاعره وجسده ثم قال.

«انت مغرية يا باتي...».

فبدت وهي تبتعد عنه كأنها تنزع صدرها عن صدره نزعاً، وتنزع معه قلبه. ان هذا لم يكن حباً عاطفياً. انه شيء جديد بالنسبة له لم يشعر بمثله من قبل ومع اية امرأة اخرى. وابتسمت له وهي ترتجف قائلة بصراحة.

«انا ايضاً لست راغبة بما تفعله بي».

لم يكن هناك اي معنى لمحاولتها اخفاء ما كشف عنه جسدها فتجعدت عيناه بابتسامة وقال «وهل قلت انس لست راغباً فيه؟».

واحاطها بذراعيه ثانية فدفعته بعيداً وهي موطدة العزم على المقاومة وقالت «هناك شخص ينتظرني يا آيفور... يجب ان انصرف.

نظر الى ساعته وقال «بعد نصف ساعة ساكون غير مقيد بأي عمل يا باتي. بامكاننا ان نقضي بقية النهار سوية.

كانت نبرة صوته وابتسامته مقنعتين على نحو مبهج وتابع قوله «سنذهب لتناول العشاء واو مشاهدة فيلم او اي شيء يروق لك».

فقالت بشيء من التردد شاعرة بأنها يجب ان تخبره عن ستيف ولكنها خشيت ان تحطم علاقتهما «قلت لك لا استطيع يا آيفور... هناك شخص ينتظرني».

بدت عيناه حزينتين وقال «هل هو شخص مهم؟».

لقد فطن الى انه لا بد ان يكون رجلاً. اذ لو كان المقصود منه صديقة لسارعت الى توضيح ذلك بما فيه الكفاية... ومع ذلك استطرد «ان وقت فراغي قليل جداً. وقد تمر ايام قبل ان يتسنى لي تخصيص امسية كاملة لك».

فهمت باتي رغبته الملحة واقنعت نفسها بأن العناية الالهية قد انقذتها من اتيان فعل كانت ستندم عليه. وذلك بجعلها ستيف قد اختار هذا اليوم دون سواه ليأتي ويبحث عنها. فقالت «انا آسفة».

www.elromancia.com

احنى رأسه وقال بحصافة الرجل الملتزم الذي يحترم التزام الآخرين.

«ارى ان لا تغيري خططك في لحظة تلائم رغباتي . . . طبعاً انا ايضاً لا اريد ذلك».

كانت خيبته بادية في ابتسامته رغم موافقته لها فوضعت يدها عى الباب وقالت «اتعتقد ان الجو قد خلا لنا الآن؟».

«قد تكون المسؤولة منتظرة لتلقي القبض علينا متلبسين بالجريمة.

وابتسم بلطف رغم وضوح التحذير في جملته. ولكن الممر كان خالياً فتنفست باتي الصعداء وهرعت نحو المصعد. رافقها الى الطابق الارضي وعبرا القاعة الرئيسية. وتمنت باتي لو انه لم يفعل ذلك ولكنها وجدت صعوبة في منعه من السير معها. خيل اليها ان رؤوساً التفتت وان افواهاً همست وهما يمران معاً. كان طويل القامة جداً ومميزاً جداً ومشهوراً جداً مثلما كان شعرها مصدر الأذى لها والمشاكل وهو يجلب الانتباه اليها حيثما سارت في هارتليك. ولما كانت على علم بأن النظرة المحدقة الصادرة من رئيس البوابين كانت متوجهة اليها وهما يعبران القاعة الرئيسية لم تحاول ان تنظر الى جيمي حتى لا تزيد ارتيابه مع علمها انه سيرسل لها غمزة وابتسامة من وراء ظهرها هما بمثابة مباركته لغرام جديد.

لو كان بامكانها ان تعلق ملصقاً جدارياً في مكان بارز تعلن فيه لا قصة غرام بينها وبين آيفور لما ترددت، ولكن هل ذلك سيضع حداً للشائعات المتوقعة؟.

توقفا عند رأس السلم المؤدي الى الشارع ونظرت باتي لا ارادياً نحو سيارة ستيف الواقفة على بضع ياردات من الباب الرئيسي في الشارع هاي ستريت. وكان ستيف قد ترك السيارة ليذرع الرصيف جيئة وذهاباً بنفاذ صبر ناظراً الى ساعته بين الفينة والفينة وعندما وقع نظره على باتي ورفيقها توقف وتفرس فيهما بارتياب.

نظر آيفور الى باتي وقد احمر وجهها فجأة وقال لها «موعدك؟».

ترددت ثم قالت عفوياً «نعم. . . كنا مخطوبين فيما مضى. لم اره منذ ان بدأت تدريبي».

لا تدري لماذا قالت هذا وهي التي لم تتحدث عن ستيف مع اي شخص منذ مجيئها الى هارتليك. ربما شعرت ان عليها ان توضح لآيفور سبب تحفظها في علاقتها معه دون ان تجعله يشعر بأنها غير مكترثة به كلياً. انها تعترف بحزن بأنها قد شجعته اكثر مما ينبغي وان فكرها مشغول به في الوقت نفسه.

لم يكن آيفور بحاجة للسؤال عن فسخ تلك الخطوبة. فقد كان ذلك تفسيراً لذلك الحذر الذي حيره طويلاً فيما يتعلق بباتي. . . لقد خامره شعور بأن كبرياءها قد طعن مرة ولا تريد ان يطعن مرة اخرى. وقد رفض فكرة انها لا تزال تحب الرجل الذي خذلها. فهي لم تبتسم له. ولم تقبله ولم تثب بين ذراعيه. وفي الوقت ذاته هي لا تحبه هو الآخر. ولكن قلبها كان بدون شك ما زال ملكها الخاص سواء عرفت ذلك ام لم تعرف. وبدا لآيفور انها قد تكون

مترددة في الاعتراف بأن مشاعرها يمكن ان تتغير ازاء رجل كان يوماً ما مهماً بالنسبة لها. لقد سبق له ان لاحظ مثل هذه السمات الواضحة من كبرياء عند امرأة اخرى، لم يقل لها شيئاً مما يدور في خاطره وكل ما فعله هو ان اومأ لها برأسه وابتسم بلا مبالاة.

«ساراك قريباً يا باتي».

ثم انصرف. نزلت باتي السلم بسرعة لتنضم الى ستيف الذي سألها.

«كيف حال الرجل؟».

- ١٧ -

ومن غير ان ينتظر جواباً اضاف «اسرعي وادخلي السيارة يا بيشنس. انا متأخر اولاً وسيارتي في مكان ممنوع الوقوف فيه. وهناك شرطي مرور يتقدم نحونا...» وبعد ان قطعا بضعة اميال في طريقهما الى بجموند سألها فجأة «من كان ذلك الرجل الطويل، ذو السترة البيضاء... هل هو صديق؟».

«كلا... انه احد اطباء التسجيل... لا اعرفه معرفة جيدة».

كان ما قالته هو الحقيقة ولم يكن هناك ما يدعو الى المزيد ولم يكن ستيف بحاجة الى معرفة تأثير مفاتن رجل آخر غيره على مشاعرها.

www.elromancia.com

كانت يداها متشابكتين في حضنها باحكام فادرك ستيف انها في حالة توتر نفسي. فحدق في وجهها باستغراب وقال «انت متوترة».

«فعلاً».

لقد طغت على مشاعرها فكرة المغازلة المتوقعة من ستيف. فتقززت من انانيته وندمت على وعدها في الذهاب معه الى شقته. فتابعت تقول «افكر بالسيد ويليس. انني قلقة عليه».

كان في قولها تهرب من خواطرها اولاً والتفاتة حقيقية ثانياً لتصرف ذهن ستيف عن كل تصورات حمقاء قد تدور في رأسه. كما ان فيه بعض الصدق. لأن الرجل الراقد في المستشفى لا يزال فعلاً يشغل فكرها.

فهز ستيف رأسه مبتسماً وقال «انه مجرد مريض حاولي ان تنسيه».

اخذ احدى يديها بين يديه وقال «فكري بي يا بيشنس. فكم هو لطيف ان نكون معاً».

التفتت الى اضوية المرور التي اوقفت السيارة موقتاً فمال ليقبلها، فابتعدت برأسها قليلاً ولمست خده باصبعها... انها تحبه وتشعر بالسعادة معه ولكن في الوقت نفسه ثبت لها انه اناني وربما يكون ضعيفاً نزاعاً الى التهور وعدم الشعور بالمسؤولية. وهو كثير الاستغراق في مشاغله الخاصة. ولكنه هو ستيف الذي عرفته فيما مضى واحبته ويبدو ان شعورها نحوه لم يتغير ولن يتغير بدليل انها الآن معه وهي تتوقع ان لا يلتزم بما يذكره انه ما زال زوجاً

لابنة عمها.

اما آيفور مينارد فكان مجرد حمى من الدم والسحر الموقت لا علاقة له بحقيقة كونها تحب ستيف.

كانت الشقة في اعلى البناية الحديثة والضخمة وفي منتصف الطريق الى تل ريجموند الشهير. وكانت المناظر تبدو خلابة ومثيرة للاعجاب لكل من ينظر اليها من النوافذ الواسعة. فاحبت باتي الشقة وابدت بها اعجابها بحرارة واقترب ستيف منها ووقف وراءها واحاطها بذراعيه وهي واقفة امام النافذة وقال «كنت اعلم انك ستحبينها. تأملي اشعة الشمس المنسكبة فوق النهر وهو يخترق الريف متعرجاً وينساب منحدراً نحو المدينة... انه رائع... اليس كذلك. فكري بالاستيقاظ على هذا المشهد كل صباح وانا الى جانبك».

استدارت نحوه وجهاً لوجه وابتسمت قائلة «يجب ان اعترف اني اغريت بهذه الشقة».

فقال «اهو المشهد الذي اغراك ام انا».

تمنت باتي من كل جوارحها لو استطاع هو ان يغريها حقاً. فلم تكن هناك رغبة منها لعناقه حتى لو كان عناق مجاملة ومع ذلك لم يطاوعها قلبها على رفضه. من يدري؟ لعل ستيف كان محباً وحنوناً، فهو ذكي بما فيه الكفاية ليجعلها لينة العريكة ان كان يحبها حقاً ولا يريد ابتزازها ولكن ما من شك قد افتقدها كثيراً بعد زواجه من فاليري، لقد كان خطأه كبيراً وكانت حياته طيلة الاشهر القليلة الماضية جحيماً لا يطاق.

سمحت باتي لمشاعرها بالانطلاق على هذا النحو ولكن تهافته امامها جعلها تشعر بالذنب وخصوصاً عندما اقترح عليها ان تبيت معه في الشقة هذه الليلة. فاصرت على العودة الى دار الممرضات... لم يستطع ان يفهم اصرارها على ضرورة عودتها كما لم يرد ان يفهم ضرورة اثبات وجودها في المستشفى منذ الصباح وخاصة بعد يوم عقابها... انه اناني.

قال لها وكأن الدنيا تحت تصرفه «خذي اجازة لبضعة ايام... انت تبدين متعبة... انهم ينهكون قواك تماماً... ولست ادري لما تحبين العمل الى هذا الحد».

«ليس بمقدوري ان آخذ اجازة بمثل هذه السهولة» وصرخت بوجهه «عليك ان تفهم... اننا في المستشفى وخاصة في الجناح الجراحي كيوري نفتقر الى العاملين. وهو من اكثر اجنحتنا ازدحاماً بالمرضى والمراجعين».

«لو فرضنا انك كنت مريضة. فماذا كنت ستفعلين في هذه الحالة؟».

«تلك مسألة مختلفة... كنت سأدخل المستشفى وكنت لا تقدر على مغازلتي وتحريضي على التمرد تجاه واجبي الوظيفي... كنت اتلقى العناية الجيدة والاهتمام المصحوب بالحنان الذي يتلقاه مرضانا» ثم ابتسمت له ابتسامة باهتة وقالت «حبيبي انا لست مريضة واني احب عملي وعلي ان اغادر الآن».

بدت على وجهه علامات الانزعاج وهو يجيبها «دونك ما تريدين. فيبدو انك تريدين الاستمرار في تدريبك على

التمريض. وفي هذا العديد من المعاني... التي...».

كظمت باتي غضبها وقاطعته قائلة «نعم... في الوقت الحاضر في الاقل... وعلى كل حال قد يتغير رأيي حول الموضوع في غضون الاشهر القادمة... واما الآن فالتمريض اهم شيء عندي».

اجابها بصيغة سؤال «حتى اهم مني انا؟».

اجابته وهي عازمة على ان تضحي بشيء عزيز لديها على مذبح الانانية «الم تضع في اعتبارك اشياء اخرى في مرتبة اعلى من كلمة انا».

شعرت باتي ان ستيف يحتاجها الآن اكثر من مما كانت تحتاجه يوماً ما. انه ضعيف ويحتاج الى قوتها انه بحاجة الى سخائها في العطاء لقد فقد الثقة بنفسه على نحو مذهل. يحتاجها لكي تدعم ثقته وتعيد اليه احترامه لذاته وتطمئنه بأنه ما زال يمتلك كل الصفات التي يعتقد انه يمتلكها فيبدو ان فالير لم تكن قادرة على اشباع روح فرديته لذلك كان معها تعيساً ومستاءً. والآن قد عاد الى باتي التي قدمت له الحب والوفاء دون نقد او ادانة لتصرفاته. فهي ليست نادمة على كل ذلك. فهناك صفات ايجابية ايضاً في ستيف يمكنها ان تحبها فيه ولكنه هو لا يدري حقيقة نفسه. ثم تذكرت آيفور وهي في غمرة تفكيرها... انه رجل لا يمكن ان يسبب لها خيبة أمل في كل النواحي فيما اذا احبته، وفيما اذا احبها هو ايضاً.

احست باتي بنوع من الشوق المصحوب بالحزن. فكم سيكون رائعاً لو احبها رجل مثل آيفور. وتساءلت ان كان

من الممكن ان تتحول المشاعر التي اثارتها معرفته الى حب حقيقي. كما تساءلت لماذا لا تستطيع ان تتوقف عن التفكير بآيفور مينارد.

كانت هذه المقارنات بغيضة نسبياً. ولكنها في الحقيقة لم تكن تقارن بين الرجلين، ستيف وآيفور. فطمأنت نفسها قليلاً. فقد كانا نموذجين مختلفين تماماً. بحيث تبدو المقارنة بينهما مستحيلة. وفضلاً عن ذلك فهي لم تعرف آيفور بشكل يجعلها قادرة على توازن بين صفاته الطيبة وبين صفاته الرديئة، فتقرر ان كان بامكانها ان تحبه. وابتسمت بمرارة تمازجها السخرية من فكرة ان مثل هذا التخمين يمكن ان تكون له علاقة بالحب. انها تحب آيفور فعلاً. وهذه مسألة مفروغ منها. فمهما كانت نقائصه كثيرة، فان جاذبيته وطراوة عواطفه وروح الدعابة التي عنده وتسامحه تطغى على تلك النقائص. وتمنت لو لم يعقد ستيف الامور بظهوره فجأة. وفي اللحظة التي كانت على حافة الاعتقاد بانها قد نسيته او انها من الممكن ان تحب مرتين.

لم يبذل ستيف المزيد من الجهد ليجعلها تعدل عن الرجوع الى بيت الممرضات. ولاحظت باتي في ملامح وجهه انه قد خاب أمله. كان يريدها ليتمتع بها على ما يبدو وليس لمجرد غزل وتبادل عواطف... فحاول ان يخفي ما في جعبته من خطط بأن يظهر بمظهر المرح. وعرفت باتي بأنه سرعان ما سيعود وهو ممتلىء ثقة كعهده، فهو ما زال يطمع بها وهو غير مقتنع بأنها حقاً ستفضل

التمريض عليه وتفضل بيت التمريض وهي تعيش مع ثلاث بنات على شقته.

ما زال يتألم من الطعنة التي وجهتها اليه في بيته وكان يظن انها ستتهاوى بين يديه. ربما لم يعرف كمية الشكوك التي خامرت قلبها حول المستقبل الذي ارادها ان تتحمله من اجله هو وحده.

بلغا هارتليك وكان امامها وقت كاف لتناول المشروب في حانة الصياد قبل ان يعلن صاحب جيم كارفر صاحب الحانة موعد اقفالها. ومن المصادفة كان جون وجواني هناك فقدمت باتي ستيف لهما كصديق قديم بينما هو راح يمارس سحره على صديقتها. كان جذاباً بلا شك وله قابلية على كسب ود الآخرين... كما كان مقبولاً شكلاً وحديثاً، وتساءلت باتي مع نفسها باستغراب كيف لم يخطر ببالها من قبل انه كان ضحلاً وسطحياً. يعرف كيف يعرض نفسه بنجاح كما كان يعرض منتجات شركته ويبيعها. وراجعت ملاحظتها هذه مع نفسها متسائلة ان كانت معاملته لها كانت ما تزال بنفس الاسلوب الذي اتضح لها الآن وهو يعرض مواهبه على جواني التي لم يتعرف عليها الا قبل بضع دقائق. وهذا ما جعلها تعامله ببرود مشوب بالسخط لأول مرة. لم يكن هناك شيء مفاجيء لهذا التغيير. فمشاعرها الاساسية لم تتغير مصادفة.

كانا جالسين في نفس الركن الذي جلست فيه منذ وقت قريب مع آيفور. وقد ادهشتها المصادفة. لقد كان ذلك قبل يومين فقط وقد بدا لها وكأنها قد عرفت آيفور منذ زمن

طويل. لقد انزلقت معه الى الفة دون وعي منها. وكان ذلك شيئاً مضحكاً حقاً ان تشعر الآن انها احبته كثيراً وعرفته جيداً في حين انه كان لا يزال غريباً... واحست بوخز غريزي غريب في جذور شعر رأسها يخبرها ان عيوناً كانت تثقب مؤخرة رأسها. فالتفتت بشكل عفوي فلم تندهش عندما التقت عيناها بعيني آيفور السوداوين. وقد غابت عنهما الابتسامة. فابتسمت هي ابتسامة ضئيلة شاعرة بذراع ستيف على كتفيها وشخصيته تهيمن على المجموعة الصغيرة وهو في حالة من الانسجام والرضا.

- ١٨ -

التفت آيفور باتجاه آخر حيث كانت جنيفر نيل واقفة معه عند طاولة في مدخل الحانة وقد امسكت بذراعه محاولة ان تلفت انتباهه الى صوتها الناعم. واستطاعت باتي ان تلتقط بعض الكلمات وفهمت من حديثهما انهما قد عادا تواً من مشاهدة الاستعراض المسرحي في لندن بلاديوم.

كان يجدر بها الا تجد بأساً في كونه قد وجد له رفيقة بدلاً عنها بهذه السرعة لقضاء الامسية. وكان يجدر بها ان لا تمتعض من الشعور بالرضى والقناعة الذي لاحظته على معالم وجه امرأة اخرى. وكان يجدر بها الا تغضب من الطريقة التي نظرت بها او الابتسامة التي بادلته اياها او الحديث الذي جرى بينهما. فكان في اعتقادها ان

www.elromancia.com

الممرضة المشرفة ستواسيه بكل الطرق لدى كل خيبة أمل يشعر بها وها هي تفعل الآن لأن باتي رفضت قضاء امسية معه. غير ان باتي شعرت بغيرة حادة وكره عميق للممرضة المشرفة. وارادت ان تجهش بالبكاء او تندفع وترتمي بين ذراعي آيفور وتجعله يضمها بقوة الى صدره... ارادت ان تمحو الساعات التي قضتها مع ستيف والامسية التي قضاها آيفور مع جنيفر نيل وكأن ذلك لم يحدث. غير ان هذا كان مجرد وهم لا سبيل الى تنفيذه فادارت ظهرها لهما وابتسمت لستيف ابتسامة متألقة مفعمة بالشك وادركت باحساس مشمئز انها قد وقعت بحماقة في حب آيفور مهما كان شعورها نحو ستيف. ذلك الشعور الذي بقي عميقاً لزمن طويل... فهو لا يمكن ان يقارن بهذا الجيشان العارم في قلبها وعقلها وروحها وجسدها هذا الجيشان الذي قلب عالمها رأساً على عقب.

لقد دعاها قبل فترة فتاة مغفلة. وهكذا كانت. لأنها احبت رجلاً خلياً لم يزعجه وجود ستيف معها. وهو ينظر الى جنيفر نيل ويبتسم لها بنفس الطريقة التي نظر بها اليها وابتسم لها. ويحيطها بذراعيه ويضمها الى صدره بنفس الطريقة... يا له من مسجل شرير... غير مؤتمن.

ان هذا يعذبها ان نظراتها المنجذبة اليه بدت طبيعية وكأنها تنظر بملء اختيارها. بينما كانت نظرات غير واعية. واجهدت نفسها لسماع كلماته عندما أمال رأسه نحو اذن المشرفة ليهمس بها شيئاً... فضحكت جنيفر والقت نظرة معنفة ومغناجة. وابتسمت واوطأت بطريقة لا يمكن ان

تعني سوى شيء واحد.

راقبتهما باتي وهما يشقان طريقهما من خلال حشد الناس قرب الباب وذراع آيفور يحيط بخصر الفتاة وكانت يداها مطبقتين باحكام على بعضهما الى حد جعل اظافرها تحفر آثاراً عميقة بشكل اهلة في راحتيها الناعمتين.

كانت جنيفر في حالة نفسية مفعمة بالمرح والحبور في اليوم التالي... والسبب واضح تماماً. فقد كانت هذه المشرفة تنضح عذوبة والقاً. وكان هناك شيء من اللطف الممزوج بالشفقة في ابتسامتها التي حيت بها باتي عندما التقيا في الممر... فاكتشفت باتي وجود غرائز بدائية عند هذه المخلوقة لم تكن تعلم انها تملكها. وقد علقت مازيان فوستر بجفاء وهي تساعد باتي في ترتيب الاسرة بقولها.

«القطة قد ادركت القشطة».

كانت باتي وماريان يقومان بواجبهما استعداداً لزيارة الاطباء فأمالت الاخيرة رأسها باتجاه المشرفة وقالت «لماذا لا اخبر كل من يصغي الي... بأنها قضت مساءً رائعاً مع آيفور مينارد في الليلة الماضية؟».

ابتسمت باتي وتابعت ماريان قولها «لست ادري كيف يحصل هذا الرجل على نشاطه او من اين يأتي بالوقت الكافي لينشغل دوماً بهذه الامور، لقد كان كازانوفا مجرد راهب متبتل بالمقارنة معه».

لم تنبس باتي بكلمة واحدة. فنظرت ماريان اليها باستغراب متسائلة ان كان الطبيب المسجل قد سبب الضغينة بين الممرضة المشرفة وبين ممرضة السنة الاولى

كما تقول الشائعات.

كان مما يدعو للعجب حقاً كيف ان اصغر جزء من التقولات ينتشر على طول المستشفى وعرضه. ثم يهول مع حكاية محكمة الصورة... ولقد كانت ماريان مسرورة لأنها لم تجلب انتباه آيفور مينارد المحاط بالشائعات والشكوك ولو حدث ذلك لتعرضت سمعتها للأذى لو تلقت عقوبة من الرئيسة. ولكن ماريان كانت ستراهن بمبلغ ضخم على حصافة عقل باتي باركن ونضجها وقدرتها على تمييز رجل خليع عندما تصادف واحداً وتبقيه بعيداً عنها بمسافة تدعو الا الاطمئنان. ومن جراء هذه الثقة كانت تميل الى عدم تصديق الكثير من الشائعات ذات العلاقة بالمزاعم التي تتحدث عن ممرضة السنة الاولى وعن الطبيب المسجل آيفور ميناد. واضافة الى ذلك فقد اشيع في كل مكان من المستشفى ان الممرضة ذات الشعر الاحمر كانت في عناق حار مع رجل ليس من منتسبي المستشفى رافقها الى حانة الصياد في وقت متأخر من النهار. فيا له من نبأ سار لكي تتناقله الشائعات.

قالت ماريان بخفة وهما تنتقلان الى تسوية سرير آخر «لا اظن انك مهتمة بحياة نيل الغرامية... او تغارين منها، فكل الادلة والشواهد تشير الى ان ذوقك يميل الى الرجال الشقر».

التمعت عينا باتي وقالت «لقد قلت لك مراراً لا وجود لحياة شخصية في هذا المكان».

«يا ايتها الفاتنة... والشائعات؟».

اجابت باتي بسخرية «ومن يكون؟».

ثم ابتسمت بمرارة. وعلى حين غفلة وبلا مناسبة سمعت نفسها تقول عفوياً «لا بد انك تعنين ستيف خطيبي... لقد جاء هنا ليراني يوم امس. اعتقد اننا شوهدنا معاً في الحديقة».

قالت هذا بنوع من الزهو بصوت عال بما فيه الكفاية بحيث سمعتها جنيفر نيل وهي تشق طريقها الى الردهة. لكنها امتلأت عزماً للدفاع عن آيفور مينارد فلا يوجد اي مبرر للمشرفة او لأي احد ان يكره الطبيب المسجل او يغتاظ من علاقته مع امرأة اخرى. وقالت ماريان «لم اكن اعلم بأنك مخطوبة. وهذا برهان على انه يمكن ان تكون في هارتليك حياة خاصة.. او سرية».

فاجابت باتي بنبرة لاذعة بعض الشيء وكان الاوان قد فات لسحب تصريحها المتهور «ولماذا لا يمكن؟ اذن فاعلمي ذلك الآن».

وتساءلت كم من الوقت سيستغرق ذلك لكي يصل الى اذني آيفور. لم يكن لديها سبب حقيقي للافتراض ان ذلك يهمه. وذكرت نفسها ببؤس انها لم تكن غير امرأة واحدة في حياته وقد اخفق في اغوائها.

اسند السيد ويليس على الوسائد لمنع المشاكل التنفسية التي كثيراً ما تعقب اعطاء المخدر. وقد لاحظت باتي بارتياح انه يبدو افضل من يوم امس. ولكنه يبدو وكأنه ضائع لا يعرف اين كان ولا اين هو الآن. وعندما ارسلت باتي لتغيير ضماداته ظنها زوجته الميتة، فادركت انه لا يزال

www.elromancia.com

يعاني من اثر الصدمة بعد العملية الجراحية، وان العقاقير المسكنة قد اربكته. فذكره شعرها الوضاء بزوجته التي فقدها وما زال يندبها... لم يكن احد قلقاً عليه سوى باتي.

كانت حالته في تحسن مستمر لذلك لم يبق مساعد السيد مانتك سوى بضع دقائق بجانبه قبل الاسراع الى المريض المجاور، ولم يكن لباتي اي سبب معقول للاهتمام به، ولكنها لم تستطع من التخلص من مشاعرها الغامضة تجاهه. تلك المشاعر التي اثقلت قلبها كلما قدمت له شيئاً او مرت بسريره.

لم يكن ذلك الصباح سعيداً بالنسبة لباتي. فقد اكتشفت المسؤولة بيرسيفال بطريقة ما ان باتي قد عادت الى الردهة بهيئة زائرة بعد ظهر امس. فاستاءت من هذا السلوك مشيرة الى ن اسرة المريض نفسها لم يسمح لها بزيارة السيد ويليس بتلك العجالة بعد اجراء العملية. وفي الوقت الذي كانت تقدر اهتمام باتي بالمريض وصداقتها الانسانية مع هذا الكهل الا انها لم تستحسن الطريقة التي زاغت بها عن اوامرها. فقالت لها بهدوء.

«اعتقد انك تعرفين لماذا صرفتك عن الردهة ايتها الممرضة. لقد خيبت املي كثيراً بالطريقة المخادعة التي تسللت بها الى الجناح من وراء ظهري... كنت واثقة من اني سارفض السماح لك بزيارة السيد ويليس، ولذا كنت حريصة على ان لا تطلبي مني ذلك».

«نعم... اني آسفة».

لم تبد باتي مسرورة رغم ثقتها بقلب بيرسيفال الحنون. وقد غاب عنها كل ذلك التألق المؤلف لسبب مجهول. وكان القهر يثقل عينيها.. قالت المسؤولة.

«لا شك انهم نصحوك في مدرسة التدريب التمهيدي بعدم التورط عاطفياً مع المرضى ولكني لا اعرف ان كنت حريصة اكثر مما ينبغي بهذا الشأن. ان الحرص والاهتمام والحنان الصادق عواطف يجب ان تشعر بها نحو المرضى كل ممرضة جيدة. وفي اعتقادي انك تظهرين قدراً كبيراً مما يشير الى نجاحك المرتقب كممرضة فإن عملك مرض الى ابعد الحدود ولكن لا تدعي قلبك يتحكم بعقلك ان كنت تودين البقاء في هارتليك».

لم تستطع باتي ان تصم اذنيها عن ذلك التهديد المبطن، وسواء لديها ان بشرتها بالنجاح ام لا فإن تدريبها سينتهي فجأة اذا استمرت في انتهاك النظام بسلوكها الفوضوي... فقالت بخضوع «حسناً ايتها المسؤولة».

«وحاولي ما استطعت ان تتعاوني مع الممرضة نيل... قد يكون اسلوبها في بعض الاحيان يدعو للأسف ولكنها ممرضة مؤهلة وهي على قدر كبير من الخبرة. وببساطة يجب ان لا تنسفي الاعتبار الذي تتمتع في الجناح الجراحي. ان مثل هذا التصرف سيقلل من الاحترام الذي يكنه المرضى لمهنتنا».

«نعم... ايتها المسؤولة».

غادرت باتي المكتب وقد احست بانها قد ادبت تأديباً كاملاً على الرغم من ان الممرضة المسؤولة لم ترفع صوتها

www.elromancia.com

ابداً ولم تخاطبها بأية نبرة تمازجها الحدة او الخشونة.

وكانت تأمل ان تعوض هذا العزاء المفعم بالشكوك باحتمال لقائها بآيفور مينارد ذلك الصباح. ولكن لم يكن ذلك اليوم هو اليوم الوحيد الذي يجري فيه السيد ماننك العمليات الجراحية. وكان المرضى الذين خضعوا لعمليات اليوم السابق يتحسنون بشكل ملحوظ بحيث كان بمقدور موظفيه الصحيين العناية بهم. لذلك لم تكن حاجة لزيارة آيفور للجناح الجراحي.

www.elromancia.com
مـــرجـــوريـــة

- ١٩ -

ارادت باتي ان تراه لتزيل اثر كآبة ليلة امس. فقد يكون ذلك مفيداً لإقناعها بأن حبها له لم يكن مجرد امر مضحك. فهي لم تخدع نفسها بأن حبها لشخص مثل آيفور كان هو الطريق المؤدي الى السعادة. ولكن في الوقت نفسه قد يكون هذا الحب سبباً لتعاستها.

في اللحظة التي ذهبت لتناول الغداء كان خبر خطوبتها قد تناقلته الالسن. فلعنت لسانها المتهور عندما جاءت صديقاتها متلهفات لمعرفة التفاصيل ولم يكون من الممكن نكران خطوبتها دون ان تجد مخرجاً او اختيار كذبة كبيرة. واعتقدت ان خطوبتها قد جددت فعلاً بسلوكها هي معه. فكانت تعرف انه واثق من استعدادها للزواج منه حالما

يضمن الطلاق. وقد فات الأوان لحد ما على الندم للمغازلة التي سمحت له بها والتي اعادت علاقتهما الى عهدها السابق.

ان ستيف لا يزال عزيزاً لديها. فقد كان جزءاً مهماً من حياتها لفترة طويلة. فربما ستتزوجه اذا ما واتته الفرصة المناسبة ولعلها ستجد قدراً من الاطمئنان معه حتى اذا لم يكن شعورها تجاهه الآن ينزع الى الحب الشامل الذي تصورته قبل ان يظهر آيفور مينارد في حياتها. فهي لا تأمل اي مستقبل لحبها مع آيفور فعليها ان تتذكر سمعته فحسب لتعرف العثرات التي تواجه مستقبل اية امرأة معه. فهو قد سبب الاحزان لكثير من الفتيات بعجزه عن استمرار اهتمامه بفتاة معينة لفترة طويلة. وهو لم يعط قدراً كبيراً من السعادة لأية فتاة بلغت بها الحماقة ان احبته حباً صادقاً. وبينما كانت تحدث نفسها بهذه الافكار تذكرت نصيحة المسؤولة، فرفضت ان تجعل قلبها يتحكم بعقلها، فعليها ان تنسى فوراً كل شيء عن آيفور وتركز اهتمامها على مهنة التمريض حتى تتمكن من التفكير بستيف كحبيب حقيقي ووحيد في حياتها.

قد تمر ثلاث سنوات قبل ان يصبح بمقدوره الحصول على الطلاق، فبامكانها الاستفادة من هذا الوقت في هارتليك.

في طريقها وهي عائدة الى الردهة رأت آيفور مينارد في القاعة الرئيسية. ان واقفاً الى جانب مكتب الاستعلامات وفي يده بعض الاوراق وهو يتحدث بجدية وتفصيل تام.

وكان رفيقه ذو الشعر الفضي يصغي اليه بانتباه وهو يومىء برأسه بين الفينة والفينة.

توقفت باتي عند لوحة الاعلانات الكبيرة متظاهرة بقراءة تفاصيل المهرجان القادم الذي نظمته جمعية اصدقاء مستشفى هارتليك وقلبها يخفق بشدة وقد جف حلقها وتوعكت معدتها. وتساءلت مع نفسها ان كان بامكانها جلب انتباهه. فكانت واثقة من ان نظرة واحدة كافية لمعرف اضطراب مشاعرها. لم تكن بحاجة لإثبات هذه المشاعر، اذ احست وكأن قلبها قد وثب من بين ضلوعها ببهجة ولهفة عندما رأت ذلك القوام الطويل داخل تلك البدلة السوداء.

ترى اهو في غير ساعات عمله ام هو يتمتع بفترة استراحة قصيرة بموجب متطلبات عمله كطبيب للسجل ذي رتبة ادنى مقاماً من درجة خبير مستشار. وانتهت مناقشتهما ومن زاوية عينها رأت الرجلين يتصافحان، ثم بدأ يسير عبر القاعة باتجاهها. فحبست انفاسها. وما ان لاحظها حتى اومأ برأسه في عدم مبالاة، مما جعل قلبها يغوص في صدرها مثل حجر. ان ايماءته لا تدل على شيء. فهو يمارسها مع اي شخص له به اقل ما يمكن من المعرفة. فهي خالية من كل علامات المودة او الاهتمام الخاص ولم تكن باتي مغفلة، فقد فهمت مغزى تلك الايماءة العابرة والابتسامة العفوية. فإن ذلك لغرض عدم التوقف لتبادل ولو بضع كلمات معها. فاحست انها قد طردت ولم يعد لها اية اهمية عنده. فينبغي بعد الآن ان لا تفترض انهما كانا صديقين لمجرد انه قبلها مرات قليلة بطريقة لا يمكن ان

www.elromancia.com

تعني اي شيء لمن هو على شاكلته. فلا بد ان مفاتن جنيفر نيل قد اثرت عليه بقوة. فكرت باتي بحزن في هذا الاسلوب من التفكير العاطفي الذي هو اقرب الى التخيل اكثر من الواقع. ولكن... اتجهل انه لا يثبت على حب اية امرأة؟ فلماذا تحمله اكثر مما تتحمله طباعه؟ ولكن هل ان تكون شيئاً عزيزاً في حياته دون الاخريات، شيئاً استثنائياً غير اعتيادي؟ لقد كانت ساذجة كأية واحدة من الممرضات المتدربات اللواتي وقعن فريسة سهلة بين يديه. ولكنه في اللحظة الحاسمة انقذ جسدها من عنفوان شبقه.

لقد اغرقت نفسها في يأس تام وشعرت ببؤس لم تشعر بمثله قط حتى في الايام الاولى من فقدانها ستيف. كانت تعتقد انها تعرف كل شيء عن الآلام التي يسببها الحب... ولكن الى حد يمكن ان يبقى الحب مثالياً ولا يقود الى الخطيئة؟.

وفي المساء استقرت مع كتبها. ولكن سرعان ما قطع عليها دراستها هاتف من ستيف. فارادت منه ان يكف عن مخابرتها ولكنها كبحت جماح هذه النزوة وبذلت قصارى جهدها لترد عليه ببشاشة. ثم تذكرت انها ليست بيشنس القديمة الخالية من المتاعب. وانما هي باتي طالبة التمريض. فمن الصعوبة ان تعود بشعورها وتفكيرها الى ما كانت تشعر به وتفكر به في الماضي. وتذكرت انها على شفا حب جديد، فهي متيمة بشخص جديد ميئوس منه. ولكن ليس لها اي عزاء باستبدال حب ستيف بحب رجل

آخر قد لا يحبها.

وغضب ستيف لأنها لم تحدد له موعداً جديداً، او تمنحه فرصة ليحلم بمستقبله. ولم تعتذر بل اقفلت سماعة الهاتف. وعادت الى كتبها. غير ان رغبتها في الدراسة تلاشت. واما زميلاتها في الشقة فكانت احداهن وهي جاكي قد خرجت لقضاء امسية في الحانة. وفيلدا كانت تطرز ثوباً صغيراً لطفلة اختها، فراقبتها باتي لبضع دقائق باعجاب وغبطتها على مهارتها، واما كيث فقد قررت ان تستحم وتصفف شعرها الاشقر.

كانت باتي مسرورة لتلاشي الهياج الذي اثير حول خطوبتها المزعومة. فالبنات الثلاث كن قد امطرنها بوابل من الاسئلة وهتافات التعجب التأنيب الرقيق وهن صادقات في فرحتهن من اجلها. وقد كن قبل ذلك يعتقدون ان باتي لا تفكر بالزواج مطلقاً.

واوشكت باتي ان تفكر بالمسألة جملة وتفصيلاً. وقد كانت منفعلة جداً في نداء ستيف الهاتفي فسألت نفسها ان كان ذلك مهماً. وبقدر ما يتعلق بالمستشفى بشكل عام وبآيفور مينارد بشكل خاص، فإن الامر سيكون شيقاً ان صدقت قصة خطوبتها من قبل ستيف. فإن ذلك سيمنحها مبرراً وجيهاً لرفض دعوات من قبل رجال آخرين. ان آيفور سيقتنع انها لم تكن مهتمة به او مكترثة لعلاقته بجنيفر نيل او اية امرأة اخرى. وهذه النقطة هامة. فصحيح انها تحبه ولكن ينبغي ان لا يعرف ذلك. وفكرت بزهو لو ان آيفور

علم بأنه قد اسر قلبها حتى من غير ان يحاول ذلك حقاً لما كان بمقدورها احتمال ذلك.

كانت الامسية جميلة ولكنها احست بالاختناق وهي حبيسة شقتها. فقررت ان تخرج في نزهة تجوب فيها الشوارع المظلمة والميحطة بالمستشفى. ولم تكن النزهة مغرية، حيث سارت باتي على غير هدى. وفجأة ادركت انها في شارع كلفتون عندما ابصرت القامة المميزة لآيفور مينارد وهو يمشي بخطى واسعة على طول الرصيف نحوها او بالاحرى نحو شقته ففكرت وقد وعت بغتة الى اين قادتها قدماها من غير قصد. ان وجودها هنا سيكون لافتاً للنظر. فيما اذا استدارت واسرعت عائدة من حيث اتت. يجب ان تكون غير مبالية وغير مهتمة وغير مكترثة بمن يسير وراءها. وعزمت على التظاهر بأنها في طريقها لزيارة جواني. ونظرت الى ارقام الدور وهي تتابع سيرها فكان عليها ان تجتاز البناية التي تضم شقته ولكنها كانت متاكدة من انه سيبلغها قبلها ويصعد الدرج.

كان آيفور قد انتظر قليلاً عندما مر بها في وقت مبكر من هذا النهار في القاعة الكبرى، دون ان يقصد تجاهلها بل كان متأخراً عن موعد بسبب لقائه مصادفة بعميد المدرسة الطبية. وكان منشغل البال بعدد من المشاكل المختلفة ومع ذلك كان سيكلمها لو لقي منها اي قدر من التشجيع. فقد نظرت اليه بفتور وكأنه شخص غريب فصدمه تخلفها عن ملاقاته. فبدا له ذلك اشارة لصرفه عنها. وقد كانت قد رأته مع جنيفر نيل في حانة الصياد فلو انها قد سمعت بأن

الممرضة المشرفة قد قضت تلك الليلة معه فإنها ربما تكون قد قررت ان تقطع كل صلة به...

ولكن الآن... يبدو ان آيفور راغب بشدة في مكالمتها، انه سيوضح لها شعوره عندما رآها تدخل الحانة في الليلة الماضية وهي ممسكة بيد الرجل الذي عاد الى حياتها وهي تتقد انفعالاً بسبب مغازلته لها. فكل هذا دفعه الى احضان جنيفر نيل المستجيبة له بلا ثمن.

اراد آيفور ان يكتشف ان كانت باتي حقاً بخطيبها السابق، واذا كانت متشبثة فقط بالذكرى العاطفية معه او انها لا تزال متيمة به. واراد ان يعرف ان كان هناك اي أمل في ان يسمح لنفسه بحبها. اراد ان يقول لها انها تعني الشيء الكثير عنده خلافاً لسائر النساء اللواتي عرفهن وانه لا يرتاح ابداً لجنيفر نيل... وحالما وصل اليها وثب قلبها وقالت تتصنع التعجب.

«آيفور؟».

وارغمت على التوقف لأنه اعترض سبيلها. ففكرت بأنه ربما يريد ان يعرض عليها صداقته ولكنها لم تسمع منه غير كلمة.

«باتي!!».

اجابته بغمغمة «انا ذاهبة لرؤية جواني».

«اهي بانتظارك؟».

«كلا...».

مد يده الى جيبه واخرج مفاتيح شقته وقال «تفضلي ادخلي لكي نتناول شراباً... وعندي شيء اود ان احدثك

به».

نظرت اليه بارتياب وقالت «ما هو؟».

«ساخبرك به فيما بعد».

قال هذا بحزم وهو يتسلق الدرجات المؤدية الى شقته واضعاً مفتاح الباب في مكانه. فرأت ان لا خيار لها سوى ان تتبعه الى داخل القاعة ذات السقف العالي وقالت له «اهو شيء مهم؟».

نظر اليها وفي عينيه ومضة حزن. فقد كان ترددها في ان تكون وحدها معه واضحاً وفي الوقت نفسه مؤلماً له فقال «يبدو انك لا تثقين بي... اليس كذلك يا فتاتي؟ انا لا اقصد اجتذابك الى وكر الخطيئة لإغوائك».

احمر وجهها الصغير وجاء ردها تلقائياً وسريعاً وحاسماً «انت لست بحاجة الي طالما هناك جنيفر نيل وكل اللواتي على شاكلتها في هذا العالم».

ضحك وقال «ان حسنة الاطلاع».

- ٢٠ -

فتح باب شقته واقتادها الى حجرة الجلوس الانيقة والمريحة فقالت «ان علاقاتك الغرامية تنشر بعناوين بارزة».

«يجب ان لا تصدقي كل ما تسمعينه عني يا باتي».

«لست مهتمة بما تفعله... ان مآثرك اصبحت مملة على اية حال... لقد سمعت روايات مماثلة عنك مع نساء اخريات منذ مجيئي الى هارتليك».

لاحظت وميضاً التمع في عينيه فادركت ان كلماتها قد اصابت الهدف بدقة ولكنه ابتسم ابتسامة باهتة ومضى ليصب الشراب وقال بكرم «اجلسي...».

لم ترد باتي ان تجلس وقد غالبها الفزع ولم ترد ان تلبي

www.elromancia.com

دعوته لتناول الشراب. وفكرت ان تندفع الى الخارج هاربة الى شقتها حيث الامان بين صديقاتها. ولكن تساءلت مع نفسها لماذا تفترض ان ما قالته وصارحته به يمكن ان يسبب له الأذى؟ فيحاول اغواءها انتقاماً لكرامته؟... لا... انها لم تقل غير ما سمعته عنه. ولعله سيحمله محمل الجد فيشكرها على تنبيهه الى ما يشاع عنه. فجلست على الاريكة جلسة معتدلة لتؤكد انها لا تريد البقاء ثم قالت «ماذا اردت ان تقول لي يا آيفور؟».

«ليس الخبر ساراً... ان صديقك ويليس فارق الحياة هذا المساء بالسكتة القلبية... كان ذلك مفاجئاً... لم يتوقعه احد. فمنذ لحظات تركت الجناح الجراحي».

ارتعدت للخبر وصرخت «آه... لا...».

وامتلأت عيناها بالدموع في الحال... وكان الخبر بمثابة الضربة الاخيرة التي اختتمت بها يوماً تعيساً. فقال لها «اوه... انا آسف».

واراد ان يضمها بين ذراعيه ويكفكف الدموع التي لمعت في عينيها منذرة بالانهمار. ولكنها هزت رأسها وحاولت ان تبتسم له خجله من رد فعلها العاطفي السريع وقالت.

«يا لحماقتي... كنت اعرف ذلك سيحصل... فلم تكن له رغبة في الاستمرار في الحياة... لقد افتقد زوجته بعمق ولم يستطع ان يواجه الحياة بدونها... كان يكثر الكلام عنها... قال ذات مرة...».

توقفت عن الكلام فجأة وعضت على شفتيها ثم

استأنفت قائلة «قال ان شعرها كان بلون شعري عندما تزوجا... واعتقد ان هذا هو السبب في ولعه بي الى هذا الحد...».

فقال آيفور وهو يحاول التخفيف عنها بلمسة رقيقة «كان الشعر الاحمر نقطة ضعف عندي انا ايضاً» ووضع يده على خصلات شعرها اللامع زاجاً فيها اصابعه فبدت لديه ناعمة وحريرية الملمس. ثم قال بصوت رقيق «لقد ولعت بك انا ايضاً».

اجابت «انت وولعك...».

ارادت باتي ان تتذكر وتذكره في الوقت نفسه كيف ان المسألة برمتها خالية من المعنى بالنسبة له. ولكن قلبها كان يخفق مثل طير مذبوح بين ضلوعها. وانحنى عليها وقبلها فظنت باتي ان ذلك مجرد لعبة من قبله ودغدغة عديمة المعنى ومثيرة للمشاعر وضرورية له كالماء والهواء. ولكنها بالنسبة لها فقد كان الضغط الدافىء الرقيق والملحاح من قبل شفتيه على شفتيها هو النعيم بعينه... لم تكن راغبة في الاستجابة ولكنها ببساطة لم تستطع ان تتمالك نفسها. فقال هامساً بلجاجة.

«باتي!».

«نعم...».

«انت بالنسبة لي مثل كارياد...».

«وماذا تعني كارياد؟».

«انها كلمة ويلزية... انها تعنى اعز مخلوق... تعني حبيبة القلب... وهي تعني كل ما يتمنى القلب البشري

من آمال واحلام».

واتكأ على مرفقه مبتسماً لعينيها الخضراوين المتلائمتين وقال «لم اقل هذه الكلمة لامرأة مذ كنت في الثالثة عشرة من عمري. قلتها آنذاك لفتاة ذات شعر احمر اسمها كوينث كانت احلى بنات صفها... وكانت اول فتاة تنتزع حبها مني».

اجابته «وليس من المحتمل ان اكون انا الاخيرة».

ارادت ان تكون رقيقة وان تتجنب توبيخه قدر المستطاع في حين لم لديها من الحق في ذلك سوى الشيء القليل. لكن الكلمات خرجت حادة ومتهمة محطمة للألفة والتفاهم الرقيق.

وبينما كانت تتلفت في الغرفة رأت منديلاً مربعاً من الشيفون على احد الكراسي اسود اللون وموشح بالقصب وانت قد رأته حول رقبة جنيفر نيل عندما كانت واقفة مع آيفور في حانة الصياد... انه شيء جاء في اوانه ليذكرها ان هذا الرجل غير جدير بالثقة ولا يمكن اصلاحه. ففي الليلة الماضية كانت الممرضة المشرفة هنا... واضطجعت هنا وشربت الخمرة هنا... وهنا... وهنا...

لم تستطع ان تتمالك نفسها من كثرة الخواطر وزحمة التساؤلات ولم تستطع ان تخمن من ستكون العشيقة المرشحة لهذا الرجل الشرير.. لقد اسرها من دون كلمة حب. سماها كارياد موضحاً معنى هذه الكلمة بأرق واعذب الكلمات ولكنه لم يسمعها كلمة حب واحدة.

فأي مستقبل محزن لو تتطلعت امرأة الى هذا الفاسق وهي تؤمل منه حياة زوجية سعيدة؟.. لا سوى الاحزان والمهانة والشوق البائس الذي يستحيل اشباعه.

احس آيفو بشيء من الانقباض، وظن انه فهم الموقف، وحسب ان باتي مثل كل النساء ارادت ان تمتلكه جسداً وروحاً، فغارت من النساء اللواتي عرفهن واحبهن بتهور. ولاول مرة احس بأنه يريد من باتي ان تكون له كلياً والى الابد. ولم يرد ان يفكر بالرجال الذين يحتمل ان تكون قد احبتهم او بالرجل الذي كانت يوماً مخطوبة له... فإن الماضي قد بات وراءها ويمكن نسيانه. اما المستقبل فلهما معاً. فقال بهدوء.

«اني اقدر موقفك... نعم... لقد كان في حياتي كثير من النساء... فلا معنى لنكران ما يعرفه العالم بأسره عني... اليس كذلك؟ لكن مختلفة عنهن جميعاً يا باتي».

ومال اليها ليقبلها فدفعته عنها قائلة «كل امرأة مختلفة عن الاخريات... فذلك هو السحر بعينه... اليس كذلك؟ ستكون ضجراً جداً اذا استقرت حياتك على امرأة واحدة».

«لن يكون الامر كذلك اذا كنت انت تلك الامرأة».

قال هذا وراح يتمعن بمنعطفات صدرها الرائع ببطء وعيناه الودودتان تومضان بالمحبة والحنان ثم استطرد.

«اتعتقدين اني لا اعني ما اقول؟ حاولي ان تصدقيني يا باتي».

ارتعشت امام نظرة عينيه ومن جراء اللمسة العابرة من انامله لصدرها. تلك اللمسة المثيرة وتمنت لو استطاعت ان تصدقه. ولكنها لم تجد مناصاً من التفكير بتلك الطريقة المهملة المتسمة باللامبالاة التي غادر بها حانة الصياد وذراعه تطوق جنيفر وبالطريقة المستهترة التي اقتادها بها الى شقته. ان زعمه بأنه يريدها هي وحدها لم يكن مقنعاً. انه يقول هذا ليقنعها لكي ترتمي بين احضانه ثم ينبذها. لقد ادركت انها ستخسر نفسها اذا سمحت له بضمها الى صدره. فقد كان السحر يحيك فتنته الماكرة حول مشاعرها... ومع كل هذه الخواطر قبلته بسرعة وبعنف ثم استوت جالسة على الاريكة وقالت «لن يحدث مثل هذا مرة اخرى يا آيفور».

حاول اقناعها بالبقاء معه قائلاً بنبرة رقيقة ومقنعة «يا كارياد... لا تذهبي من هنا... هذه ليلتنا».

قاومت باتي الاحساس الشعري في هذه الكلمات والنبرة النادرة والتأوه الرقيق للتحبب وانزلقت من الاريكة الى الارض ثم نهضت وسارت نحو المطبخ قائلة.

«ساصنع القهوة».

قالت هذا، وكأن الامر طبيعي ان تأخذ حريتها في شقته وكأنها في بيتها وهي مطمئنة البال ومرتاحة النفس... كان الامر كذلك فعلاً. فقد شعرت انهما قد عرفا بعضهما الى الابد وانهما يخص احدهما الآخر. ولكن الذي ما زال يؤلمها انه قد لا يشعر ابداً بنفس شعورها نحوه.

لم تجرؤ على خداع نفسها فتحلم بأن هذه اللحظات

الثمينة التي توحي بجو من الرضا والطمأنينة لا يمكن ان تكون لها نهاية. فوجدها في شقته ليس اكثر من حاجة مؤقتة في حياته مثل كل النساء.

لحقها آيفور الى المطبخ وهو يمرر اصابعه في شعرها الاشعث ورائحته العطرة تملأ الغرفة، وباتي امام المغسلة تغسل الاقداح، وقد بدت جميلة وفاتنة في بزتها الرسمية.

وقف وراءها واحاطها بذراعيه وقبل ذلك الشعر الجميل المتألق فتنتة وسحراً. وكان لديه الشيء الكثير مما يريد ان يقوله لها. ولكنه كان يخشى ان لا تصدقه... ان الكلمات سهلة للغاية ولكنه يجب ان يبرهن على انه يحبها حقاً من دون كلمات معسولة. قد يستغرق ذلك وقتاً وجهداً، فعليه ان يحيا بطريقة تجعلها تنسى او تغفر له سمعته التي لا تشجعها على ان تأخذ كلماته مأخذ الجد. ثم نظرت اليه وهي تفكر بهذه الطريقة وابتسمت له متمنية من كل قلبها لو استطاعت ان تصدقه وتصدق دفء عينيه وحنانهما. ولكن هذا الدفء وهذا الحنان ليس هما اكثر من مزاج هذه اللحظة التي ستنساها غداً... فغداً سيكون مع امرأة اخرى ينظر اليها بنفس النظرات وكأنه يحبها وحدها. لقد كانت لآيفور موهبة تجعل المرأة تشعر نبأنها الخلوقة الوحيدة في العالم التي يكن لها الحب. وهذا هو الخطر البارز في فتنته وسحره، والمؤسف في الامر هو ان عدداً كبيراً من النساء انخدعن به وبأسلوبه الموحي بالصدق.

ان باتي هي اكبر عمراً من زميلاتها واكثر حكمة. فلم تجرؤ على ان تحلم بأنه كان صادقاً في حبها عندما قبلها

www.elromancia.com

ولفظ اسمها برقة وحنان... ان الاصدقاء يمكن ان يتحولوا الى محبين. اما المحبون فلا يمكن ان يتحولوا الى اصدقاء.

قال لها بلطف ممزوج بالتوسل، لأن المسألة تهمه كثيراً «هل بمقدورك الذهاب معي؟ لا بد انك تستحقين عطلة لبضعة ايام. وبامكاني ان ارتب اجازة لي... والله يعلم بأني استحقها» وضمها بين ذراعيه وابتسم لها مستطرداً «نحن بحاجة الى التخلص من القيل والقال. ولكي يكتشف كل منا المزيد عن رفيقه يا باتي. ان التقبيل في الدواليب وانتزاع ساعات عرضية من اجل الغزل ليس مرضياً... اليس كذلك؟... كان ذلك يفي بالغرض فيما مضى. ولكنك تستحقين اكثر من هذا يا عزيزتي. ان اهلي يملكون بيتاً ريفياً لقضاء العطل على ساحل نورث فولك. ان ذلك سيكون مثالياً لتحقيق غرضنا».

- ٢١ -

كان كلامه مقنعاً ومغرياً للذهاب معه ولكنها احست بأن الذهاب معه سيكون مشؤوماً. سيكون هناك الشيء الكثير للمتعة واشياء اخرى للألم والتفجع. وخصوصاً اذا حلت محلها امرأة اخرى في حياته. فهي واثقة ان ذلك سيحدث. فالنحور لا تتخلص من رقطها. والفاسقون لا ينصلحون... ففي هذه اللحظة يريدها. وهذا ما يجعلها تعيش في عالم مدهش لكنه لن يدوم، لأن آيفور لم يكن نموذجاً للرجال الذين يحبون بجد، ويتخلون عن حريتهم ويقنعون بامرأة واحدة... فإنها حماقة ما بعدها حماقة لو سمحت لنفسها ان تصدق بأنها المرأة الوحيدة من بين كل اولئك اللواتي عرفهن التي غيرت قلبه. فمن اجل قلبها

www.elromancia.com

وكبريائها وراحة بالها يجب ان تقطع صلة الصداقة بينهما. هنا وفي هذه اللحظة وقبل ان تغدو متيمة به اكثر فاكثر.

كانت لآيفور آمال لم تخطر على بالها. فيمكنه ان يصبح عزيزاً اليها اكثر مما تتوقع وقد يسعدها. فقالت بسرعة مع ابتسامة غامضة.

«كما قلت... لن يكون هناك المزيد من التقبيل في الدواليب او الاسرة يا آيفور... فما حدث الليلة كان يجب ان لا يحدث».

كان قلبها يحتج على هذا القرار بعنف فتابعت تحت ضغط عقلها الحصيف بدون مبالاة «لكن ذلك يجب ان لا يعني شيئاً. وكما تعلم يجب ان لا يؤدي الى علاقة كاملة».

قطب آيفور جبينه وكأنه لم يفهم ولم يرد ان يصدق ما عنته فقال بحذر وقلبه ينبض بالخوف من انها ارادت غلق الباب في وجهه «انت الفتاة الوحيدة من بين اللواتي عرفتهن تفكر بهذ الطريقة».

آه يا آيفور... ينبغي ان لا تتوهم بأنه لا مناص لأي فتاة ان تصبح متيمة بك».

وتابعت بنبرة ساخرة ومعنفة «هل تعتقد ان امرأة ما، لا تستطيع ان تستمتع لمجرد المتعة مع رجل جذاب؟... لعلك تتصور هذه وجهة نظر قديمة!!».

ارتسمت على وجهه امارات الكآبة فقال «اذن انا انسان من الطراز القديم على ما يبدو».

«انا آسفة ان كنت قد حطمت وهماً من اوهامك.

ولكنك يجب ان تفهم اني لست متيمة بك على الاطلاق».

قالت هذه الجملة بسرور وهي متأكدة من كذبتها ويائسة من مقدرتها على تصديق هذه الكذبة وتابعت «يبدو واضحاً انك لم تسمع بأني سأتزوج من ستيف قريباً».

احس آيفور وكأن لكمة عنيفة قد اصابته وتساءل ان كان بمقدوره ان يتغلب على الصدمتين المزدوجتين، هيامه بها وفقدانه لها.

من بين كل اولئك النساء اللاتي عرفهن في حياته لم تسبب له واحدة اي حزن حقيقي ولو للحظة او تسبب له اية لوعة على الاطلاق. اما الآن وقد احب بعنف وبشكل نهائي لا تراجع عنه فقد ادرك ان فقدانه لباتي سيعني الحسرة على طول العمر. فقال ببطء.

«انت سعيدة بشأن ستيف على ما يبدو».

كان قد احس ان كل الحقيقة التي يسعى اليها تكمن في الطريقة التي قبلته بها وتشبثت به.

قالت والقلق باد على وجنتيها «بالطبع... انا لا استطيع ان اتذكره يوماً... ولم اكن راغبة بالزواج من ستيف».

لم تكن بحاجة لكي تخبره بأنها قد تخلصت مع الزمن من وطأة عطائها السخي لقلبها الغض... ولكن يبدو انها لا تريد ان تعترف بأن آيفور يحبها. واصبح مفتوناً بها. ولم يكن لدى آيفور اي دافع ليؤكد لها حبه ما دامت هي تقف مثل هذه الموقف العنيد منه. فإن شعورها نحوه ليس سوى نوع من الافتتان الذي عرفه لدى النساء الاخريات المعجبات به، وتذكر المثل القائل ان من يحفر حفرة لأخيه

يسقط فيها. وخطر بباله خاطر مر. فهو ربما يتلقى القصاص الذي يستحقه على ما اقترفه من ذنوب زمناً طويلاً. فقد كان يوقع بالفتيات ولا يتألم وهن يندبن حظهن. وها هو الآن يسقط في حب باتي ولا يجدها الا ساخرة منه. بات لا يعرف ماذا يفعل. وصريعاته لا يمكن ان يعرفن مشاعره في هذه اللحظة. فلم يكن قد ادرك قساوة استغلالهن قبل الآن، انه لشيء يبعث السخرية ويثير الضحك. ولكنه ربما كان عقاباً سماوياً. ففي اللحظة التي عثر على التي يريدها زوجة له اكتشف انها لا تريده. فقال بحرارة وهو يعني ما يقول «اذن انا سعيد من اجلك يا باتي».

ان سعادتها كانت اهم من كل شيء بنظره. وينبغي ان لا يتصور ان هذه السعادة متوقفة عليه ولم يمض على تعرفه عليها وتعرفها عليه غير ايام قليلة. انه وهم كبير ومروع ذلك الذي كان يعتقده بأنه الرجل الوحيد الذي يمكنه اسعادها الى الابد.

ابتسمت باتي وقالت «ذلك لطف منك».

وفكرت باتي انه يبدو لطيفاً اكثر مما تتصور واحست بالمودة والمحبة والصدق في نبرته مما زاد من صعوبة التخاصم معه. وقاومت الرغبة الشديدة للارتماء بين ذراعيه. والاعتراف بكذبتها.

رافقها الى باب دار الممرضات مؤكداً لها انه ذاهب لزيارة مريض في باترسن عندما احتجت على مرافقته لها موضحة ان ذلك ليس ضرورياً. واخذها بين ذراعيه وقبلها

للمرة الاخيرة برقة متناهية، وقال بهدوء ضاغطاً برأسه على وجنتيها.

«لا يهم شعورك نحوي... وكل ما اريد ان تعرفيه هو انك كنت شيئاً خاصاً عندي... شيئاً عزيزاً».

قال هذا وانصرف وتركها وحدها تتأمل... كان اليأس الذي اصابها من صنع يديها... كان بامكانها ان تعرف قدراً كبيراً من السعادة معه حتى يحين الوقت الذي يملها فيه. ولكن لا... فإن ذلك يعني الألم المبرح في آخر المطاف. فتجربتها مع ستيف يجب ان لا تتكرر مع آيفور... ففي المرة الاولى استطاعت ان تتغلب على الصدمة وتنسى الألم، اما فقدانها لآيفور بعد ان يصبح حاجة ماسة في حياتها فإنه شيء لا طاقة لأي قلب ان يتحمله... وازاء هذه التأملات ادركت انها قد فعلت الشيء الصحيح والشيء الوحيد الذي كان يجب ان تفعله. ولكن شيئاً ما في داخلها تحول الى حلم جديد وجميل. شيئاً كان حياً في ضميرها كان واقعاً في حياتها قبل لحظات ولكنه انتهى الآن. فراحت تراقب ذلك القوام الطويل وهو يمشي بخطى واسعة في الظلام وهو يتحول من واقع الى ذكرى.

كان هناك مريض جديد في السرير الذي كان يرقد فيه السيد ويليس. وعندما دخلت باتي الردهة في الصباح لم تستطع ان تواسي جروحها. لقد كان ويليس هو الذي جمع بينها وبين آيفور بطريقة او بأخرى فلن تستطيع نسيانه البتة طالما لا تستطيع نسيان آيفور.

كان المريض الجديد راكب الدراجة البخارية التي تحدث عنه آيفور وقد نقل جناح كيوري من وحدة العناية المركزة بعد ذلك البلاء الذي الم به والذي اودى بحياة خليلته. وقد اصبح جسده يتماثل للشفاء بشكل ملفت للنظر، غير ان شعوراً بالأثم كان يثقل عقله وروحه بشدة موقعاً الكآبة في نفسه... فهو يتذكر ويروي كل شيء بالتفصيل. وقد تحدث بذلك الى باتي. وتحدث اليها عن مورين ذات الخمسة عشر ربيعاً. وكانت باتي مستمعة جيدة تنظر بعين العطف مبدية فهماً وتسامحاً كبيرين مما اكسبها رضاه وجعلته يوضح لها كل شيء عن الحادث وهو يتكلم بطريقته الخاصة... كانت تبذل كل ما في وسعها لمواساته والتخفيف عنه. وهي تعرف انه لم يرد ان يقال له انه في الثامنة عشر. فسرعان ما سيتغلب على شعوره نحو الفتاة الميتة وينساها ويعثر على فتاة اخرى. وعندئذ سيلتئم الجرح ويزول الشعور بالذنب. فهو في حالته الحاضرة فقط يريد ان يشعر بأنه يحبها الى الابد كأي مراهق يعيش في احلامه. وما شعوره هذا سوى نصب تذكاري للفتاة التي قضت نحبها، لأنه انعطف بطيش حول زاوية بسرعة جنونية في ليلة ممطرة.

كان موظفو جناح كيوري منشغلين اكثر من المعتاد في ذلك الاسبوع وكان الوقت الذي تصرفه باتي مع الصبي الجريح في السرير رقم (٣) يعني ان الممرضة الاخرى تعمل اكثر من نصيبها في الردهة. وكانت مادلين لونك اكثر طيبة من ان تتذمر.

لاحظت الممرضة المسؤولة بيرسيفال ان باتي التي سمحت له بأن يأخذ قسطاً كبيراً من وقتها للاصغاء اليه وهو يسكب احزانه وندامته كانت بتهجه كثيراً وتقوي معنوياته. فكان لها حديث قصير وهادىء مع جنيفر نيل مما جعلها تحجم عن تعنيف باتي لإضاعتها الوقت بالحديث مع مريض وبقائها الى جانب سريره واهمالها ولواجباتها في الردهة... ولقد لاحظت باتي ان الممرضة المشرفة قد توقفت عن مضايقتها حتى انها تبتسم لها من حين الى آخر. فتساءلت بقلب حزين. هل كان اهتمام آيفور المتجدد هو المسؤول عن الموقف اللين الذي تقفه منها الآن؟.

كانت قد استطاعت ان تفهم شعور الممرضة الاقدم نحوها عندما كان آيفور يخفي اهتمامه بها. واما الآن فأخذت تحس بالغثيان والفزع كلما شاهدتهما معاً في الجناح او خارجه يتحدثان او يضحكان بتفاهم وانسجام. ولم يكن ذلك مهماً. لأن علاقتهما اصبحت مسألة معروفة بين زميلاتها الممرضات.

وحاولت باتي جاهدة ان لا تفكر بآيفور وقد سرها وجود مايكل كين في الردهة كبديل يحتل موضع افكارها ومشاعرها. فكانت تحس بالحاجة الى مساعدته ومواساته تماماً بقدر حاجته الى اهتمامها به ورعايتها له. وهذا مما ساعدها على التغلب على مشاكلها الخاصة.

ان تكريس نفسها له بقدر الامكان يعني انها لم تجد متسعاً من الوقت خلال النهار لشوق لا طائل من ورائه مهما

كانت لياليها متسمة بالارق ومفعمة بالقلق. وكان من المحال ان لا تلتقي بآيفور في الردهة او في ممرات المستشفى. ولكن بمقدورها ان تلجأ الى المجاملة والأداب العامة التي تمثل هوة واسعة بين الطبيب المسجل وبين ممرضة في السنة الاولى. وقد كان غير مبال وفاتراً ورسمياً الى حد لا يمكن معه ان يقاسمها تلك اللحظات الرائعة للألفة والمودة التي لا يمكن نسيانها. ورأت ان بمقدوره ان ينبذها كما نبذ كل النساء الاخريات اللواتي عرفهن. فمن الحماقة البالغة ان تعتقد انها كانت فعلاً عزيزة في نظر شخص مثل آيفور الذي لا يستقر على طعام واحد. فاذا كانت مختلفة عن الاخريات اللواتي غازلهن كما قال لها فإن ذلك لا يعني سوى انها انهت علاقتها به ولم تتشبث بتلك العلاقة بعد ان فقد الاهتمام بها، فرأت انه ليس من الممكن ان تعني الشيء الكثير بالنسبة له. والا ما كان يسلم بادعائها انها مخطوبة الى ستيف دون احتجاج... وربما قد احتقرها لتهافتها عليه بينما زعمت انها مخطوبة لرجل آخر وتخطط للزواج منه. فتصورت انها ستحتقر نفسها لو اكتشفت انه يشعر بمثل هذا الشعور تجاهها.

- ٢٢ -

لقد آلمها احتمال عدم احترامه لها لتظاهرها بالكبرياء. ولكنها ستجد العزاء وراحة البال على المدى البعيد لأنها استطاعت ان ترغم نفسها على انهاء صداقة ما كان يمكن ان تودي الى شيء سوى الاحزان وخيبة الامل المريرة... لقد انجذب آيفور اليها ولكنه لم يشعر قط بعاطفة حب نحوها. وكانت هذه الخاطرة مجرد حلم آخر تلاشى.

كان ستيف يحتكر ساعات فراغها وكانت باتي قد اصبحت تعيسة الى حد جعلها لا تبالي بتصرفه. فهي تذعن لرغباته ومطالبة كما كانت تفعل في الماضي، ولكنها استطاعت الى حد بعيد ان تتجنب مغازلاته التي لم تكن راغبة بها على الاطلاق. وقررت ان تخبر ستيف باقرب

www.elromancia.com

فرصة بأنها لم تعد تحبه وانها لن تتزوجه بأي حال من الاحوال. غير انه كان يطلبها تلفونياً ويلتقي معها وبصديقاتها، مما لم يدع شكاً عند احد بأنهما مخطوبان فعلاً. وكانت راضية عن ذلك لأنها بحاجة الى ما يدعم تلك الكذبة الصغيرة خلال الايام العصيبة، عندما كانت ضعيفة ومشلولة الارادة وهي تلهث وراء آيفور وتركض بأقصى سرعتها.

وادركت انه من الخطأ ان تستخدم ستيف من اجل اغراضها الخاصة... وفي هذه الاثناء وصلتها رسائل من اسرتها تفيد ان ستيف وفاليري قد افترقا وان ابنة عمها كانت تعيسة على نحو ميئوس منه. وكتبت لها امها تقول ان ستيف يعمل في لندن وتساءلت ان كانت قد رأته، او عرفت له اثراً. وكانت الرسالة قد كتبت باسلوب دقيق ولبق جعلها تدرك بفزع وغضب ان فاليري قد اخبرت العالم كله بأسباب تركها ستيف بعد اشهر قليلة من زواجهما. لم يكن ذلك ذنب فاليري فقد كان ستيف واثقاً اكثر مما ينبغي بأن باتي لا تزال تحبه وانها ستغفر له وتنسى غدره بمجرد ان يلتمس منها ذلك.

لم تستطع باتي ان تتمالك نفسها عن التفكير بأنه قد خسر كل حق في مطالبتها بالحب والوفاء بعد ان فسخ خطوبتهما وتزوج من فاليري دون ان يقيم وزناً للسنوات التي اقتسماها كحبيبين.

انها لتشك ان كان بمقدورها ان ترحب به من جديد حتى لو كانت غير متيمة بآيفور. لقد تمنت من كل قلبها ان

يعود ستيف الى زوجته فيما اذا افلحت في اقناعه بأن لا مستقبل له معها. كان عليه ان يفهم من فتورها وممانعتها وسلوكها معه بأنها غير راغبة في استئناف علاقتهما. الا انه لا يزال واثقاً من انها ستوافق في آخر الامر على ترك التمريض والاقامة معه حتى يتسنى لهما الزواج... وكانت باتي واثقة من ان ذلك لن يحدث البتة، على الرغم من انها تساءلت مرة ان كان تفانيها الطويل والثابت فيما مضى من اجله يخوله اضرام نار الحب العنيف في قلبها من جديد.

لقد عرفت ستيف جيداً ومنذ زمن طويل. غير انها لا تعرف عن آيفور الا الشيء اليسير. ولكن القلب له اعذاره في الحب وقد شعرت في اعماق كيانها بأن آيفور كان الرجل الوحيد الذي تحبه وتريده لما تبقى من حياتها ولا يمكنها ان تستقر ثانية مع ستيف بعد كل ما حدث.

في احدى الامسيات اخذها ستيف الى حفلة رقص لمنتسبي المستشفى. وكان الاقبال على مثل هذه الحفلات كبيراً بصورة عامة. كثيراً ما كانت تؤدي الى مغازلات واحياناً الى علاقات بشكل دائم بين اعضاء هيئة المستشفى. وان ستيف وباتي برفقة مجموعة مرحة وصاخبة بعض الشيء من بينهم جون وجواني... بينما كانت ديزي وخطيبها كافن ضمن مجموعة اخرى... وقد رصت ثلاث موائد الى بعضها مكونة فريقاً كبيراً على حافة باحة الرقص.

ومن سؤال عرضي فيما يبدو علمت باتي من جواني ان

آيفور قد لا يحضر هذا المساء. لذا شعرت بأن عليها ان تسترخي. ولكن ما ان بدأت تمتع نفسها حتى بدأت حاستها السادسة تخبرها بنظراته المحدقة بها. وتساءلت مع نفسها ان كانت الملاءة البيضاء والشعر الاحمر الذي لا يخطئه احد هما اللذان لفتا نظره ليلمحها عبر باحة الرقص المزدحمة. لا شك انه برفقة جنيفر نيل... لقد كانت الممرضة المشرفة لا تزال تلفت انتباهه وقد كانا على علاقة طيبة وقد طال امدها اكثر مما كان متوقعاً... وكانت متألقة ومفعمة بالحيوية والنشاط وفاتنة بثوبها الرائع ذي اللون المنسجم مع شعرها الفاحم وبشرتها الناصعة. وكانت متلهفة بشوق لجلب انتباه اي احد الى حقيقة ان آيفور يرافقها. كانت واقفة الى جانبه وهي طويلة نسبياً وجذابة ومملوءة ثقة بنفسها.

ارتعد قلب باتي حين التقت عيونهما ولم تشعر الا والابتسامة الساخرة تفلت منها بلا مناسبة وهي ترى جنيفر نيل على ذراعه متشبثة وواثقة. ولاحظت ان آيفور صرف عنها نظره في عدم مبالاة. وتحدث الى المرأة الواقفة الى جانبه. واقتادها الى باحة الرقص.

كانت الباحة مزدحمة الا ان باتي استطاعت ان تلمح غريمتها بين الفينة والفينة وهي ترقص مع آيفور ولكن ذلك كان كافياً لكي يمزق قلبها اربا اربا. فقد كان ممسكاً بها بطريقة توحي بالالفة والانسجام. وقد التصق الرأسان الفاحمان معاً كعاشقين متيمين. وكان هناك دفء وعاطفة جياشة في العنين السوداوين اللتين لم تلتقيا بعيني باتي

على الرغم من انهما تقاربا عندما كانت باتي تراقص ستيف.

تعثرت باتي مرتين بقدم ستيف لأنها كانت تنضح بؤساً وانفعالاً. وفي المرة الاولى ابتسم لها ولم يقل شيئاً وفي المرة الثانية اقترح الكف عن الرقص والعودة الى مقعديهما وهو يداري نفاذ صبره فقالت بندم.

«انا آسفة... ينقصني التمرين».

«بل انت متعبة على ما اظن. كم اتمنى ان تتركي هذا العمل اللعين يا بيشنس».

واقتادها من خلال الزحام الى مائدتهما واضطربت باتي وانزعجت ولكنها لم تنبس بكلمة واحدة ولم يكن الوقت والمكان مناسبين لما لم تكن لها رغبة في الدخول معه في نقاش اصبح مضجراً لها.

لقد كان واضحاً انهما لن يتفقا ابداً على شيء مهم. ففي نظر ستيف كان التمريض مجرد عمل يستطيع اي انسان ان يقوم به دون دراسة او تدريب. واما باتي فقد اعتبرته امراً جوهرياً وعلماً وخبرة وهو متسم لسعادتها واسلوب حياتها بكل ما يتطلبه من طاقة فكرية وعواطف انسانية. وكانت مسرورة لأن مستشفى هارتليك الشهير والمقدس قد ادرك انها تمتلك السجايا الضرورية لتصبح ممرضة جيدة وحريصة على مهنة التمريض.

كانت تتساءل احياناً الى اي مدى سيكون بمقدورها الاستمرار في شعورها بالود نحوه. فهي تحس دوماً بنوع من الولع المتخلف نحوه بسبب الايام الذهبية التي صرفاها

www.elromancia.com

معاً ايام الشباب والحب. ولكن ذلك كان محض عاطفة وانه لن يحول دون ادراكه انها لم تعد تحبه كثيراً هذه الايام.

وقد ادركت بشيء من الحزن بأنها ستستمر على مجاملة ذكراه بقية حياتها لو لم يأت ملاحقاً لها ومانحاً الفرصة والسبب في آن واحد لمقارنته مع آيفور.

ومما افزعها ان آيفور وجنيفر نيل انضما الى مجموعتهما تلبية لدعوة كافن فليتشر. ولم يكن من طبيعة ستيف اظهار الغيرة حتى لو شعر بها ولكن باتي لم ترد ان تخاطر باظهار التأثير الذي يمكن ان يتركه آيفور فيها حتى لو تجاهلها كلياً. وقد بدا لاول مرة انه سيفعل ذلك.

تبادلوا التحية موجزة ومختصرة. وعندما جلس هو وجنيفر نيل على كرسيين شاغرين في نهاية الموائد المتراصة كانت الممرضة المشرفة مستعدة لتكون ودودة فابتسمت لباتي وابدت اعجابها بثوبها وسألتها ان كانت مستمتعة بالامسية. ونظرت الى ستيف باهتمام واضح لم يترك لباتي الخيار سوى ان تعرفه بها كما تقتضي آداب المجتمع.

لاحظت باتي ان آيفور كان يراقبها اكثر مما كان يراقب الراقصين الذين يدورون كالدوامة في باحة الرقص على انغام الموسيقى. ولم تشأ ان تلتفت اليه كي لا تتلاقى اعينهما بعضها ببعض. ولكنها احست بذلك الهياج اللاسع

الغريب يسري في عروقها. وفجأة، ومن غير مقدمة، وضع يده على كتفها في لمسة رقيقة دافئة ارتعشت لها وقال.

«باتي...».

نظرت اليه بابتسامة متهيبة بعض الشيء. واخترق الدفء المفاجيء في صوته كل خطوطها الدفاعية غير المحصنة وهو يتابع كلامه «لم اضحك بين ذراعي احد منذ امد طويل... فهل يمكنني ان احظى بـ...».

كان هناك اثر للأذى المتراقص في العينين السوداوين وهو يتمتم بتلك الكلمات المألوفة مع قدر من المعنى في تشدقه المستساغ... وترددت باتي وفي دمها وقلبها شوق شديد للاستجابة اليه... واومأت برأسها ووقفت على قدميها ودخلت بين ذراعيه الممدودتين وهي عالمة بالذي يصبو اليه.. لقد ذلك جنوناً... وامسك آيفور بها تاركاً بينهما مسافة شاعراً بأن جسده سيكشف الرغبة التي كانت تتآكله. لقد افتقدها بفظاعة وتاق اليها باستمرار ووجد صعوبة بالغة في التركيز على العمل الذي الجأه مرات كثيرة الى جناح كيوري.

كانت موضع فتنة له لم يعرف لها مثيلاً من قبل. كانت بهجته المفقودة وحبه الضائع. وليس بمقدوره التقرب منها لعلمه انها مخطوبة لرجل آخر.

كان آيفور قبل تعرفه على باتي رجلاً سادراً ولكنه لم يجد على ما يبدو عزاء او مواساة بين احضان النساء الاخريات. وقد حاولت جنيفر نيل جاهدة ان تحظى باعجابه وقد وجد صعوبة كبيرة في معاملتها باهمال وازدراء

ومع ذلك ما زالت متشبثة به. فرأى ان يداري مشاعرها مجاملة. لذا كان لطيفاً معها كلما التقيا او دعاها الى تناول الشراب. فهي تذكره بباتي قبل كل شيء. وكان ذلك يسرها ويخفف من قلقه في الوقت نفسه ومن وطأة شعوره بالوحدة. ولذلك لم يبال بما تناقلته الاقاويل والشائعات عنه وعن الممرضة المشرفة لأنه كان يرى باتي من ورائها.

لقد كانت علاقاته الغرامية موضع حديث الناس منذ ايامه الدراسية في هارتليك. ويبدو انه غير مهتم فيما اذا اشاع ان العلاقة الجديدة مع جنيفر نيل هي اخطر من كل العلاقات السابقة.

وقرر ان يأخذ اجازته ويمضي بعيداً لبضعة ايام فقد اخفق العمل في ابهاج روحه كما اخفقت كافة انواع اللهو والعبث الاخرى. فكان مثيراً جداً ومؤلماً ان يرى باتي في كل منعطف تقريباً وهو قريب منها وبعيد في آن واحد. ومهما يكن من امر فكان ذلك يحدث يومياً تقريباً فقد بدا له انها في كل مكان، في الردهة في الممرات، في الحديقة، في حانة الصياد، في الشارع برفقة الاصدقاء. وكان يلمح ذلك الشعر المتألق الملفت للنظر والوجه الجميل والقوام الرشيق في كل وقت على الرغم من ان ما يلمحه لم يكن دائماً باتي. وتساءل آيفور ان كانت كل امرأة في العالم تبدو له وكأنها باتي.

تصور ان افكارها واحلامها وآمالها كلها تحوم بسعادة حول الرجل الذي تنوي الزواج منه. لذا لم يكن مستغرباً منها اذا ما اسرعت مبتعدة عنه لدى اقترابه منها او اذا ما

تظاهرت بأنها مشغولة اكثر مما ينبغي بحيث لا تستطيع ان تنبهه الى وجودها او تنتبه الى وجوده. واحياناً تتهرب منه بأسرع ما يمكن عندما يقتضي الامر ان تتحدث اليه. لقد ايقن انها لا تريد ان يذكرها بالساعة التي قضتها في شقته وهي تنضح بالمحبة والحنان... كان ذلك مفهوماً لديه بالنظر الى خطوبتها من رجل آخر. تلك الخطوبة التي كان كل شخص في المستشفى يعرف بها الا هو.

والآن... وهو يمسك بها شعر ان شيئاً ما كان يقدح شرراً بينهما. وان باتي رأت ان من الحكمة والامان ان تبعده عن حياتها بقدر الامكان. لقد حاولت جاهدة ان تتجنبه. فقلما ابتسمت له وكانت مصممة على تأكيد علاقتها مع ستيف رولنكز الاشقر ذي الكلام اللطيف.

ان طبيباً في مستشفى تعليمي كبير يحتك بحكم عمله بعدد كبير ونماذج مختلفة من الناس ويكتسب بشكل معقول قدرة على الحكم على سلوك الناس واخلاقهم وكان خطيب باتي نموذجاً يمكن التكهن بشخصيته الى حد ما. وقد تعجب آيفور كيف ان شخصاً حاد الملاحظة وحساساً ومتبصراً مثل باتي يمكنه ان يبدي اهتماماً كبيراً بهذا الرجل. ولكن الا يمكن ان تكون غيرته الشديدة من الرجل هي التي حجبت عن بصيرته سجاياه الطيبة؟ وابتسم لها آيفور وقال برقة.

«لكن انت رائعة بثوبك الابيض... تتدربين... اليس كذلك؟».

التقت عيناها بعينيه الضاحكتين ثم صرفت نظرها عنه

وقد تورد وجهها الصغير بعض الشيء... وكانت قد اكتشفت بأن اللهجة الويلزية هي الغالبة في حديثه عندما يشاكسها بتلك الطريقة المحببة والرقيقة. فقالت وقد تسارعت نبضات قلبها.

«لا افهم ما تعينه».

اجابها «استعداداً للزفاف يا امرأة».

«اوه...».

تمتمت بهذه اللفظة متلعثمة. اذ كانت هناك لمسة من السخرية في الكلمات الخفية وقد ارتعبت منها بعض الشيء. فهل من الممكن ان يكون قد اكتشف لعبتها وعرف انها ليست مخطوبة حقاً الى ستيف؟ اذن سيكتشف انها قد كذبت وربما سيعرف لماذا كذبت... وانكمش كبرياؤها من فكرة ان حبها له سيكون موضع حديث الناس في وضح النهار.

احكم آيفور ذراعيه حولها فجأة على نحو وقائي وقال «حسناً».

فقالت «نعم... انا آسفة يا آيفور اخشى ان لا اجيد الرقص».

ابتسم لعينيها وقال بكلام واضح لا لبس فيه «بقدر ما يتعلق الامر بي فانك تجيدين القيام بأي شيء يا باتي».

ثم سحبها اليه باحكام فخيل اليها انه يحس بخفقان قلبها الشديد ونبضاته المتسارعة وقد دنت منه الى هذا الحد. ثم ادركت ان مسكته على وشك ان تتحول الى عناق... فانهارت مشاعرها واخذت تلهث بصورة فجائية،

فلم تجرؤ على ان تميل برأسها نحوه او تحيط رقبته بذراعيها كما كانت تتمنى ان تفعل. فهي خائفة من ان يقبلها امام كل تلك العيون الراصدة وكانت واثقة من انها ستبادله القبل ان هو فعل.

قال وهو متوتر جداً «كان ذلك خطأ... ان احتاجك كثيراً».

كان رأسه ملتصقاً برأسها فاحست بحرارة انفاسه على خدها واجابته بنبرة صادقة ومحزنة «اعرف مشاعرك».

كان قلبها حزيناً لأن الحب يكاد يمزقه فتابعت قولها «لم اكن راغبة في الرقص معك يا آيفور».

«بل كنت راغبة يا حبيبة القلب يا كارياد».

خفق قلبها لكلمات التحبب التي لو تتوقع سماعها منه مرة ثانية، وشدت يدها على كتفه العريض واوشك جسدها ان يذوب بين يديه.

كانا وحيدين تماماً في باحة الرقص المزدحمة والمغمورة بالالحان الموسيقية. فهما غافلان عن كل شيء الا عن بعضهما. كانت شفتاه دافئتين ورقيقتين على رقبتها تتحسسان طريقاً الى فمها بقصد بطيء وماكر.

وفجأة ارتعدت وقد تراءى لها طيف جنيفر او فيليستي او اية واحدة من عشيقاته العديدات راقدة بين ذراعيه تسمع تلك الكلمات الرقيقة والساحرة. فهزت كتفه هزة خفيفة وغاضبة وازاحت رأسها بعيداً عن لمسة شفتيه وقالت بانفعال وهي تكاد تعني ما تقول.

«اتمنى ان تخرج من حياتي».

www.elromancia.com

كانت خائفة من حدة شعورها نحوه ومن ضآلتها ستفعل كل ما يطلب منها فتذهب معه الى اقاصي الارض اذا رغب في ذلك. ومما زاد من مخاوف قلبها الذي احبه انه قد لا يطلب منها سوى المتعة الجسدية، فقال لها مبتسماً وفي عينيه ومضات من الخبث.

«غداً... يا امرأة... بل الليلة احتاجك...».

نظرت اليه وقد ساورتها الشكوك... فهي لن تستطيع تصديق هاتين العينين السوداوين... وهي لم تفهم سبب هذا التغير المفاجيء لمزاجه... ولم تستطع التيقن من المدى الذي يعنيه بقوله. فالكلمات المنسجمة كانت ملائمة كلياً، فهو يعيش للحب في هذه اللحظة... فهذه الليلة هو يريدها والى الجحيم كل ما هو سواها. وغداً سيكون برفقة جنيفر نيل او اية امرأة اخرى مردداً نفس الكلمات المماثلة. فقالت بنبرة حازمة.

«الليلة؟؟... لا تنسى وجود ستيف».

كان عليها ان تكون حازمة على الرغم من انها كانت متلهفة للانزلاق الى عالم البهجة المدهش بين ذراعيه... ولكنه كرر قوله «احتاجك الليلة والى الابد».

لم ذلك صحيحاً بنظرها فيجب ان تحمي نفسها من ذلك الاغراء المتنامي باطراد. فرددت بحزن.

«وستيف؟».

«اجل.. بالطبع... هل تعلمين اني قد نسيت كل ما يتعلق به؟».

لم يكن قوله باعثاً على الاستغراب فهي مستجيبة لندائه

ومتيمة والنار تضطرم في دمها.

فقالت بهدوء «يبدو انك قد نسيت جنيفر ايضاً».

فسألها على الفور «وهل انت قلقة بشأن جنيفر؟ لا حاجة لذلك باتي... انها لا تعني لي شيئاً».

فقالت بلا مبالاة «ولا انا اعني لك شيئاً يا آيفور».

احس آيفور بكره غريزي لإقحامها نفسها من غير تمييز مع كل النساء اللواتي غازلهن دون ان تكون اية واحدة منهن تمثل شيئاً مهماً في حياته وقبل ان يتمكن من الاعتراض والاقرار بأنها هي وحدها تعني كل شيء بالنسبة له انتهت الموسيقى بقرع صاخب للطبول فانزلقت من بين ذراعيه والتفتت الى ستيف وجنيفر اللذين كانا على مقربة منها وضاعت اللحظة الحاسمة. وعندما عادا الى المائدة بذلت باتي جهداً كبيراً للجلوس بعيدة عن آيفور بقدر الامكان وظن انها سعت الى ذلك لتكبت عواطفها التي لا بد من كبتها امام الرجل الذي تنوي الزواج منه. وقد جلست فعلاً بالقرب من ستيف تبتسم له بحب ومودة واستمعت الى كلماته وضحكت لنكاته باعجاب كبير وكأنهما متزوجان فعلاً. واقنع آيفور نفسه بأنها متيمة بالرجل على نحو واضح. وعلى الرغم من الصعوبة التي وجدها للتسليم بذلك فإن نوعاً من التركيب الكيمياوي قد نشأ بينهما لا اكثر. وهذا التصور ايقظ فيه وعياً للحب لاول مرة في حياته ولكن قلبها كان محصناً لأنها كانت تخص رجلاً آخر... لقد كان متأسفاً لأنهما لم يستطيعا حتى ان يصبحا صديقين على الاقل. ولكن ذلك لم يكن وارداً.

فإنه سيظل دوماً بحاجة الى باتي ولن يقتنع ابداً بعلاقة افلاطونية.

اقرت باتي مع نفسها انها وجدته جذاباً الى حد سلب راحتها. لذا ينبغي ان يتبعها كما لو كانا مجرد صديقين. وانه سيذهب في اجازة في اليوم التالي. غير ان ذلك لا يغير من الامر شيئاً. فالغائب عن العين لا يكون بالضرورة غائباً عن القلب. والبعد لا يغير مشاعره نحوها. ولكنه سيجد متسعاً من الوقت ليهادن الادراك بأنها في الحقيقة لن تخصه.

كانت باتي مسرورة لأن آيفور لم يطلب منها ان تراقصه ثانية. فلو فعل لاعتذرت او رفضت. فقد كان خداها لا يزالان يحترقان عندما فكرت كيف ذاب جسدها في باحة الرقص على مرأى واضح من الناس.

فقد كان هناك الكثير من الالفة والمودة في الطريقة التي نظر اليها بها. وعجبت كيف ان هارتليك بأسره لم يكتشف انهم كانا عاشقين في الماضي اشتاقا ان يكونا عاشقين من جديد... لقد آلمها ان تشاهده يراقص جنيفر نيل او ديزي او اية واحدة من فتيات الحفلة. آلمها انه امسك بكل واحدة منهن وضمها اليه في عناق حميم وابتسم لها بنفس الطريقة. وربما شاكسهن واغراهن تماماً كما فعل معها. لقد كان فاسقاً ولا يمكن ان يكون اي شيء آخر. واستمرت باتي في الافكار المشوبة بالحزن والاسى. فكل امرأة اثارت مشاعره بنفس الطريقة. وكل امرأة تستطيع ان تبعث فيه البهجة والسرور. فلا بد انها كانت مجنونة عندما

اعتقدت بأنه امسك بها بطريقة خاصة. وانه ابتسم لها ابتسامة ذات معنى كبير. ونظر اليها وحدثها بكلام لم يقله الا لها... فذلك لم يكن سوى جزء من طبيعته كرجل ماجن.

غادرت باتي الحفلة مع ستيف قبل الرقصة الاخيرة بلحظات وكان آيفور يراقص جنيفر نيل فادار رأسه ليراقبها وهما يشقان طريقهما من خلال الموائد. ورفعت يدها في نصف تلويحة وابتسمت له محاولة اخفاء الم الحب والشوق اللذين لن يحتفي بهما رجل مثل آيفور. ولكنها لاحظت وهجاً من الغضب في عينيه.

وقبلها ستيف بشيء من الخشونة مما جعلها تشعر بأنها بعيدة عنه بملايين الاميال على الرغم من جلوسها الى جانبه في السيارة التي كانت واقفة في شارع فرعي بالقرب من دار الممرضات... كان عليه ان يبدأ رحلة طويلة للعودة الى ريجموند وقد احس بنفاذ الصبر لافتقارها الى التجاوب معه. فقال لها متهماً «انت لا تفكرين بي!! حتى ولو مجرد تفكير».

اجابته «انا آسفة».

كانت حزينة وهي تعرف ان ما قاله صحيح. فقد كانت افكارها تدور حول آيفور الذي يمكن ان يغازل جنيفر هذه الليلة. ولم ترد ان تمعن التفكير في صروة ذلك اللقاء المحتمل الا ان الصورة بقيت تلازمها وتملأ قلبها بالغيرة والفزع وحاولت ان تبتسم لستيف معبرة عن ندمها.

بقي ستيف يتردد الى هارتليك كل مساء تقريباً شاعراً

بالحاجة الى لقائها ومستعداً لتحمل كل العقبات والمنغصات التي تعترض علاقتهما الحالية لعلها تثوب الى رشدها وتنسى كبرياءها الاحمق الذي لا ضرورة له بالنسبة لوجهة نظره وانانيته. فادركت باتي ان اسلوبه بدأ يشي به. فقد كان سبب خلافه معها وموضوعه الدائم هو انهما لا يملكان في هارتليك مكاناً سرياً لممارسة الحب. فلم يكن بمقدورها ان تأخذه الى الشقة التي تشاركها فيها زميلاتها الممرضات كما لم يكن بامكانهما مطارحة الغرام لبعضهما بعضاً في قاعة الجلوس العامة. لقد قل عزم ستيف واحست هي بالارتياح... ولكنها لم ترد ان تجرح احساسه بالتعبير عن ارتياحها هذا. والآن وهما في السيارة كانت لحظة التوديع التقليدية تقترب وهي لحظة غير مرضية له. فحاول ان يضمها اليه، لم تقصد باتي مقاومته، ولكنها كانت غير ارادية تلك المقاومة وغريزية. وعلى حين غرة شعرت بأنها غير راغبة حتى في ان يقبلها... ان شفتيها تخصان آيفور وحده. فابعدت يده التجريبية عن صدرها فلم تتمالك نفسها عن تأنيبه فقطب جبينه وتجهم وجهه وامتلأت نفسه بالغضب والشك. فقالت بنبرة متعثرة بعض الشيء.

«الوقت متأخر... ولن يكون بمقدورك ان تنام قبل الثانية عشر حتى ولو غادرت في هذه اللحظة».

ارتعد ستيف وسأل بمرارة «هل تعتقدين بأني سأنام؟ اني افكر بك كثيراً... يبدو انك لا تدركين اي عذاب اقاسي من اجلك يا بيشنس. انا احبك ولست سوى انسان

من لحم ودم».

وسحبها نحوه وقبلها بالحاح. فاطبقت يديها على صدره لتبعده عنها ولكنها اكرهت نفسها على تحمل قبلته... ولم يكن ستيف متبلد الحس لكي لا يفهم توترها وممانعتها. فاطلق صرخة بفظاظة «لا اظن انك تريدينني على الاطلاق هذه الايام».

فقالت بعناية محاولة ان تتخلى عنه برفق «ليس مثل هذا...».

فقاطعها قائلاً «اذن تعالي وشاركيني شقتي ولنرجع الى ما كنا عليه من الحب والمودة يا حبيبتي».

ولمست باتي خده في مداعبة ذكرته بالماضي. وذلك في محاولة منها للتخفيف من آلامه ثم قالت.

«انا آسفة لا استطيع... لا استطيع البتة ان اكون كما كنت في الماضي يا ستيف».

وادركت صعوبة العثور على كلمات تقولها دون ان تجرح احساسه. فحدق في وجهها صامتاً وارتجف فكه فابعد وجهه عن لمسة يدها وكأنه غير قادر على تحملها... واستطردت هي قائلة «انا آسفة».

فقال لها «انه مينارد اليس كذلك؟».

«ماذا؟».

«انه ذلك الرجل الذي رقصت معه... خليل جنيفر... فأنت متيمة به... كان ذلك بادياً عليك من قمة رأسك الى اخمص قدميك... ولكنني حاولت ان اتجاهله... لقد رأيت كيف كنت تنظرين اليه والطريقة

التي رقصت بها معها.. لقد تورط الشيطان... فلا عجب انه اعطاك مضجعاً واسعاً لما تبقى من امسية».

شحب وجهها من سماع هذه الكلمات الفظة واللاذعة فصرخت «ستيف... هل جننت؟».

«ما اقوله صحيح اليس كذلك؟ انت متيمة به».

فقالت بهدوء «نعم... نعم احبه...».

احست بارتياح وهي تقول ذلك بصوت عال فاجابها «حسناً... ولكن يؤسفني ان اقول ان لا يريدك... صدقي كلامي».

جفلت باتي... فكان ستيف يعتقد انه يقول الحقيقة ولعله اعتقد انه بذلك يحاول منعها من ان تجعل من نفسها حمقاء. او تعرض نفسها للأذى... ومن الارجح انه كان يقسو عليها مقصداً ليرد لها الصاع صاعين.

فقالت باتي ببرود «اعرف ذلك».

«اذن لماذا تضيعين الوقت من اجل شخص لا يريدك بينما انا اريدك... فانا اسألك للمرة الاخيرة يا بيشنس أن المرء يستطيع ان يكتم غروره لفترة طويلة كما تعلمين، فهيا تعالي معي واتركي التمريض... انا احبك وسأعتني بك. سابذل كل جهدي لإسعادك... ساجعلك تنسين حتى ان مينارد كان موجوداً».

تنهدت باتي... وكانت المسألة في غاية البساطة بنظر ستيف في ان يعطي المرء قلبه ثم يسترده كما يشاء... اما هي فلا تستطيع ذلك ولا تجد له سبيلاً... ان حبها لايفور قد اصبح حياة جديدة بكل معانيها. وقد ملأ هذا الحب

قلبها وعقلها وروحها بأحلام جديدة ومدهشة سيكون من المستحيل عليها ان تنساه او تسعد مع ستيف او اي رجل آخر.

كانت تلك التنهيدة العميقة قد جعلت ستيف يصحو من اوهامه فالنظرة الحالمة في عينيها الخضراوين كانت الجواب الشافي الذي يحتاجه. فأمسك بمقود السيارة باحكام ووضع رأسه على يديه حزيناً... لقد حطم زواجاً سليماً من اجلها... جرح احساس فاليري وكبرياءها وخيب أمل والديه فيه من اجلها.... واغضب اصدقاءه وغامر بمستقبله بالانتقال الى مكتب لندن على امل ان تعود باتي اليه من جديد. الا انها قد تغيرت كثيراً وذهبت جهوده في اقناعها بالعودة اليه ادراج الرياح. فلم تعد باتي كما كانت لينة العريكة والتي احبته ذات يوم حباً جماً. فكان حرياً به ان يبقى في لانكستر مع فاليري التي كانت تحفل به حقاً وتوافقه على اي شيء يسعده.

ان بيشنس الجديدة صعبة المراس وعنيدة جداً ومستقلة في رأيها وسلوكها. وهي عازمة بلا تردد على المضي في الطريق الذي اختارته لنفسها دون ان تقيم وزناً لمشاعر اي انسان... ستقضي بقية ايامها عانساً وحيدة او ستصادف ما هو اسوأ من ذلك اذا استمرت في الركض وراء. اشخاص لا يريدونها كما فعلت هذا المساء. هكذا كان يفكر ستيف. ثم قال بفتور «لا جدوى من مناقشة الموضوع... اليس كذلك؟ ولا معنى لكي نلتقي ثانية».

اتفقت معه بهدوء قائلة «لا اعتقد ذلك».

www.elromancia.com

ووضعت يدها على شعره الكثيف ولم يكن لديها ما تقوله وهو لم يكن راغباً ان يقال له بأنها ستبقى تذكره وتذكر الايام الذهبية معه. تلك الايام التي قضياها معاً فيما مضى. وفي هذه اللحظة فقط احس بأنه لم يكن يحبها رغم كل شيء وكان متردداً في الاعتراف بأنهما قد تغيرا على حد سواء. فربما لم يكن ستيف يحبها بالقدر الذي يمكن للرجل ان يحب امرأة فهو لم يكن مؤهلاً للاهتمام العميق والحقيقي والرقيق الذي هو اثمن هبة يمكن للرجل ان يهبه للمرأة. فهو يريد ان يأخذ ولا يعطي ويتحول الى غيرها اذا سنحت له الفرصة ويعود اليها ان فشل. ولكن آيفور سيحب من قلبه ان قدر له ان يحب يوماً.

تسلقت باتي السلالم العريضة للمدخل الرئيسي للمستشفى مع زميلاتها وشقت طريقها الى الجناح الجراحي شاعرة بأنها اكثر جذلاً مما كانت عليه لبضعة ايام مضت واحست كأن ثقلاً قد ازيح عن كاهلها وعن روحها بانفصالها نهائياً عن ستيف الذي لا يمت بصلة الى حياتها الجديدة في هارتليك. لقد اصبح مجرد ذكرى عزيزة تطل على ذاكرتها من الماضي. والآن وقد تحررت من قيود تلك الخطوبة الزائف التي كانت ثمرة كذبة حمقاء وطائشة...

فالآن سيكون بمقدورها ان تركز على عملها كممرضة على نحو افضل. فقررت بحزم ان الماضي قد اصبح وراءها والمستقبل لا يمكن التنبؤ به. اما آيفور فقد عاش يومه وقد تملكته فلسفة جديدة لم يكن يحس باهميتها من قبل...

فهو متفائل بأن حب باتي سيدوم له الى الابد، وان عليه ان

يكون ملتزماً بعلاقاته الاجتماعية. لعل هذا التفكير هو مجرد وهم من اوهامها او حلماً من احلام يقظتها. افلم يكن هذا هو شعورها نفسه يوم كانت تحب ستيف ثم تخلصت منه تدريجياً مع مرور الزمن؟ ان الحلم الجميل بسعادة الغد جعلها تفكر وكأنها متقمصة شخصية آيفور فتفكر وتحلم بدلاً عنه ثم تضرب لنفسها المثل القائل عصفور في اليد ولا عصفورين على الشجرة.

ان آيفور يريدها وهي تعرف ذلك في قلبها وعقلها وجسدها. فقد خفت صوته بشكل مفعم بالمعاني المجنحة عندما كان يلفظ اسمها واشتعل الوهج في عينيه بعد ان نظر اليها بمنظاره الاجتماعي الجديد. انها سترتمي بين ذراعيه لتعيش يومها وتدع القدر يهتم بالغد.

انطلقت الى الردهة متلهفة لرؤية آيفور ولم تكن تعرف ما ستقوله له. ولكن الكلمات ستجد طريقها الى قلبه ونظراتها ستخبره من دون شك عن كل ما تمنت ان تعرفه.

كان آيفور قد غادر مبكراً ذلك الصباح الى بيته الريفي قرب البحر في نورث فولك، حيث الماء والهواء واشعة الشمس، اضافة الى المحيط المألوف الذي قد يهدي اليه الشوق المواصل المصحوب بالالم الذي يحسه وتلك الحاجة الملحة التي لم يسبق ان شعر بمثلها. كان من الممكن ان تكون عطلته رائعة لو استطاع ان يأخذ باتي معه ويقنعها بأنهما خلقا ليعيشا سوية الى الابد. كانت هذه هي امنيته وكان هذا هو شعوره نحوها. ولكنه بدلاً من ذلك ذهب وحده يفكر فيها ويعد الساعات لكي ينهي اجازته

ويعود لرؤيتها ثانية. وفوجئت باتي بما لم يكن بالحسبان. فان جنيفر نيل غائبة لتقضي عطلة نهاية الاسبوع مع صديقة في نورث فولك. لم يكن هذا ذنب آيفور. لأن جنيفر نيل ذهبت لزيارة صديقة تزوجت وتركت التمريض وهي نسكن فعلاً في نورث فولك. ولم يكن ذنبه ايضاً ان اخبرت جنيفر نيل ماريان فوستر بأنها ماضية لقضاء عطلة نهاية الاسبوع مع صديق. وكانت بهذه الكذبة تتطلع الى ان ماريان ستنقل هذا الخبر الى باتي التي اصيبت بخيبة أمل كبيرة.

كان بامكانها ان تتصور الامر مجرد مصادفة غير ان قلبها المحطم تصور الامور وكأنه تدبير من كليهما آيفور وجنيفر. ثم تذكرت ما قالته له وهي لا تعني ما تقول «اريدك بعيداً عن حياتي».

وتذكرت انه قال لها «غداً».

وهو يعلم انه سيكون برفقة جنيفر نيل وسيكون منشغلاً معها الى حد لا يستطيع التفكير بها. فما احمقها ان تعتقد انها ستجد منه الترحيب ان علم بانقطاع علاقتها بستيف.

كان واضحاً بالنسبة لافكارها المضطربة ان الممرضة المشرفة اهم عنده مما كانت تتصور او مما يمكن ان تكون هي لديه مخدوعة بوعد عينيه وتألق ابتسامته، وعذوبة صوته. فهو لم يعن الطريقة التي تحدث بها والحماس الذي قبلها فيه. ففكرت بيأس ان الامر لم يكن عنده غير لهو في لهو. اما عندها فكان الامر حياتها كلها.

لم تكن هي الوحيدة التي توصلت الى هذا الرأي الخاطىء حول الغياب المتزامن بين الطبيب المسجل

والممرضة نيل. فكان كل منتسب في المستشفى يتحدث عنهما وعن غيابهما في آن واحد. او هكذا خيل الى باتي التي لم تستطع احتمال فكرة كونهما معاً يتغازلان ويستمتعان بالبحر والشمس والهواء وربما يضعان اسس علاقة متينة وطويلة ودائمة.

كان نهاية الاسبوع مثيرة في الردهة. فقد تم اخراج العديد من المرضى وآخرون يتماثلون للشفاء متلهفين للعودة الى منازلهم بانفعال يتراوح بين السرور والتضايق من ايام الصيف الذهبية التي يفتقدونها.

وادخل مرضى جدد يوم الاحد بينهم حالة طارئة ولم يكن هناك الشيء الكثير للقيام به من قبل العاملين في الجناح الجراحي الا الزيارات الروتينية المعتادة. وكان يمكن ان تكون باتي مسرورة لقضاء عطلة نهاية الاسبوع بعيدة عن جنيفر نيل وانتقاداتها القاسية وما تسببه لها من انزعاج وعذاب ولكنها كانت في وضع يبعث على اليأس. فهي بحالة تشعر فيها بأنها بحاجة الى العمل لذلك انهمكت باعمال اختلقتها لنفسها وهي ليست من واجباتها.

وعادت جنيفر الى الجناح صباح يوم الثلاثاء متألقة بعد استمتاعها بساعات طويلة مشمسة حيث كان الطقس لحسن حظها لطيفاً طول تلك الايام. وكان سحر الصيف باعثاً للبهجة، اضافة الى التقائها بالعديد من اصدقاء جوليا. وقد احبت واحداً منهم استطاع ان يجعل عطلتها ناجحة وتذكارية في آن واحد.

عادت الى لندن على جناح السرعة على أمل اللقاء به

ثانية في العاصمة بوعد منه. لذا خيل الى جنيفر نيل بأنها قد عثرت في آخر الامر على الرجل الوحيد الذي بادلها مشاعرها العميقة وتعطشها الى الحب. وعندما التقت بباتي في ممر الجناح ابتسمت بحرارة وشوق جديد وكأنها ليست تلك التي تكرهها كرهاً شديداً. وتذكرت جنيفر ابتسامتها وهي تسخر من نفسها بأن هذه الفتاة ذات الشعر الاحمر كانت تغيظها او هي تغتاظ منها بدون سبب وباستمرار ولكنها الآن قد وقعت في غرام رجل لون شعره يشبه لون شعر باتي. فادركت كم كانت بلهاء وقاسية باساءتها الى الممرضة المثابرة والمحبوبة عن جدارة بسبب شيء كان في الواقع فوق ارادتها فقاتل لباتي.

«كيف قضيت نهاية الاسبوع؟ آمل انك لم تكوني مشغولة جداً؟».

اجابت باتي باختصار وقد ارغمت على السير معها بضع خطوات في الممر «بهدوء تام».

«اعتقد اني كنت قاسية عليك بعض الشيء خلال الاسابيع المنصرمة. فآمل ان لا تضمري اية مشاعر غير ودية ضدي».

اجابت باتي وهي متألمة في اعماق قلبها وشاعرة بالبغضاء والحنق «كلا... ابداً».

«كنت مستمتعة بوقت رائع بكل معنى الكلمة، حيث الشمس وهواء البحر المنعش والطعام الجيدة ورفقة اروع رجل يمكن ان تلقاه امرأة... او اي شيء آخر يمكن ان تتمناه الفتاة» ونظرت الى ذراعيها اللتين لوحتهما الشمس

برضى تام وتابعت تقول «الا تحسدينني على سمرتي؟».

شعرت باتي برغبة في ان تقول لها بأنها بدت وكأنها قضت عطلة نهاية الاسبوع كلها في فراش عشيقها. وهي راضية عن نفسها ومتألقة ومبتهجة. ولكنها عدلت عن ذلك وقالت بلطف «انت بلا شك تبدين على ما يرام».

ثم تركتها وهرعت الى الغسل الملحق بالجناح. وكانت متأكدة حسب تصوراتها من ان الممرضة المشرفة عرفت شعورها نحو آيفور ولم تبال بأي قدر من الألم الذي قد تسببه لها بالتظاهر بالسرور والارتياح لقضائها فترة عطلتها معه. فقد حرصت ان لا تذكر اسمه، ولم يكن ثمة ما يدعو الى ذلك. فكل انسان في هارتليك يعرف انهما صرفا عطلة نهاية الاسبوع معاً قرب شاطىء البحر.

بعد فترة قصيرة من نفس الصباح تبعها مايكل كين على طول الممر في كرسي المقعدين يناديها باسمها. فالتفتت باتي وابتسمت ابتسامة من وراء انفها. فقال باهتمام «اتمنى ان تخبريني ما خطبك؟».

لم تستغرب سؤاله. فقد تولع بها كثيراً منذ دخوله الى كيوري وكان يحس وكأنها اخته الكبرى... فأكدت له للمرة السادسة على الاقل «لا شيء... لا شيء».

فنظر اليها بعينين مفعمتين بالشك وقال «انا واثق من ان هناك شيئاً يقلقك يا باتي فذلك واضح في عينيك».

كانت عينا مايكل تفصحان عن صحة شكوكه بحالتها ولكنها كانت تمتنع عن البوح بشيء. فلماذا تصر النساء دائماً على نكران وجود ما يقلقهن عندما يكون ذلك واضحاً في

www.elromancia.com

عيونهن؟ فقالت باستخفاف «النساء حيوانات غريبة الاطوار».

فامسك بيدها قائلاً «هل من مساعدة يمكنني تقديمها لك؟ اخبريني».

انحنت بطيش لتحيط رقبته بذراعها وقالت بحنان «كلا... لكني اشكرك على اهتمامك يا مايك...».

ثم قبلته فاحاطها مايكل بذراعيه وعانقها واكتشف فجأة انه لا يتعبرها مثل اخته الكبرى لقد ايقظت فيه مشاعر كانت قد هجعت، فاعتقد انها قد ماتت مع مورين الجميلة في تلك الليلة الرهيبة.

استقامت باتي وقد احست بمزاجه وهي منزعجة بصورة غامضة ومسرورة في آن واحد لأن احداً من العاملين في المستشفى لم يلحظ ذلك الحادث الصغير... فإن مغازلة الاطباء كان شيئاً بغيضاً واما ان تسمح ممرضة لمريض بعناقها في محاولة لتقبيلها فذلك شيء لم يحدث ابداً.

وفي هذه اللحظات غير المتوقعة ابصرت آيفور يراقبها من نهاية الممر وفي عينيه ومضة من المرح. فاحمر وجهها ولم تلاحظ انفتاح الابواب... لقد اخفقت هذه المرة في الانتباه الى وجوده فقالت لمايكل مرتبكة «من الافضل ان تعود الى الردهة».

فاحنى رأسه وادار الكرسي وشرع يدفعه الى الردهة... لقد كان من المفروض ان تكون باتي في طريقها الى باترسن حاملة رسالة شفوية من المسؤولة بيرسيفال. وكان قلبها يخفق بشدة وقد احست بشيء من الغثيان. ولكنها

ارادت ان تمر من امام آيفور وكأنه غير موجود.

لقد وجدت كبرياءها وكأنه قد مات امام هذا الرجل ومع ذلك فهي مصممة ان لا تحب هذا الرجل الماجن الذي لا يصلح ابداً ولا يرجى منه خير فهمه الوحيد هو سحق القلوب وكأنها دمى بين يديه. فسارت نحوه برأس مرفوع وثوب يرف رافضة ان تلاقي عيناه عينيها. بينما كان وجهها ملتهباً حتى اصبح بلون شعرها.

ابتسم لها آيفور وقلبه في عينيه. وكان قد عاد على عجل لأنه لم ير راحة البال في اي مكان بدونها ولم يكن متوقعاً ان يعود الى عمله حتى اليوم التالي. لكنه ارتدى سترته البيضاء وجاء الى جناح الجراحة على امل ان يرى باتي، او يتبادل معها بضع كلمات.

وثب قلبه هلعاً عندما رآها في الممر تتحدث مع المريض الشاب الذي كانت صحته في تحسن مستمر جسماً وعقلاً. وكان قد شاهد الصبي يمد يده اليها فابتسم بحزن وكان هذا ما يتوق اليه تماماً. ثم رأها تنحني لتقبله في نزوة مفاجئة فامتلأ بالعاطفة والحب الحنون. فلا غرابة في تولهه بها وهيامه الى هذا الحد فقال لها مشاكساً.

«انت تشجعين ذلك الصبي على الوقوع في غرامك يا امرأة».

وتوهجت عيناها بغضب مفاجيء وقالت «اظن ذلك من شأني... اليس كذلك؟».

فتلاشت ابتسامته على الفور وارتعب وخاب أمله. فلم يكن يفكر بشيء غير هذه اللحظة وهو في طريقه الى المستشفى من نورث فولك ولم يكن يتوقع انها ستعامله

www.elromancia.com

بمثل هذا الازدراء والاحتقار. فسألها بحزن وهدوء.

«ماذا فعلت يا باتي؟».

«انا لا ابالي بما تفعل الآن اوفي أي وقت آخر».

كانت غرفة الممرضة المسؤولة بمثابة ملجأ من صخب الجناح.

وكثيراً ما تستخدم من قبل الاقارب عند زياراتهم اكثر من استخدامها من قبل بيرسيفال نفسها. وها هي الغرفة على مقربة منهما. فمسك آيفور بمعصم باتي باصابع قوية ودفع الباب بقوة واقتادها بفظاظة الى داخل الغرفة فسحبت ذراعها ساخطة وهي تحملق في وجهه رافضة الاعتراف بأن لمسته تعني شيئاً وقالت «ماذا تعتقد انك فاعل؟».

«احاول التحدث الى امرأة ذات شعر احمر متمردة».

«ليس عندي اي شيء اقوله لك».

«انت تكرهينني... اليس كذلك؟ ينبغي ان يكون لذلك سبب».

صمتت بعناد وسارت الى النافذة المطلة على حديقة المستشفى ووقفت تنظر الى الخارج وظهرها اليه وصلبت ذراعيها بشكل وقائي فوق نهديها في محاولة لمنعهما من الارتجاف. لقد عانت من خيال يشبه الكابوس طيلة عطلة نهاية الاسبوع والآن وقد واجهته بعزم متذكرة القناعة التي رأتها في عيني جنيفر نيل والسرور الذي لمسته في صوتها وسلوكها فلم تستطع ان تفكر الا بهما هي وهو متعانقين. ولذلك اصبح استياؤها منه يزداد.

قال لها «ماذا جرى يا باتي؟».

هزت رأسها وسمع آيفور اللهاث مع انفاسها الذي كان

اشبه بالتشنج او النحيب من ان يكون نتيجة الم واسى. ومد يده الى ذراعها فابتعدت مرتعشة فقال بنبرة ملحاحة «لن تغادري هذه الغرفة حتى تنبئيني».

التفتت اليه بسرعة وقالت «بيرسيفال لن تكون مسرورة لذلك».

لاحظت الوميض في عينيه ثم ازاحت نظرها عنه بسرعة قبل ان يبدأ المشؤوم مفعوله. وتساءلت مع نفسها ان كان يأخذ اي شيء مأخذ الجد. وفكرت بمرارة انه كان غريباً عنها اكثر من كونه قلقاً بسبب غضبها منه.

فقال بسرعة «بيرسيفال وانا صديقان... وانها امرأة متفهمة».

«انها لن تفهم لماذا انا اتحدث اليك في غرفة جلوسها في حين يفترض ان اكون حاملة رسالة الى باترسن».

«لكنك لست تتحدثين الي».

قال هذا وقد تجعدت عيناه بمرح دافىء. وتابع قوله «هذه هي المشكلة يا باتي... اريد ان اعرف السبب، لقد كنت غائباً لثلاثة ايام ولا بد ان شيئاً قد حدث في الحفلة... او بعدها» ثم اضاف بادراك مفاجىء «تشاجرت مع ستيف... اليس كذلك؟».

لقد لاحظت الرجل في الحفلة وطريقة تصرفه معها فتوصل الى استنتاجه هذا ثم استطرد «ربما كان ذلك صحيحاً يا امرأة».

واحاط خصرها النحيف بذراعيه وابتسم لها قائلاً «لا استطيع ان اتمالك نفسي عن حبك يا باتي. اظن ان ذلك واضح. انا لا اومه على رغبته في ان يلكمني على

www.elromancia.com

انفي . . . فهل اراد ان يفعل ذلك؟».

لم تنبس باتي بكلمة واحدة . . . كانت مشغولة البال وهي تصارع تلك النظرة في عينيه . وذلك المعنى الذي يعول عليه في الاقناع، وذلك السحر الذي لا سبيل الى مقاومته . . . ولم ينتظر منها جواباً بل تابع يقول «لا تقلقي . . . يا كارياد . لن يدعك تذهبين».

كان مهتماً بسعادتها وغير مبال بسعادته هو فقال برقة متناهية وبكلمات نابعة من القلب «ما كنت لأتخلى عنك ابداً لو كنت لي».

فتساءلت باتي بدهشة ان كانت فعلاً قد سمعت هذه الكلمات التي قالها بهدوء . ثم حاولت ان تقنع نفسها بكبرياء ان ما سمعته كان مجرد كلمات .

لقد كان في انتفاء كلماته اللطيفة والمقنعة صادقاً ولكن الامر قد لا يعدو ان يكون لهواً بالنسبة لأيفور مينارد الماجن . . . لذلك من الخطأ ان تصغي اليه . . . اذ لا يمكن ان يصدقه سوى الابله . . . لقد جاء مباشرة حسب تصورها من بين ذراعي جنيفر . وتجرأ على اسماعها تلك الكلمة الويلزية المحببة الى النفس ولي ينظر اليها وكأنها تعني العالم كله بالنسبة له . . . انه شيطان كبير . فتلهفت الى صفعه لكي تترك اثر اصابعها على وجهه الوسيم . لكن من يدري . . . لعله لا يبالي بذلك طالما يستطيع الاستمتاع باللعبة الحسية القاسية .

قالت بنبرة غاضبة مبتعدة عنه «انا لست لك . . . وانت آخر رجل في العالم افكر بأن اكون له . وحتى لو كنت الرجل الوحيد في العالم . . . فلن اسمح لك بأن تلمسني

ثانية».

دهش آيفور ايما دهشة واحس كأنه قد طعنته في جسده . . . وكان من الممكن ان تكون تلك الطعنة اهون عليه لو كانت كذلك فعلاً . ولكنها طعنة اخترقت جسده الى القلب .

فقال ببطء «انت تحملين قدراً كبيراً من الكره لي».

ثم القى عليها نظرة طويلة وحزينة دون ان يقول شيئاً ثم غادر الغرفة وسترته البيضاء تنتفخ وراءه .

دخلت آن بيرسيفال الغرفة لتدهش بوجود باتي فيها فقالت «ليس المفروض ان تكوني هنا ايتها الممرضة».

واستطردت موبخة بلطف «هذه غرفتي الخاصة».

اجابت باتي «انا آسفة» ثم اجهشت بالبكاء .

وكظمت آن تنهيدة . . . وكانت تتطلع الى كوب من الشاي كان بيدها جاءت لتشربه في غرفتها وتقرأ رسالة وصلتها من صديق قديم . فلم يسرها ان ترى ممرضة حديثة العهد بالتمريض وهي شاحبة اللون وباكية في غرفتها . فقد سبق لها ان تعاملت مع العديد من امثالها وكانت دموعهن دائماً نتيجة لعلاقات غرامية غير موفقة وغير مرضية . وتساءلت بيرسيفال مع نفسها باستغراب، لماذا كانت ممرضات السنة الاولى متلهفات الى هذا الحد للوقوع في غرام الرجل المناسب؟ حتى الممرضة باركن التي كان ينتظر لها مستقبل مرموق لم تكن صامدة تجاه هذا الامر الشائع بين ممرضات هارتليك . والمؤسف حقاً ان تضف طالبة التمريض الغرام في مرتبة اعلى من المهنة على ما يبدو .

لم تقدر باتي ان تفسر تلك الدموع للمسؤولة الودودة اشياء اخرى في الحياة تعوض عن الاحلام المفقودة. ولكن آيفور كان مختلفاً. ان آيفور لم يكن حلماً محبباً الى القلب ويوحي بالسعادة بل هو الحياة نفسها. وهي السبب في فقدانه وعلى نفسها جنت براقش. وفي هذه اللحظة بالذات ادركت كل هذا بوضوح وقد زالت الغشاوة عن عينيها. فهي وهو شطران متممان لبعضهما. فهي تعرف ذلك وآيفور يعرفه ايضاً. لقد كان يحسه في لمساته. وفي ابتسامته، في حاجته الملحة اليها. لقد حاول الفوز بها مثل اي رجل ادرك مصيره. وقد اصمت اذنيها عن ندائه بحماقة ولم تسمع ما قاله بدون كلمات. فحبه لها جلي من غير كلمات كان الحب عنده صامتاً ومشبعاً للقلب وهو يعبر عن نفسه بلمسة او نظرة او موجة دافئة من العاطفة التي يصعب على المرء اختيار الكلمات المناسبة للتعبير عنها، فلا احد يستطيع ان يهدد ما يشعره كل منهما نحو الآخر، لا ستيف ولا مئة فتاة مثل جنيفر. ولا الماضي الاحمق ولا المستقبل المفعم بالشك. فالحاضر هو كل ما يهمها ويهمه على كل حال. فاليوم آيفور يحبها ويريدها... لقد قال «لو كنت لي...».

كانت ابتسامة باتي الجميلة والدافئة تعبر عن الامتنان. ونظرت باتي من خلال احدى النوافذ وهي تشق طريقها الى غرفة الممرضات المتدربات بعد ان تركت آن بيرسيفال فلمحت آيفور فامتلأ قلبها شوقاً وطفح حباً.

كان جالساً تحت تمثال السير هنري وقد وضع يديه في جيبي سرواله وساقاه ممدودتان ورأسه مائل الى الوراء

وهي في الطابق الاعلى ان تلاحظ ان حيويته وجذله يتصارعان مع افكاره الحزينة وعلمت انه تعيس تماماً كما هي تعيسة. ودون ان تتوقف لتفكر اتجهت الى السلم وهبطت باقصى سرعتها واجتازت القاعة الرئيسية المزدحمة كالمعتاد واندفعت من خلال الابواب الدوارة الى الحديقة.

«آيفور».

لم يبطىء خطواته فعلمت انه مشغول البال ولم يسمعها ونادت ثانية... فتوقف مندهشاً وبدت عيناه تتراقصان بخبث مألوف وساحر. وادركته وهي تلهث. فأمسك بذراعها ليساعدها على الوقوف بثبات... فقالت ويدها على قلبها باضطراب.

«آيفور...».

كان هناك كل ما ارادت ان تعرفه، في ابتسامته، في لمسته، في نظراته... وفي كلمته...

«باتي...».

«آه... آيفور... انا احبك».

ثم رفعت وجهها ليقبلها فتمتم بالكلمة التي تعني كل ما يتمنى قلب امرأة ان يسمعه «كارياد...».

وقبلها بحرارة وحنان اضافة الى تلك الرغبة المتقدة التي هي جزء مهم من اجزاء الحب المتبادل بين الرجل والمرأة. ذلك الحب الذي يمكن ان يطول مدى الحياة.

وفي اليوم التالي... علم كل من في المستشفى بالخطوبة الجديدة... ولكنها هذه المرة لم تكن اشاعة ولم تكن من صنف القيل والقال.

www.elromancia.com